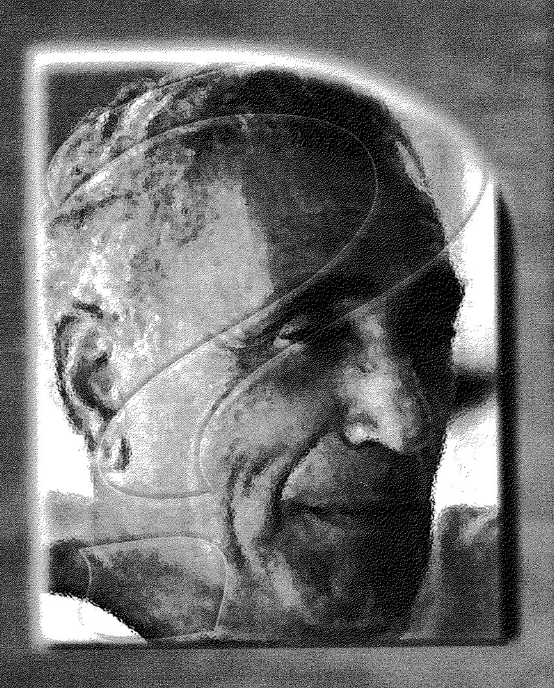
هيكل أو الملف السري للذاكرة العربية

رياض الصيداوي



(طبعة جديدة مزيدة و منقحة)

مركز الوطن العربي
للأبحاث والنشر

هيكل

أو

الملف السري للذاكرة العربية

رياض الصيداوي

هيكل

أو

الملف السري للذاكرة العربية

مركز الوطن العربي
للأبحاث والنشر

هيكل أو الملف السري للذاكرة العربية / كتاب سياسي

رياض الصيداوي / صحافي وباحث تونسي في العلوم السياسية

الترقيم الدولي / I.S.B.N.

9973-17-315-5

مركز الوطن العربي للأبحاث والنشر

جنيف / سويسرا

هاتف / فاكس 41.22.797.07.05

هاتف جوال 41.76.387.90.08

البريد الإلكتروني riadh3@freesurf.ch

الموزع

دار الكنوز الأدبية ص.ب. 11-7226 بيروت ــ لبنان

هاتف / فاكس 01739696

الطبعة العربية الأولى، تونس، 1993

الطبعة العربية الثانية، القاهرة، 2000

الطبعة العربية الثالثة، بيروت، 2003

الإهداء

إلى أحمد الصيداوي

(الأب والصديق)

وإلى يوسف بن رمضان

(الأستاذ والصديق)

شكر

نشكر كل من ساعدنا على إنجاز هذا العمل المتواضع، وخاصة (حسب الحروف الأبجدية)

*** عن جمهورية مصر العربية**

1 ـ **إمـام، عـبد الله**، الصـحفي بمجلة "روز اليوسف"، الكاتب القديـر، لمـا قدمه لنا من مساعدات كثيرة، ساهمت في إنجاز هذا البحث.

2 ـ **داوود، ضياء الدين**، وزير الشؤون الاجتماعية ووزير الدولة لمجلـس الأمـة، وعضـو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشـتراكي فـي عهد عبد الناصر وبداية عهد السادات، وهـو اليوم، أمين الحزب العربي الديمقراطي الناصري، لمساعدته لنا بإدلاء شهادته حول موضوع البحث.

3 ـ **هـيكل، محمـد حسنين**، الصحفي الكبير والكاتب المشهور، الذي استقبلنا في مكتبه وتحمس لموضوع البحث.

4 ـ **حمـروش، أحمـد**، الصحفي بمجلة "روز اليوسف" والكاتب القديـر، وأحـد الضباط الأحرار الذين فجروا ثورة 23 يوليو 1952.

5 ـ **حسنين، مجدي**، أمين صندوق الضباط الأحرار ومدير مكتب محمـد نجيب، ثم مدير مكتب جمال عبد الناصر، لتفضله وإعطائـه لنا معلومات حول البداية الأولى لعلاقة هيكل بالرئيس جمال عبد الناصر.

6 ـ **نقابـة الصـحفيين المصـريين**، وبخاصة سكرتيرة النقابة، الأستاذة أمينة شفيق، لاستضافتها لنا، فكنا نشعر أننا بين أصدقاء حميمين.

7 ـ **عسـاف، منـير**، مدير مكتب محمد حسنين هيكل، لما وجدنا عنده من حسن استقبال وحماس لموضوع البحث، وكل ما طلبناه إلا ووفره لنا.

8 ـ **فائق، محمد**، وزير الخارجية ووزير الإعلام في عهد الرئيس جمـال عـبد الناصر وبداية عهد الرئيس أنور السادات، وهـو الـيوم أمين عام الجمعية العربية لحقوق الإنسان، لمساعدته لنا في الإجابة عن كل أسئلتنا.

9 ـ **فـوزي، الفريق أول محمد**، لوضوحه معنا، وتفضله بشرح أسباب عدم حديثه عن هيكل.

10 ـ **الصباحي، حامدين**، الصحفي، مدير مكتب إعلام الوطن العربي ـ صاعد ـ وكل الصحفيين العاملين في هذا المكتب، وبخاصة جمال الجمل... لشتى المساعدات التي قدموها لنا...

11 ـ **شرف، سامي**، مدير مكتب عبد الناصر للمعلومات، ووزير شؤون الرئاسة في عهد عبد الناصر وبداية عهد السادات، لكرمه الفذ معنا، حيث استقبلنا في بيته مرات عديدة، وتحدث معنا مطولاً حول موضوعات البحث، باذلاً مجهوداً جباراً في تذكر الأحداث وترتيبها، وقد تطوع للحديث معنا، رغم امتناعه الدائم عن الكلام للصحافة منذ أكثر من عشر سنوات، ومبادرته وشجاعته في تقديم معلومات جديدة، طريفة، وخطيرة، ومحاولاته المتكررة في التزام الموضوعية.

*** من تونس**

1 ـ **بلخوجة، ممدوح**، مدير دار نقوش عربية.

2 ـ **بن رمضان، يوسف**، الأستاذ بمعهد الصحافة وعلوم الأخبار، الذي تفضل وأشرف على هذه الدراسة، وتحمس لها وأعطاها من وقته.. وللنصائح القيمة التي قدمها لنا.

3 ـ **الحـيزاوي، عـبدالكريم**، الأسـتاذ بمعهـد الصحافة وعلوم الأخبار.

4 ـ **الطالبي، خليفة**، أستاذ اللغة العربية.

5 ـ **الميساوي، محسن**، أستاذ اللغة العربية.

6 ـ **رحيم، عبد القادر**، الأستاذ بمعهد الصحافة وعلوم الأخبار، الذي تحمس لهذه الرسالة، وقدم نصائح هامة لداحث.

7 ـ **الظاهري، المنصف**، أستاذ العلوم الإسلامية

*** من العراق**

1- علاء اللامي، الكاتب العراقي، لتفضله بمراجعة هذه الطبعة الجديدة.

ما قبل المقدمة...الحياد وهم !

حينما ضغطت على جرس الشقة رقم 43، في البناية الضخمة المتواجدة في شارع النيل والمحاذية لفندق الشيراتون، استقبلني الأستاذ منير عساف مدير مكتب الصحفي الكبير محمد حسنين هيكل. المكتب كبير نسبياً، وفي الرواق الذي تتفرع عنه الغرف، علقت مجموعة من الصور الكبيرة، التي يبرز فيها الأستاذ هيكل في مواقع كثيرة... في الحرب الكورية وفي سيبيريا وفي مدن شهيرة أخرى من العالم... وفي أحد الغرف أشاهد مجموعة من أجهزة الفاكس، تعمل كلها تقريبا... إضافة إلى أجهزة الحاسوب المعتمدة...

وبعد لحظات قليلة دخلت مكتب الأستاذ هيكل، ووجدت المشهد مألوفاً لدي، فهو يتكرر مع كل زائريه... الأستاذ هيكل في بدلة أنيقة، يستقبلك والسيجار الفاخر بين أصابعه... تأثيث المكتب من النوع التقليدي، الكراسي، المكتبة ... رحب بي الأستاذ وبعد المجاملات قال:

ـ أنـا الآن منشـغل فـي كتابي عن حرب الخليج، وحقيقة وقتي ضيق، ويمكن أن أعطيك وقتا أكثر في مناسبة أخرى:

ثم حدثته عن طبيعة الموضوع... فعلق قائلا:

ـ كثيرون هم الذين كتبوا عني، ولم أعد أتفاعل معهم كثيراً، حتى لا أمـوت غيظاً حينما يهاجمني بعضهم، ولا أموت غروراً حينما يمدحني بعضهم الآخر.

وأضـاف: "مـن الأحسن لك أن تدرسني بعيداً عن رأي هيكل في هـيكل، مـن الخـارج يكون أفضل، تكتفي بكتبي ومقالاتي، وهي تترجم حقيقة أفكاري في الحياة... وتسمع من الآخرين وهكذا تكون رسالتك أكثر علمية وموضوعية...".

حدث ذلك في شهر أغسطس 1991.

****

عـندما نشـرت لأول مـرة كتاب "هيكل أو الملف السري للذاكرة العربـية" فـي تونس سنة 1993، كان أول رد فعل لأصدقائي هو قولهم لماذا لم تنحز لهيكل في ثنايا الكتاب وتعطي موقفك بوضوح؟ لماذا اختفيت وراء ضـرورة البحث الموضوعي والتزمت الحياد في موضوع يصعب الـتزام الحـياد فـيه؟. وحقيقة، كنت دائما من أنصار محمد حسنين هيكل ومولعاً بما يكتب مثلي مثل ملايين القراء العرب... ولكني كنت قد قررت فـي ذلـك الكتاب التزام حيادية مطلقة ربما مرجعها أن النص في الأصل كـان رسالة جامعية نوقشت في معهد "الصحافة وعلوم الأخبار" في تونس

تحـــت عـــنوان "محمـــد حسنين هيكل صحفياً وسياسياً"... وكنت قد فتنت بشـــيء اســـمه الموضـــوعية والحيادية... لكني تعلمت لاحقاً وفي جامعة جنـــيف ومـــن خـــلال تجربة أكاديمية أخرى أن هناك فرق بين الحيادية والموضـــوعية، حيـــث أن المطلـــوب من الباحث هو الموضوعية وليس الحـــيادية... لأن الحيادية وهم كبير، لأننا في مجال العلوم الإنسانية بشر، نـــدرس الإنســـان بأحاسيســـه وانفعالاته ونحن نتفاعل معه حباً أو كرهاً، حماســـاً أو فـــتوراً... وهـــنا في الجامعات الغربية نسفوا مفهوم الحيادية وحـــافظوا علـــى مفهوم الموضوعية. فمن حق الباحث أو الكاتب أن يقول رأيه ويعبر عن أحاسيسه وآرائه بكل حرية... بل يشجع على ذلك.

ثـــم نشـــر الكتاب في صحيفة "القدس العربي" اللندنية على حلقات متسلســـلة في شهر نوفمبر 1999. ونشر في طبعة ثانية عن دار "مدبولي" فـــي القاهـــرة في بداية سنة 2000، دون أي تحوير أو تغيير، وكما هو، مـــنقولاً عن الطبعة التونسية الأولى... إلى أن جاءت الفرصة لهذه الطبعة الجديـــدة المـــزيدة والمنقحة، لأقول ما كتمته طيلة هذه السنوات من أفكار ذاتـــية ومن تقييمي الشخصي تجاه هيكل وتجاه أشباه الكتاب الذين حاربوه وهـــم خاسرون. وبحثت عن مكان لما سيأتي في هذه السطور ولم أجد إلا شيئاً سميته "ما قبل المقدمة... الحياد وهم!".

* * * * * * *

"موتـــوا بغـــيظكم: يعيش جمال عبد الناصر"، كانت عنواناً لأجمل لوحـــات الكاريكـــاتور للرسام الراحل ناجي العلي، رسمها وكتبها بعد أن

اشـــتد الهمز واللمز على الزعيم الراحل جمال عبد الناصر. واليوم، نشهد نفـس الحملـــة المـتكررة على المرجعية الأولى للصحافة العربية إبداعاً وأخلاقـاً وتمسـكاً بالمـبادئ، أعنـــي الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل. والحقيقة أن أعداء هيكل كثيرون، خصوصاً من أشباه كتاب صغار أرادوا تقلـيده ففشـلوا، ثـم اعتقدوا في غفلة من الزمن العربي الرديء أن النفط يمكــنه أن يجعل منهم كتاباً كباراً، وأن البترول ومشتقاته يمكنه أن يجعل مــنهم مبدعيـــن أصـــيلين وأن الغـــاز أو الغازات على حد تعبير الشاعر العراقـــي الكبير مظفر النواب يمكنه أن يجعل منهم مؤرخين. وهنا اختلط علـــيهم الإدراك والفهـــم فما عادوا يميزون مهنة الصحافي عن مهنة عالم السياســة، عــن مهــنة المــؤرخ. ولأن مستواهم العلمي شديد التواضع، فأكــثرهم تعلماً لم يتجاوز الإجازة (البكلوريوس / الليسانس)، فقد اختلطت علـــيهم السبل وأصبحوا يعتقدون أنه بمجرد أن يتحدثوا حديثاً صحفياً عن أحــداث تاريخـــية مضـــت فهـــم مؤرخون... هؤلاء كثيرون وأسماؤهم معـــروفة... ولكن يبقى هيكل مرجعية أخلاقية تكاد تكون وحيدة في عالم الصـــحافة العربـــية الذي اختلطت فيه السمسرة بالانقلاب على الذات أكثر من مرة والانتقال من الولاء من دكتاتور إلى آخر.

لمـــاذا يكـــرهون محمد حسنين هيكل كل هذا الكره، ويحقدون عليه كل هذا الحقد؟ لأنهم فشلوا في تقليده وفشلوا في أن يقتربوا من مكانته عند القـــارئ العربي... ولأنهم يلهثون وراء المال ويبيعون المواقف، احتقرهم هذا القارئ بقدر ما احترم هيكل. ومن هنا برز ما يمكن تسميته بـــ "عقدة هيكل" عند هؤلاء.

الأمــثلة مــن أشباه الكتاب الذين حاولوا تقليد هيكل ففشلوا، فعادوه وشنوا عليه حملة شرسة، علنية تارة وخفية تارة أخرى، كثيرة جداً... ولا يســعني هــنا إلا ذكــر حادثتين على سبيل المثال وليس الحصر. فهذان المثالان كثيرا التكرار في الصحافة العربية وما ينطبق عليهما ينطبق على كثيريــن مــن أعداء هيكل. أعرف صحافياً عربياً كان موالياً لسيده صدام حســين، انقلــب علــيه بعد حرب الخليج الثانية بسبب المال الذي عرض علــيه. هذا الصحافي يكّن حقداً عميقاً لمحمد حسنين هيكل. فتراه لا يفوت فرصـــة إلا ويشهر فيها بالأستاذ الكبير هيكل. والغريب في الأمر أن هذا الــرجل فعــل المســتحيل من أجل تقليده ومن أجل أن يصبح مثله. فدخن الســيجار الكوبي الفاخر، معتقداً أنه بتدخينه السيجار قد يصبح مثل هيكل المولــع بتدخين السيجار، لكنه فشل. فحاول مرة أخرى بأن دخن سيجاراً أكــبر حجماً معتقداً أن حجم السيجار الكبير قد يساعده في أن يصبح كاتباً كبــيراً مثل هيكل، ولكنه فشل فشلاً ذريعاً... وجاءته فكرة أن حجم الكتب قــد يســاعده فــي أن يصبح كاتباً كبيراً مثل هيكل، فنشر مجموعة كتب، واســتخدم الحرف العربي الغليظ الكبير حتى تكثر عدد الصفحات وبالتالي يكــبر حجم الكتاب ومن ثمة قد يصبح كاتباً كبيراً مثل هيكل... وأصبح يفــتخر بــأن كتبه كبيرة الحجم (!!!)... لكنه فشل فشلاً ذريعاً رغم كلفة الورق الممتاز والباهظ الثمن ورغم أن الصفحة الكبيرة لا تحتوي إلا على عشــرة أســطر، وفي كل سطر فيها خمس كلمات... لكن القارئ العربي اخــتار هــيكل ولفظه هو. ورغم عزوف هيكل عن الفضائيات، فإن هذا الصحافي تحالف مع فضائية عربية، ليحاول أن يشرح قضايا العالم كخبير كبــير مقلــداً هــيكل فــي أناقــته وفي طريقة حديثه وفي أسلوب شرحه

باليدين،... وفي جلسته ووقفته... لكنه فشل كل الفشل وانطبق عليه هجاء ابـــن زيدون في رسالته الساخرة ضد ابن عبدوس "والله إن حديثك لفهفهة، وهمســـك لتمــتمة، وضحكك لقهقهة، ومشيتك لهرولة..". فشل رغم كثرة مالـــه وكثرة مطبوعاته في أن يحوز على أي احترام... فكره هيكل وحقد عليه، بعد أن فشل في تقليده.

صـــحافي عربي آخر، كان لهيكل ذات يوم فضل كبير عليه، ينشر كتــباً كثـــيرة لا يقــرأها أحـــد، رغم أناقة ورقها وجمال غلافها وطبعتها الفاخـــرة... زار جنيف، وأعطى كتبه للمكتبات العربية المتواجدة في هذه المديـــنة، وروى لي صاحب إحدى هذه المكتبات أن هذا الرجل قد زاره فـــي ما بعد وألقى نظرة طويلة على المحل ثم تجهم وجهه واحمر واصفر ثـــم اسود وغادر مسرعاً المكتبة وبعد حوالي نصف ساعة هاتفه صارخاً فـــي وجهـــه كيف تضع كتب ذلك الحمار (يقصد هيكل) في واجهة المحل ولا تضـــع كتبي أنا... " (!!!). وغيرهما كثير، كثير... والسبب : المعاناة من "عقدة هيكل"...

إن مشكلة هؤلاء مع هيكل تكمن في ثلاثة مستويات:

المستوى الأول هو عدم حضور الرادع الأخلاقي عندهم. فجميعهم بـــنى مجـــده المالي وليس الفكري على "خيانة ما" ضد فكرة تبناها أو ضد زعـــيم ألهه سابقاً وانقلب عليه... فلم يتمتعوا أبداً في حياتهم بخصلة اسمها الوفـــاء. وهـــي خصلة هيكل تجاه عبد الناصر، الزعيم الذي آمن بأفكاره وحـــافظ علـــيها بعد موته دون اكتراث لإغراءات المناصب السياسية ولا لطفـــرة الأمـــوال النفطية المتدفقة. فهيكل بقي على حاله يتحمل في سبيل

أفكـــاره الكثـــير: حصار النظام السياسي المصري تارة مع السادات، وهو الحصـــار الأشـــد الـــذي وصل حد إدخاله السجن، وتارة أخرى مع نظام الرئيس حسني مبارك. حيث كثيراً ما تتدخل الأيدي الخفية لمنع محاضرة هنا (منع هيكل من إلقاء محاضرته السنوية في معرض الكتاب الدولي في القاهـــرة بســـبب الإشعاع والتأثير الكبيرين الذين أحدثتهما)، أو لإلغاء عقد نشـــر هـــناك (ما حدث مع مركز الأهرام الذي جاءته الأوامر بعدم نشر ثلاثـــية المفاوضات السرية بعد أن سبق أن وقع عليها عقداً مع هيكل)، أو لمـــنع إذاعـــة حلقات تلفزيونية سجلها التلفزيون المصري معه ومنع بثها بقـــرار سياسي... ما زال هيكل يعاني من الحصار... لكنه يكبر أكثر كلما عانى أكثر... والمفارقة أن من حاصروه أصبحوا هم المحاصرين من قبل هـــيكل. لأن انتشـــار الرجل تجاوز حدود مصر إلى كافة أرجاء العالم... فحـــتى أكبر الصحف اليابانية طلبته أكثر من مرة للكتابة معها نظير مبالغ مالـــية لا تعطـــى إلا لأكـــبر كتاب العالم... وأكبر دور النشر الإنجليزية تجـــري وراءه من أجل إبرام عقود النشر... أما خصومه فهم انتهازيون، متقلـــبون حســـب المصالح الظرفية يبدون الولاء للأقوى... وينقلبون على مـــن كـــانوا يمدحونـــه منذ وقت قصير حينما كان في السلطة... ليمدحوا غيره.

والمســـتوى الثانـــي، هو غياب الموهبة والقدرة الضخمة المتوفرة عـــند هيكل في البحث والتأليف... حيث جاءت جملهم قصيرة بدون روح ولا نفـــس رغم وضوح محاولة تقليد هيكل في كتبهم الكبيرة الحجم الهزيلة المحـــتوى. فشلوا لأن هيكل لا يقلد، وكان الأجدر بهم البحث عن أسلوب

خاص بهم. فهم لا يحسنون الكتابة ولا يمتلكون المنهجية ولا يقدرون على وضع خطة نظرية وأخرى عملية من أجل إنجاز كتاب محترم... تنقصهم الـثقافة وتنقصـــهم المعـــرفة وليست لديهم القدرة على التركيب... فجاء منـــتوجهم هزيلا في شكله ومضمونه باستثناء الورق الفاخر الذي يطبعون علـــيه كتـــبهم... وهم منقطعون عن العالم وعن ما ينشر فيه من دراسات وتقاريـــر هامة وذلك لضعف لغاتهم الأجنبية، وبالأخص اللغة الإنجليزية. وهـــم لـــم يكتـــبوا أبدا بأية لغة أخرى غير اللغة العربية التي لا يحسنونها أصلاً...

أمـــا المســـتوى الثالـــث، فهو مرتبط بالتاريخ، وهو أن هيكل كان صـــديقاً وقريباً من الرئيس الراحل جمال عبد الناصر. وهو زعيم تاريخي كاريزمـــي بالمعـــنى العلمي للكلمة. فإعادة إنتاج صحافي من نوع محمد حســنين هيكل يتطلب في الآن نفسه إعادة إنتاج زعيم مثل الرئيس الراحل جمـــال عـــبد الناصـــر... وهو أمر غير متوفر اليوم وربما تحتاج الأمة العربية وقتاً طويلاً لتنتج نموذجاً جديداً شبيهاً بعبد الناصر...

لكـــل هذه الأسباب فشلوا وسيفشلون ولن يحوزوا على مكانة هيكل ولا حتى على احترام القارئ العربي لهم.

****

نشـــرت كتـــب جديـــدة منذ سنوات قليلة مضت عن هيكل. يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول هو الكتاب النقدي أو لنقل الكتاب التجريحي ومثال ذلك كتاب سيار الجميل، (**تفكيك هيكل: مكاشفات نقدية في إشكاليات محمد حسنين هيكل**، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان 2000). وهو الكتاب الذي سأرد عليه بعد حين.

أما **النوع الثاني** فهو الكتاب التبجيلي تجاه هيكل، وأخص بالذكر كتاب الصحفي المصري عادل حمودة، (**هيكل: الحياة، الحرب، الحب. هو وعبد الناصر**، الفرسان للنشر، القاهرة 2000). وهو كتاب منحاز لهيكل، حيث اتفق في مشاعره وإخلاصه تجاه الرجل، لكنني أعيب عليه سرقاته من كتابي بشكل كبير ومكثف وفي بعض الأحيان باستخدام أسلوب التحايل المعروف عند أي باحث أكاديمي حتى ولو كان ناشئاً، حيث يصل في بعض الأحيان إلى اقتباس فصل كامل دون ذكر المصدر. وهو ما سأبينه لاحقاً.

أما **النوع الثالث**، فهو البحث الأكاديمي، وهو ما لا غبار عليه، لالتزام صاحبه الموضوعية... فقد رصدت صدور كتاب قيم لجمال شلبي هو عبارة عن رسالة دكتوراه كانت في الأصل باللغة الفرنسية نشرت باللغة العربية تحت عنوان : (**محمد حسنين هيكل، استمرارية أم تحول**، ترجمة حياة الحويك عطية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1999.) وهو كتاب يستحق التنويه فعلاً . أما الكتابين الآخرين فيستحقان وقفة.

* * * * * * *

إن الحملة ضد محمد حسنين هيكل مستمرة منذ زمن طويل وليست جديدة. حيث كتبت حول الرجل كتباً كثيرة، أغلبها يهاجمه ويكيل له التهم كيلاً ويحاكمه صحفياً أو "أكاديمياً". آخر هذه الكتب كتاب سيار الجميل حول الصحفي المصري محمد حسنين هيكل الذي جاء تحت عنوان "تفكيك هيكل". وحقيقة لم أكن أعرف سيار الجميل من قبل إلى أن أطل علينا بكتابه. والملفت للنظر أنه وضع صورته إلى جانب صورة هيكل في الغلاف. أي أنهما ندان في نفس المستوى وفي حالة مواجهة. سقط سيار الجميل بوعي منه أو دون وعي في فخ "الأوركسترا العربية الرسمية" التي تريد التشكيك في آخر القلاع الإعلامية المقاومة والتي يعتمدها الصحافيون الشباب كمرجعية أخلاقية تكاد تكون وحيدة في خريطة إعلام عربي منهك ومتقلب.

ولأنني كتبت عن الرجل، ولأني أعتقد أن ما كتبته موضوعياً، فإنني أسمح لنفسي أن أبدي بعض الملاحظات، وأزيل بعض المساحات الضبابية العالقة حول الرجل.

يتهم سيار الجميل هيكل بانعدام الأخلاق لديه. فما هو المقصود بأن كاتباً معيناً يكتب بدون أخلاق؟ عن أية أخلاق نتحدث؟ بالمفهوم العامي أم بالمفهوم العلمي الأكاديمي، تلك الأخلاق التي تحدث عنها ماكس فايبر، فميز بين أخلاق العالم وأخلاق السياسي؟ أم هل نعالج الأخلاق من وجهة نظر شخصية، أي الحياة الخاصة للأستاذ هيكل، يشرب لا يشرب، يصلي لا يصلي، يعشق النساء لا يعشق... أم نكتفي بالنصوص أو ما نسميه في منهج تحليل المضمون أو تحليل الخطاب بالمادة النصية Corpus. اعتقد

أن الأهــم هــو النص، فالعودة إليه ممكنة وهي عملية تحكيمية مشروعة ومحايدة ومنصفة في الآن نفسه.

أود أن أعكــس الصورة القاتمة التي رسمها الكاتب سيار الجميل. أي أن تقديمه لهيكل وكأنه الأقل "أخلاقية" في الوسط الصحافي والإعلامي مســألة مغلوطة. بل على العكس تماماً، هو أكثر الإعلاميين العرب تمسكا بالمــبدأ. والأمــثلة كثيرة. لنبدأ: عندما كان الرجل في أوج مجده، أي أيام الزعــيم الراحل جمال عبد الناصر، لم تسجل عليه نصوصاً مبتذلة كغيره مــن الصــحافيين المتلونيــن، أولئك الذين مدحوا عبد الناصر حد الابتذال وأرادوا أن يؤلهــوه في حياته ثم انقلبوا عليه فيما بعد ليؤلهوا السادات، ثم عادوا الآن إلى الرئيس محمد حسني مبارك. كانوا ملكيين أكثر من الملك، اشتراكيين ثوريين أكثر من عبد الناصر، ثم انفتاحيين أكثر من السادات ثم الآن يؤمــنون بالعقلانية المصرية الجديدة في عهد مبارك. لا لون لهم، لا طعم لهم إلا الالتصاق بالحاكم. أسماؤهم معروفة ولا داعي للتذكير. هؤلاء هم أعداء هيكل. فماذا عن الرجل؟

عــندما قال هيكل "لا" أصبح هيكل الذي نعرفه اليوم. إن "أسطورة هــيكل" برزت بعدما خرج الرجل من السلطة بل تحديداً حينما أصبح في المعارضــة. لــم يكن قبل كتبه "لمصر لا لعبد الناصر"، أو حتى "خريف الغضــب"، معروفاً ككاتب كبير. كان صحافي السلطة، سلطة عبد الناصر التــي انــتقدها فــي مقالات من نوع "زوار الفجر". ولعب أدواراً سياسية متــنوعة كلفــه بها رئيسه. وحينما جاء السادات إلى السلطة، وافقه وعمل معــه حــتى سنة 1974 حينما بدأت بوادر الانحراف تبرز في الأفق. هنا

أتساءل من الذي خان المبادئ؟، من الذي انحرف؟، من الذي تغير؟ هيكل أم السادات؟ الإجابة واضحة ويعرفها الجميع.

لقد عارض الرجل النهج الجديد، وفوجئ اليساريون بأن من اتهموه طويلاً باليمينية والليبرالية هو في الواقع أكثر يسارية منهم حينما تعلق الأمر بالانفتاح وتصفية القطاع العام أو الارتماء في الأحضان الأمريكية الإسرائيلية. أما بعضهم الآخر فهو يريد من هيكل حتى يثبت يساريته أو لنقل وطنيته، أن يحمل السلاح ويلتحق بالجبال كما فعل أرنستو تشي غيفارا. هيكل ليس بغيفارا، ولكنه في الآن نفسه عبر عن وجهة نظر تعد ثورية أيام عهد السادات. لقد رفض الإغراءات والمناصب التي عرضها عليه السادات متشبثا بمواقفه. ويكفيه هذا فخرا. دخل السجن مع غيره، وإن كان لمدة قصيرة حتى مجيء الرئيس محمد حسني مبارك إلى السلطة بعد اغتيال أنور السادات في 6 أكتوبر 1981. ورغم الانفتاح السياسي والإعلامي الكبيرين اللذين حدثا في عهد الرئيس الجديد، فإن آراء هيكل ظلت خطيرة ومؤرقة للحاكم. فهو تقريباً ممنوع من الكتابة في بلده وإن كان ذلك بشكل غير مباشر. حيث سمح له بالكتابة لمدة قصيرة في صحيفة "أخبار اليوم" حتى اندلاع أحداث الأمن المركزي سنة 1986 عندما صدر قرار بوقف نشر مقالاته. وهو محاصر من التلفزيونات المصرية ومعظم التلفزيونات العربية. وكأن أحاديثه ستغير من المشهد السياسي القائم. وحتى أبقى في مسألة "الأخلاق" هذه، أنوه بـ "جائزة جمال عبد الناصر" التي منحها إياه مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت مؤخرا. هل أذكر بمدى إشعاع هذا المركز الفكري والحضاري الفريد من نوعه في الوطن العربي، وهل أذكر بأنه يجمع نخبة النخبة من

أســاتذة الجامعــات والمثقفين العرب الذين يجمعون بين العمق الأكاديمي والالتزام الأخلاقي بمعنى "فاييري" (نسبة إلى ماكس فايبر).

هــل يمكــن القول أن ملايين القراء العرب الذين ينهلون من كتب الأستاذ محمد حسنين هيكل، هم مغفلون لأنهم لم يكتشفوا "انتهازية" هيكل؟ أو لا تعكــس هذه الشعبية الساحقة حقيقة سوسيولوجية مفادها أن ما يكتبه هذا الرجل يوجد فيه الكثير من الصدق ويتميز بالوفاء على الأقل في زمن انقلــب فــيه الكثيرون إن لم أقل الجميع؟ هيكل جدف ضد التيار لذلك تبناه القراء العرب. وأصبح شبه أسطورة حينما قال "لا". أما منتقديه فقد انقلبوا أكثر من مرة ولا يوجد في تاريخهم أية كلمة انتقاد إلا ما يسمح به الحاكم.

بعضهم الآخر يلوم محمد حسنين هيكل في منهجه البحثي ولماذا لا يوثــق؟ ولماذا لا يستخدم الهوامش؟ ولماذا لا يستخدم المناهج الأكاديمية؟ لماذا هو غير مطلع على مدرسة الحوليات الفرنسية في التاريخ؟ ولماذا لا يعــود إلــى المؤرخين الكبار أمثال أرنولد توينبي أو الجدد أمثال تشارلز تيلــي أو حتى تيدا سكوشبول أو برنت كراين؟... لماذا لا يستخدم النماذج الــنظرية؟ ... وفــي النهاية قد يطالبونه، لماذا لا يدرس مادة علم التاريخ المعاصر في جامعة أكسفورد؟... الرجل قال أنا لست بمؤرخ وإنما مجرد صحافي، شاهد في التاريخ... فلماذا نطبق عليه ما لا يطبق على من كان مــثله؟ هــو صــحافي، وشاهد عاش ويعيش أحداثاً دونّها بطريقته، كتبها ونشرها فجذبت انتباه الكثيرين. فما الذي يراد منه أكثر من ذلك؟ التدريس فــي أكسفورد؟ هو غير قادر على ذلك وهذه ليست مهمته. لقد قام بواجبه في حدود عمله ونجح في ذلك أيما نجاح.

لأجل ذلك أرى التباساً في "المحاكمة الأكاديمية" التي أجراها سيار الجميل. فهو أولاً كثيراً ما خرج عن الموضوعية، عن الكتابة بتلك اللغة الهادئة غير المتشنجة، ما نسميها لغة علمية، ليسقط في تشنج أعصاب ويخاطب هيكل مباشرة وكأنه في خصام معه في برنامج "اتجاه معاكس" (ما رأيك يا هيكل، أليس كذلك يا هيكل، لماذا لا تقول لنا يا هيكل)... في النهاية أصبحت محاكمته صحفية وليست أكاديمية كما أراد أن يوحي للقارئ منذ السطور الأولى في كتابه.

ثم ثانياً وهو الأهم، تعامل سيار الجميل مع هيكل مفترضاً أنه مؤرخ وهو الخطأ المنهجي الكبير الذي وقع فيه منذ بداية الكتاب إلى آخره. كيف يمكن أن تطلب من صحافي أن يلبي شروط المؤرخ الأكاديمية الدقيقة؟ "إن محمد حسنين هيكل كان ذكياً في هذه المسألة، حيث تفطن لها مبكراً، عندما نفى عن نفسه قطعياً صفة المؤرخ. وقال عن نفسه "أبعد الأشياء عن مقاصدي أن أجعل من هذا الكتاب (سنوات الغليان) محاولة لـ"كتابة التاريخ" والحقيقة أنه محاولة لـ"قراءته"، وهذا معنى كررته كثيراً في وصف ما أكتبه وما زلت متمسكاً به. وليس من باب التواضع أن أقول أن "كتابة التاريخ" ليست صناعتي ولا أنا مدعيها، وليس من باب التفاخر أن أقول أن "قراءة التاريخ" حقي لأنها حق كل مهتم بالشؤون العامة. ولعلي لا أتزيد إذا قلت أن "قراءة التاريخ" كانت أصعب بالنسبة لي لأنني عشت وقائعه، وكان علي لكي أقرأه بأمانة أن أضع للاختبار كثيراً مما كنت أظن أنني أعلمه، وأن أطرح للمراجعة كثيراً مما كنت أتوهم أنني أفهمه" (هيكل: سنوات الغليان، 12-13). ويقول عن نفس الكتاب "... لأننا يجب أن نتذكر أن هذا الكتاب ليس رسالة دكتوراه

حتى أناقش فيه القضايا من خلال جزئية هنا وأخرى هناك، وإنما أنا أكتب كـــتاباً هـــو عبارة عن قراءة صحافية للتاريخ من المفروض أن تصل إلى أكبر عدد من القراء، واعتقد أن الكتاب حاول تحقيق هذا الهدف، فخطابي لـــيس موجهاً إذاً إلى الأكاديميين وإنما إلى عامة القراء" (هيكل في حوار مع دورية المستقبل العربي: عدد 128).

إن كـــتابة هيكل، حسب اعتقاده، هي قراءة صحفية للتاريخ، وليست عملـــية تأريخ، وهنا ينجح الرجل في الابتعاد وتجنب أي مساءلة أكاديمية تاريخـــية منهجية. إذن كيف يطلب سيار الجميل من الصحافي أن يتحول إلـــى مـــؤرخ؟ لمـــاذا لم يدرسه كصحافي. لماذا لا يدرس مثلاً فن الكتابة الصـــحفية عـــند هيكل، ذلك الأسلوب الشيق الذي يمسك بالقارئ من أول جملـــة إلـــى آخر سطر. نعلم جميعاً أن هيكل يبيع مئات الآلاف من نسخ كتـــبه، والســـر فـــي ذلك هو الرواية الصحفية عند هيكل. فهيكل روائي ممـــتاز. ولو التزم بمطالب سيار الجميل في التوثيق ووضع الهوامش في كـــل جزئية لثقلت كتبه وتحولت إلى ما يشبه الكتب الأكاديمية، لأن هيكل لـــيس له تكوين جامعي عال. وفي الآن نفسه لما تجاوزت مبيعات الكتاب الواحد بضعة مئات مثله مثل بقية الأكاديميين. فالكتاب الأكاديمي نخبوي، أمـــا الكـــتاب الصـــحفي فهو موجه للجمهور العريض. وهو ما نجح فيه هيكل.

اعـــتقد أن ما يميز هيكل أيضاً هو ذهابه المباشر للحدث دون تلك الديـــباجات المطولـــة التـــي اعـــتاد علـــيها الصحفيون العرب وكثيراً ما يستعرضـــون فيها إمكانياتهم كوعاظ أخلاقيين يتفننون في الإشادة بالمبادئ الخـــيرة (وهـــم على كل حال أبعد ما يكون عن ذلك في حياتهم اليومية).

هيكل أسس لمدرسة جديدة في الصحافة في الوطن العربي، وهي المدرسة السائدة في أوروبا وأمريكا، شعارها اذهب إلى الحدث مباشرة دون حشو واستطراد وكلام شاعري أخلاقي... نجح هيكل في هذه المهمة، وهي حسب رأيي من أهم الأسباب التي جعلته يحتل الصدارة.

من المؤكد أن محمد حسنين هيكل يستفيد من الكتب التي تنتقده أكثر من الكتب التي تمدحه وتتوه به. فالكتب النقدية هي الأكثر قراءة. لأنني من الذين يعتقدون أن الكتابة هي نقد أو لا تكون. ومن المؤكد أن هيكل أصبح أسطورة الصحافة العربية بفضل الحملات التي تعرض إليها. سواء جاءت من صحافة السادات أو من غيرها. فالذي يقرأ النقد حري به أن يقرأ الأصل. أي المنقود.

اعتقد أن محمد حسنين هيكل ينتمي إلى مدرسة قديمة في الصحافة انتهت وولت بدون رجعة. هو ارتبط بزعيم كبير، بجمال عبد الناصر، فعاش أحداثاً كباراً عن قرب. ورواها بأسلوبه كشاهد وليس كمؤرخ على عكس البعض الذي اعتقد في أن هيكل مؤرخ. لأنه لا يميز بين التاريخ والكتابة في التاريخ.

إن مدرسة هيكل الصحفية التي تعتمد كتابات مثل "شربت قهوة مع عبد الناصر، أو التقيت في بهو القاعة بالقذافي، أو سألني الملك الراحل بمرح.." انتهت، أو في طريقها إلى النهاية. اعتقد أن المدرسة الصحافية العربية الجديدة ستراعي تطور القارئ العربي الذي أصبح متعلماً جيداً. والكاتب الصحفي القادم سيكون كبير الثقافة والدراية بعلم التاريخ وعلم السياسة والاجتماع، حيث سيطلب منه تحليلات سوسيولوجية تتجاوز مجرد المعلومات لتصل إلى ضرورة التفسير الاجتماعي للأحداث. إنني

أتحـدث هنا عن المقال المعمق ومقال الرأي وليس عن المقال الإخباري. ولـيس سراً مثلا القول أن كتابات هيكل تخلو من مثل هذه التحليلات. لا اعـتقد أن هـذه المدرسـة قادرة على فهم أو شرح مفاهيم من نوع أزمة الطبقة المتوسطة في الوطن العربي. أو نظريات التحول الديموقراطي، أو المعنى السوسيولوجي للدولة، أو الحزب، أو السلطة.

وقد برزت ظاهرة صحية في الصحافة العربية، وبخاصة الصحافة الصـادرة في لندن، تتمثل في إعطاء مساحة واسعة لأساتذة علم الاجتماع والسياسـة والتاريخ... لتحليل الأحداث، ومحاولة تفسيرها. فاقتربت العلوم الاجتماعية من القارئ العربي، بحيث تم تبسيطها.

ورغـم كـل ذلك اعتقد أن كتابة هيكل ممتعة وتمكنت من اختراق وجـدان الملاييـن مـن العرب. واعتقد أن سر ذلك أن هيكل يتحدث عن مرحلة الأمل التي عاشها العرب في الخمسينيات والستينيات. وهم بذلك قد يكونـوا يحـنون إلى الماضي أكثر من إعجابهم بأسلوب ومنهج هيكل في الصحافة.

****

كـيف تفطنـت إلى سرقات عادل حمودة المتكررة من كتابي؟ في الـبداية، لفت انتباهي صديق مصري، قرأ منذ سنوات كتابي وأعجب به، إلـى كـتاب حمـودة. وقال لي لقد لاحظت كثيراً من الفقرات والفصول المتشابهة بين كتابيكما وبما أنك سبقته تقريباً بثماني سنوات في نشر عملك فهـو الذي سرقك ولا يعقل أن تكون أنت. وأسرعت بقراءة الكتاب وكنت

لا أستطيع من حين لآخر أن أكتم ابتسامة ساخرة وأنا أعثر على "سرقة حمودية" هنا و"سرقة حمودية" أخرى هناك، تكبر أحياناً فتكبر معها الخطيئة وتصغر أحياناً أخرى... والسبب هو أنني كنت أقرأه حتى دون أن أعود في كل لحظة إلى كتابي، ذلك أنه محفور في ذاكرتي... فكنت أقرأ حمودة دون أن أجهد نفسي بالبحث عن سرقاته، ذلك أنني أراها كما لم يرها أحد وأجدها دون عناء. ولم أعد إلى كتابي إلا وأنا أكتب هذه السطور فقط لمجرد توثيق الجرم ومسك السارق متلبساً به وذلك من خلال تثبيت أرقام الصفحات المعنية.

والغريب في كتاب حمودة هو افتخاره بنفسه. فالرجل كتب في الصفحة 51 متحدثا عن نفسه : "...وكنت أميل إلى تفسير هيكل الذي قاله في حواره مع محمد عبد القدوس في جريدة "الشعب" عقب خروجي غير المفهوم من روز اليوسف : "إن عادل حمودة من ألمع الصحفيين المصريين الذين ظهروا في الفترة الأخيرة بصرف النظر عن اختلاف البعض معه في أسلوبه وآرائه.. ومن مميزاته أنه أعطى هامشاً من الحرية يزيد عن ما هو مألوف وهذه إيجابية لصالحه فمهمة الصحفي باستمرار أن يعمل على توسيع هامش الحرية المسموح بها بحكم الظروف وواقع الحال الذي لا يمكن إنكاره.. ولست في الحقيقة أعرف الدوافع والأسباب التي أدت إلى انتقاله من روز اليوسف إلى الأهرام.. وما تم إعلانه في هذا الصدد لا يبدو لي مقنعاً.. لكن يبقى أنه انتقل إلى الأهرام واعتقادي أن عمله هناك يمكن أن يكون بداية ممتازة لنقلة أخرى نوعية في عمل صحفي لامع".

وأضـيف أنـا لكلام هيكل، أن من ميزات عادل حمودة أيضا هو سـرقة السطور والصفحات وحتى الفصول دون ذكر المصادر والمراجع. ولسـت أدري كيف يمكن لحمودة الذي تم مسكه متلبساً بالجرم الموصوف أن يكـون مـن "ألمع صحافيي مصر" بعد أن يطلع القارئ على الفقرات القادمة؟!

وأقول له أيضاً، بقيت لك فرصة وحيدة وأخيرة وهي الاعتذار عما حـدث، منـي أولاً ومـن قارئك ثانياً في مقدمة كتابك الجديد عن هيكل. وعلـيك تدارك الأمر وذكر كل مرجع ومصدر أخذته من أي كاتب آخر. علـيك التميـيز بين أفكارك وأفكار غيرك، بين استشهاداتك واستشهادات غـيرك، بيـن فصولك وفصول غيرك... وأقول لك مرة أخرى لماذا لم تذكر كتابي في كل مرة تعود فيها إليه، فقط تذكر الكتاب ورقم الصفحة أو تشير إلى أن هذا الفصل أو ذاك قد سبقك إليه كاتب آخر تناوله وأنت تعيد اقتباسـه. فيصـبح كـتابك إضافة جديدة، بل يصبح كتاباً ممتعاً باعتباره أنصـف هـيكل تجـاه خصـومه من جهة ولاعتبارك بحثت في الجانب الطريف من حياته من جهة أخرى...

أحكـم محمـد حسـنين هـيكل الذي قرأ الكتابين في ما كتبته من سطور... وأحكم القارئ المصري والقارئ العربي وبالخصوص أي أستاذ جامعي يعرف أساليب التحايل والسرقات الفكرية، بل حتى أحكم أي باحث أو طالـب ناشـئ... فالمسألة لا تحتاج إلى كبير عناء حتى يمسك عادل حمودة متلبسا بسرقاته.

أقدم في هذه السطور التالية بعض سرقات عادل حمودة وليس كلها وذلـك حـتى لا يـثقل هذا التقديم والتي جاءت في كتابه "هيكل، الحياة،

الحـــرب، الحـــب. هـــو وعبد الناصر"، وأنا في انتظار كتابه الثاني "هو والسادات ومبارك"، وكلي شوق للاطلاع على سرقاته الجديدة.

****

كـــان من الممكن أن يكون كتاب الصحفي عادل حمودة ممتعاً لو لا أنـــه بـــالغ فـــي استخدامي دون ذكري واكتفى بأن أشار إلى اسمي وإلى رســـالتي الجامعية مرة واحدة وفي جملة واحدة في الصفحة 41. ثم يختفي الاســـم والكتاب من الصورة لكن أفكاري لا تختفي بل حتى فصولي يعاد كتابـــتها بمـــا نسميه باللغة الفرنسية (paraphrase) وكأنها اكتشفت لأول مـــرة. في حين أنه ذكر مؤلفين آخرين باستمرار. وكان يمكنه أن لا يذكر أحد في الهوامش، فالكتب الصحافية يمكنها أن لا تستخدم الهوامش وتكتفي بذكـــر المـــراجع والمصادر التي استخدمت في آخر الكتاب. يمكن لعادل حمـــودة أن يفعـــل ذلك أما أن يشير تارة إلى هذا ويسرق تارة أخرى من ذاك دون إشارة فهو ما لا يقبل. ويمكنني أن أحدد سرقات الصحفي عادل حمودة في ما يلي:

أولاً : في بعض الأحيان يصل الأمر إلى استعادة بنية فصل بأكملها مـــثل فصل "الصحافة بين الحرية والحكومة" الممتد من صفحة 241 إلى صفحة 265. وهو في الأصل فصل كتبته عنوانه "هيكل وتنظيم الصحافة في عهد عبد الناصر".

ثانياً : استعادة ما اقتبسته من كتب هيكل ووضعته بين قوسين، فإن عـــادل حمودة يستعيده بدوره ويشير إلى رقم الصفحة ورقم الكتاب وكأنه هـــو نفســـه قرأ الكتاب ولم يصل إلى الاقتباس عن طريقي. فأنا أمضيت ثـــلاث ســـنوات لأقرأ كل كلمة وكل سطر في كتب هيكل ولأؤشر عليها مســـتخدماً مـــنهجاً أكاديمـــياً يتطلب الكثير من الوقت في تحديد المعلومة وانتقائها ونقلها في جذاذة ورق صغيرة ووضعها في ظرف خاص بالفقرة المناســـبة في الخطة (الفهرست)... ثم استغلالها لما تأتي مرحلة التحرير النهائـــي... في حين أن عادل حمودة أخذ كل شيء جاهزاً وكأنه هو الذي بحث فيه وهو الذي جمع المعلومات والاستشهادات.

ثالثا: أخذ أفكار ومعلومات كثيرة من كتابي دون أن يشير للمرجع. والأمثلة على ذلك كثيرة :

- إن أكبر سرقات عادل حمودة على الإطلاق هو سرقته لإشكالية رســـالتي الجامعـــية فـــي معهد الصحافة وعلوم الإخبار في تونس والتي ناقشـــتها كمـــا سبق أن ذكرت سنة 1992 ونشرت كتاباً في نفس البلد في سنة 1993 ونشر في القاهرة في سنة 2000.

يكتـــب حمودة في كتابه وفي الصفحة 57 "وهناك قضية جوهرية ثانـــية فـــي سيرة هيكل.. هل كان شاهداً على عصوره أم كان شريكاً في صـــياغة بعضـــها.. هـــل نعامله كسياسي لعب دوراً فيما جرى أم نعامله كصـــحفي كانت مهمته المراقبة والكتابة؟.. بصيغة أخرى.. كيف تداخلت وتشابكت خيوط الصحافة مع أسلاك السياسة الشائكة؟

لقد كتبت منذ أكثر من عشر سنوات في الصفحة 21 من كتابي "هــيكل أو الملف السري للذاكرة العربية" (طبعة تونس 1993 أو طبعة القاهرة 2000. ويمكن أن يجد القارئ نفس السطور في كتابي هذا مع مــراعاة الفرق في عدد الصفحات حيث أضفت هذه المقدمة الجديدة) ما يلــي : "..إن هـــذه النماذج المتكررة عبر التاريخ تطرح مسألة معقدة وهامـــة. وهي علاقة الصحافة بالسياسة عندما يمارسهما نفس الفرد. أي ماذا يحدث حينما يكون السياسي صحفياً؟..والإشكالية التي تطرحها هــذه الرسالة، ليست من النوع البيوغرافي البحت، ذلك أنها تبحث في حــياة هــيكل مـــن جانبــيها الصحفي والسياسي وتهتم أساساً بالفترة الممـــتدة من سنة 1952 إلى سنة 1981. إن المشكل المطروح يتمثل فـــي السؤال التالي : كيف عاش هيكل حياته الصحفية والسياسية طيلة الثلاثيـــن ســـنة تقريباً؟" ...ثم أضفت في الصفحة 28 "إن الإستراتيجية الـــنظرية التـــي اعتمدت في هذه الرسالة انطلقت من فكرة الفصل بين الحـــياة الصحفية والحياة السياسية عند محمد حسنين هيكل وهو فصل اعتباطي، لا يمكن أن يحدث في الواقع وإنما استدعته ضرورة منهجية ملحة...".

ـــ ورد فـــي كـــتاب عادل حمودة في الصفحة 20 ما يلي "..فمثل هـــذه العلاقـــة كانـــت متاحة لعدد آخر من نجوم الصحافة.. إحسان عبد القدوس.. حلمي سلام.. احمد بهاء الدين.. مثلاً".

وهو ما جاء في الصفحة 126 من كتابي : "لم يكن محمد حسنين هـــيكل هـــو أقـــرب الصـــحفيين إلـــى جمال عبد الناصر، فقد كان هناك

صحفيون آخرون أقرب مثل إحسان عبد القدوس ومصطفى أمين وحسين فهمي واحمد أبو الفتوح وحلمي سلام، وكلهم كانوا أصدقاء لعبد الناصر". وكنت قد أخذت هذه المعلومة من حواري الطويل مع سامي شرف، يجدها أيضا القارئ في الملحق.

ـ ورد في كتاب عادل حمودة في الصفحة 21 ما يلي "لقد ظل هيكل حديث العالم سنوات طوال بعد رحيل عبد الناصر.. ولعل ما قاله أنتوني ناتنج وزير الدولة الأسبق للشؤون الخارجية في حكومة أنتوني إيدن لهيئة الإذاعة البريطانية في 14 ديسمبر 1978 يثبت ذلك.. قال: "عندما كان هيكل قرب السلطة كان الكل يهتم بما يعرف.. وعندما ابتعد عنها تحول اهتمام الكل إلى ما يفكر فيه". الغريب في هذه الجملة الأخيرة أن حمودة وضعها بين قوسين وما انتظره منه عملياً هو وضع الهامش في آخر القوسين لمعرفة من أين أخذ هذه المعلومة. لكنه كعادته يمارس التوثيق بشكل اعتباطي دون أي ضابط علمي.

واعتقد أنه أخذ هذه المعلومة من كتابي حيث كتبت في الصفحة 17 وفي المقدمة ما يلي "وقال عنه "انتوني ناتنج" وزير الدولة البريطاني السابق للشؤون الخارجية في وزارة "إيدن" "عندما كان قرب القمة كان الكل يهتمون بما يعرفه... وعندما ابتعد عن القمة تحول اهتمام الكل إلى ما يفكر فيه" وذلك ضمن برنامج عن محمد حسنين هيكل، أخرجته هيئة الإذاعة البريطانية ووضعته على موجاتها يوم 14 ديسمبر 1978 في سلسلة صور "شخصية" بعد أن سئل عن تقييمه له في فترة اقترابه من القمة في مصر وفترة ابتعاده عنها".

ووضــعت هامشــاً لهــذه المعلومة في أسفل الصفحة، جاء فيه: محمد حســنين هــيكل، السـلام المستحيل والديموقراطية الغائبة، رسائل إلى صــديقي هــناك، **شــركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الثانية، بيروت 1982، ص 16. أما الأخ عادل فهو لا يكلف وسعه الرجوع إلي ولا حــتى الــرجوع إلى هيكل عن طريقي، وكأن هذه المعلومات وهذه التصريحات جاءته وحياً من السماء.**

– يكتــب حمــودة في الصفحة 180 من كتابه "وفي مقابل ما كان يــنقله هيكل لعبد الناصر مما يجرى في صحافة العالم وأحداثه أول بأول كــان يحصــل علــى كل وثائق الدولة أول بأول.. وهكذا.. بدا هيكل في المــنطقة الوسـطى بيــن دور الشــاهد ودور المشــارك.. بين الصحافة والسياسة.. وهذه قصة أخرى.

وكتبــت في كتابي وفي الصفحة 86 ما يلي "فبقدر ما أعطى هيكل مــن معلومات لعبد الناصر، بقدر ما استفاد بحكم قربه من مركز القرار، وبقــدر ما استخدمها كسلاح قوي لحماية نفسه والدفاع عن عبد الناصر وتجربته.

ـ تكــررت سرقات حمودة بنفس الأسلوب دائماً في فصله رقم 23 المعــنون "صــحيفة شــاخت مع الأيام" وهو فصل شديد الشبه إن لم أقل مــنقولا بالكامل من الفصل الثاني من كتابي والمعنون بــ"تجربة الأهرام". يكتــب حمودة في كتابه وفي الصفحة 211 "لقد جاء مؤسس الأهرام سليم تقــلا مــن سوريا هرباً من جور السلطان عبد الحميد الذي كان يمد نفوذه

المباشـــر من تركيا على سوريا.. وفي الوقت نفسه لم يتردد سليم تقلا في أن يضـــع نفســـه في خدمة الخديوي إسماعيل الذي كان مهووساً بالدعاية وحب الظهور.. فكان أن قدم التماساً في 27 ديسمبر 1875 بإنشاء مطبعة الأهرام.. ووافق الخديوي إسماعيل.. وفي 5 أغسطس 1876 صدر العدد الأول مـــن الأهرام الأسبوعية في 4 صفحات.. وابتداء من يوم الاثنين 3 يـــناير 1881 أصبحت الأهرام جريدة يومية.. وفي أول أغسطس 1957 وعلى صدر العدد رقم 26000 وضع اسم هيكل رئيساً للتحرير".

وكنـــت قـــد كتبـــت في كتابي وفي مطلع الفصل الثاني (تجربة الأهـــرام) وفي الصفحة 51 ما يلي "كان "سليم تقلا" صاحب الأهرام واحد من الصحفيين الذين جاؤوا إلى مصر من سوريا تزلفاً للخديوي إسماعيل الـــذي كان يميل بطبعه إلى الدعاية ويسيطر عليه حب الظهور، وكان في حاجـــة إلـــى صحافة تؤيده..وقد جاء صاحب الأهرام لهذا السبب وأيضا هرباً من جور السلطان العثماني عبد الحميد وبطشه.

وفـــي 27 ديســـمبر 1875 قـــدم ملتمساً لإنشاء مطبعة الأهرام ووافقت عليه الحكومة.

وصـــدر العـــدد الأول من الأهرام في 5 أوت سنة 1876 متكوناً مـــن 4 صفحات ثم أصبح صحيفة يومية ابتداء من يوم الاثنين 3 جانفي 1881. ووضـــعت الهـــامش التالي: سمير صبحي، صحيفة تحت الطبع، دار المعارف، الطبعة الثانية، القاهرة، 1980، ص 54-55-56. (وأنكر أننـــي اشـــتريت الكـــتاب من معرض تونس الدولي للكتاب) في حين لم يســـتخدم حمـــودة أي هامش وإنما تبنى كل المعلومات وكأنها من بنات

أفكـــاره. وأضـــفت مباشرة "وفي سنة 1957 يصبح محمد حسنين هيكل رئيساً لتحريره".

وتـــتكرر في هذا الفصل كثرة "اقتباسات حمودة" ولا أود أن أثقل علـــى القـــارئ بـــالعودة فـــي كل مرة إلى تفاصيل سرقات حمودة وهي كثيرة.. وله أن يعود إلى الكتابين إن شاء.

– فـــي بعض الأحيان لا يكتفي حمودة بسرقاته الطويلة هنا وهناك بـــل يصـــل به الأمر إلى أخذ فصل كامل من كتابي ليتبناه مغيراً العنوان ومغـــيراً ترتيب الفقرات، ومضيفاً بعض الأشياء... ومثال على ذلك فصل رقم 26 الذي جاء في كتابه تحت عنوان "الصحافة بين الحرية والحكومة"، وورد فـــي الصـــفحة 241. **وهو في الأصل الفصل الثالث الذي جاء في كتابـــي تحت عنوان "هيكل وتنظيم الصحافة" في عهد عبد الناصر". وقد نقـــل بشكل مكثف مني في صفحات كتابه رقم 248 و249 و250 وحتى 285... ويـــبقى الأهم أن الفصل بأكمله كبنية وفكرة أخذ من كتابي دون ذكـــر المصدر. وللقارئ أن يعود إلى التفاصيل إن شاء. فلا أريد أن أثقل عليه بإعادة عشرات الجمل التي سرقها حمودة من كتابي. فهي على أية حال متوفرة لمن يقرأ الفصلين ويقارن بينهما.**

– يكتـــب حمودة في الصفحة 86 "ويعترف هيكل بأن تجربة العمل كمراســـل حربـــي قـــد استهوتني".. ويستطرد "وهكذا وجدتني باحثاً عن المتاعـــب فـــي كـــل مكـــان أغطي الحوادث الساخنة في الشرق الأوسط وحوله.. ومن الحرب الأهلية في اليونان وقد شملت كل البلقان إلى حرب

فلسـطين من أولها إلى آخرها إلى سلسلة الانقلابات العسكرية في سوريا إلـى عملـيات الاغتيال الكبرى في المنطقة من اغتيال الملك عبد الله في القـدس إلـى اغتيال رياض الصلح في عمان إلى قتل حسني الزعيم في دمشـق ثم إلى ثورة مصدق في إيران ثم اتسعت المسافات فإذا أنا أغطي المشـاكل الملتهـبة في قلب إفريقيا ثم حرب كوريا وحرب الهند الصينية الأولـى". ويضـع حمودة الهامش التالي : هيكل بين الصحافة والسياسة، المصدر السابق، ص 41.

وقـد سـبق أن كتبـت فـي كتابي وفي الصفحة 43 ما يلي "قام الصـحافي الشـاب بتغطـية الحوادث الساخنة في الشرق الأوسط وفي العـالم، فغطى الحرب الأهلية في اليونان ومنطقة البلقان وحرب فلسطين مـن أولهـا إلى آخرها. وكذلك سلسلة الانقلابات العسكرية في سوريا، وأيضـا عملـيات الاغتيال الكبرى في المنطقة، من اغتيال الملك عبد الله إلـى اغتيال رياض الصلح في عمان إلى قتل حسني الزعيم في دمشق ثم إلـى ثورة مصدق في إيران، ثم اتسعت المسافات فإذا به يغطي المشاكل الملتهـبة فـي قلب إفريقيا ثم حرب كوريا وحرب الهند الصينية الأولى". ووضـعت هامشا في كتابي في الصفحة 43 جاء فيه : المصدر السابق، ص 41. (وكان المصدر السابق بين الصحافة والسياسة).

- كتـب حمـودة في كتابه وفي الصفحة 86 : "لقد دفعته الصور المـبكرة للخطر التي صاغها في مخيلته عم حامد للتجول خمس سنوات فـي بداية حياته الصحفية .. وهو ما أدى إلى حصوله على جائزة فاروق الأول للصـحافة ثـلاث مرات.. قرر بعدها أن لا يتقدم للجائزة ويتركها

لغـــيره.. وعندما عاد إلى القاهرة ليستقر فيها اكتشف أنه لفت الأنظار بما كـــان يكتب.. لكن الأهم أنه كما يقول "أصبحت على معرفة وثيقة بأحوال شعوب المنطقة ومعرفة شخصية بكل ساستها وحكامها وعلى صلة بجيلي مـــن الصـــحفيين فـــي العالم الواسع فقد جمعتنا معا ميادين القتال ومواقع الأحـــداث علـــى طـــول المســـافة الممتدة من شواطئ المحيط الهادئ إلى شواطئ الأطلنطي.. وأهم من ذلك كله أن أبواب السياسة المصرية تفتحت أمامـــي علـــى مصـــراعيها.. وكـــان ساسة مصر وقتها قد تعودوا على مجموعـــات مـــن الصحفيين يقفون على أبواب دور الرئاسات والوزارات يســـألون الداخلين والخارجين عن الأخبار. وكان من حسن حظي أنني لم أقـــف علـــى بـــاب أحد ولم أسأل أحد في شيء أثناء مروره في ردهة أو نـــزولـــه على سلم خروج. ولقد سبب لي ذلك حساسيات مع البعض. ومع الأسف لم استطع إقناعهم أن الحياة مع الخطر هي التي فتحت لي الأبواب وأعفتنـــي مـــن الوقـــوف على الأعتاب". ويضع حمودة الهامش التالي : المصـــدر الســـابق، ص42. ويضيف في الفقرة التالية "ويتذكر هيكل على ســـبيل المثال "أني حين عدت من فلسطين لأول مرة بعد أن كتبت سلسلة تحقـــيقات بعـــنوان "الـــنار فوق الأرض المقدسة"، تلقيت دعوة من رئيس الـــوزراء في ذلك الوقت محمود فهمي النقراشي (باشا) يطلبني إلى مكتبه ليســـألني عمـــا رأيت ويدقق في السؤال.. لم تكن مصر قد قررت دخول الحرب". ويضع الهامش الموالي: المصدر السابق، ص41.

بيـــنما كنت قد كتبت ما يلي في الصفحتين 43 و44 من كتابي "لقد حقـــق نجاحـــاً كبـــيراً جعله تقريبا من ألمع الصحفيين الشبان في مصر، وتمكـــن مـــن ربـــط مجموعـــة مـــن العلاقات الخاصة مع كبار الساسة

والصــحفيين فـــي العـــالم يقول عنها : "إنني أصبحت على معرفة وثيقة بـــأحوال شعوب المنطقة ومعرفة شخصية بكل ساستها وحكامها، وعلى صـــلة بجيلـــي مـــن الصحفيين في العالم الواسع، فقد جمعتنا معا ميادين القــتال ومواقـــع الأحداث على طول المسافة الممتدة من شواطئ المحيط الهادي إلى شواطئ المحيط الأطلنطي". ووضعت الهامش التالي: المصدر الســـابق، ص41. ثم أضفت في فقرة ثانية وفي صفحة 44 من كتابي : "أما في مصر، فإن نجاحه جعل القادة السياسيين ورجال الدولة والأحزاب يهـــتمون بالتعرف عليه، والتعاون معه، وإعطائه الأخبار، بل وصل الأمر إلى أن استعان به رئيس الحكومة وأخذ رأيه في مسألة دخول الحرب في فلســـطين ويبين ذلك هيكل في قوله "إن أبواب السياسة المصرية تفتحت أمامـــي علـــى مصراعيها، وكان من حسن حظي، أنني لم أقف على باب أحد ولم أسأل أحداً في شيء أثناء مروره في ردهة أو نزوله على سلم، وكان ساسة مصر وقتها قد تعودوا على مجموعات من الصحفيين يقفون علـــى أبواب دور الرئاسات والوزارات يسألون الداخلين والخارجين عن الأخـــبار. ولقـــد ســـبب لـــي ذلك حساسيات مع البعض، ومع الأسف لم اســـتطع إقـــناعهم أن الحـــياة مـــع الخطر، هي التي فتحت لي الأبواب وأعفتنـــي من الوقوف على الأعتاب. وأتذكر على سبيل المثال أنني حين عـــدت لأول مرة بعد أن كتبت سلسلة تحقيقات بعنوان "النار فوق الأرض المقدســـة"، تلقيت دعوة من رئيس الوزراء في ذلك الوقت محمود فهمي النقراشـــي (باشـــا) يطلبنـــي إلـــى مكتبه ليسألني عما رأيت ويدقق في سؤالي، ولم تكن مصر قد قررت دخول الحرب". ووضعت الهامش الآتي: المصدر السابق، ص41.

- يكتب عادل حمودة في كتابه وفي الصفحة 136 ما يلي "وفي كل الأحـــوال فإن أخبار اليوم أصبحت المدفعية الثقيلة الموجهة إلى الوفد تدك مواقعه دكاً عنيفاً صباح كل سبت.. وكان الوفد في موقف لا يحسد عليه.. مطـــرود مـــن الحكم بالإقالة.. ومحاصر تحت دك المدفعية الثقيلة لأخبار الـــيوم..". ويضع الهامش التالي: هيكل، المصدر السابق، الصفحات 30 و 31 و34. ثم كتب في الفقرة التالية "وبدأ التابعي يسعى جاهداً لتطوير آخر ســـاعة حتى تستطيع أن تقف مع الوفد في وجه المدفعية الثقيلة الجديدة".. لكن.. هيكل يضيف: "ربما كانت هناك أسباب أخرى منها أن التابعي كان يعتبر نفسه أستاذاً لمصطفى وعلي أمين.. وربما شق عليه معنوياً أن يرى مجلـــة أســـبوعية سياسية جديدة يصدرانها تسبق مجلته وتفوقها بكثير من نواحي عدة".

ويســـتطرد هيكل : "ومع أني كنت قد أصبحت سكرتير تحرير آخر ســـاعة فإن عملية التطوير الجديدة تولاها التابعي بنفسه وظلت بنودها في رأســـه يـــنفذها واحداً بعد واحد".. "ومن سوء الحظ أن التجربة لم تنجح.. وفـــوق ذلك فإن مصروفات آخر ساعة زادت بأكثر من توقعات التابعي".. وكـــان.. "أن قـــرر التابعـــي في نوبة ملل أو نوبة يأس أن الوقت قد حان لـــيرفع عن كاهله أعباء ملكية مجلته.. لقد قرر أن يبيع آخر ساعة.. وقد أتفـــق على بيعها فعلاً.. والمشتري الجيد هو أخبار اليوم.. مصطفى وعلي أمين". ويضع الهامش التالي: المصدر السابق، الصفحات 30 و31 و34.

وكنـــت قـــد كتبـــت في كتابي وفي الصفحة 38 ما يلي: "ففي كل الأحـــوال فإن "أخبار اليوم" أصبحت المدفعية الثقيلة الموجهة إلى "الوفد"

تــدك مواقعــه دكــاً عنــيفاً صباح كل سبت". ووضعت الهامش التالي: المصدر السابق، ص30. وأضفت مباشرة "وإزاء هذه التطورات الجديدة وجــدت "آخر ساعة" نفسها في موقف حرج مما دفع صاحبها إلى العمل علــى تطويرها حتى تتمكن من الدفاع عن "الوفد" ومن مواجهة المنافس الجديــد. ورغــم أن هــيكل كان يشغل خطة سكرتير تحرير المجلة، فإن عملــية الــتطوير الجديــدة تولاها بنفسه، وظلت معظم بنودها في رأسه يــنفذها واحــداً بعــد واحــد، ولقــد كانت لهيكل – بغير تجاوز- آراء وملاحظات لكن التابعي كان بعواطفه كلها مندفعاً إلى ما يراه. ومن سوء الحظ أن التجربة لم تنجح وفوق ذلك فإن مصروفات آخر ساعة – بحكم وجود الإنفاق على مشروع التطوير ــ زادت بأكثر من توقعات التابعي، إلــى جانــب أن الشــحنة العاطفية التي دفعت محاولة التطوير كانت قد اســتنفذت نفسها، وهكذا قرر التابعي – ربما في نوبة ملل أو نوبة يأس – أن التوقيــت قــد حان ليرفع عن كاهله أعباء ملكية مجلته". ووضعت الهــامش التالــي: المصدر السابق، ص31. يلاحظ القارئ أن هوامشي المتسلســلة هــي نفسها هوامش حمودة هذا إذا تكرم وذكرها. حيث أنه كثــيراً مــا يســتخدم معلومات لا يعرف أحد من أين جاءت. واكتفي أنا بــتحديد ما أخذه مني. وأتساءل هل هي مجرد صدفة أن يتكرر سيناريو تسلسل نفس الهوامش بيننا؟!

- اكتفـــي بهـــذا القــدر حتى لا يتحول الكتاب إلى دراسة تكشف ســرقات حمــودة... وأتــرك المهمة لأي باحث يريد أن يتوسع في هذا الموضوع ويتسلى بضبط "ألمع صحافيي مصر" متلبساً بجريمته الكبرى.

رياض الصيداوي

جنيف في 15 سبتمبر 2002

المقدمة العامة

" وما أظن أن كاتباً صحفياً منذ عرفت الصحافة في مصر عندما صدرت "التنبيه" في عهد الحملة الفرنسية ثم "الوقائع" في عهد محمد علي، قد استقطب كل هذا الاهتمام مثل محمد حسنين هيكل.. فهيكل شخصية أحاطت بها علامات الاستفهام ومازالت، وله أنصار وخصوم.."

أحمد حمروش

المقدمة العامة

يتناول موضوع هذا الكتاب الفترة الخصبة من حياة هيكل الصحفية، الممتدة من سنة 1952 إلى سنة 1981، وهي الفترة التي كان فيها صحفياً لامعاً، وسياسياً نجماً. ولم يركز الموضوع على هيكل في الفترتين التاليتين: الفترة الأولى، ما قبل سنة 1952، عندما كان صحفياً مشهوراً، ولم نوله كبير اهتمام لأن هذه السنوات لم تعرف هيكل السياسي. أما الفترة الثانية فهي فترة ما بعد اغتيال الرئيس أنور السادات في 6 أكتوبر 1981، حيث خرج هيكل من السجن، وانتهى نشاطه السياسي واكتفى بكتابة المقالات وتأليف كتب شهدت رولجاً وانتشاراً كبيرين.

فهذا الكتاب يبحث أساساً في تلك الفترة التي كان فيها هيكل صحفياً وسياسياً في نفس الوقت، قريباً كل القرب من الرئيس جمال عبد الناصر، ثم الرئيس أنور السادات قبل أن يختلفا.

هذه المدة الزمنية، حوالي الثلاثين سنة (1952 ــ 1981)، لعبت فيها مصر دوراً قيادياً في الوطن العربي. فهي وجهت الأحداث الكبار، وشاركت ودعمت ثورات، وواجهت "الكيان الصهيوني" في أربعة حروب، واصطدمت مع الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها من الدول الغربية،

وتحالفت مع المعسكر الاشتراكي بقيادة الاتحاد السوفيتي، وكانت من المؤسسين الأوائل لحركة عدم الانحياز. كذلك شهدت مصر تحولاً اجتماعياً عميقاً، حينما لختارت طريق التحول الاشتراكي، وتأميم كل القطاعات الاقتصادية المنتجة في البلاد بما فيها قطاع الصحافة والإعلام الذي كان له وضع خاص، سماه هيكل بـ "تنظيم الصحافة"... هذه الأحداث جميعها وقعت في عهد جمال عبد الناصر (1954 ـ1970)، وبعد رحيله في 28 سبتمبر 1970، وصعود أنور السادات إلى هرم السلطة، وبعد حرب أكتوبر 1973، عرفت مصر منعرجاً جديداً، حينما استبدلت نهجها القديم، بنهج جديد، تصالحت من خلاله مع "الكيان الصهيوني" وتحالفت مع الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية الرأسمالية، وقامت بتحرير الاقتصاد، "الانفتاح"، وبالتفريط في القطاع العام، وانقلبت الشعارات السياسية التي رفعت في الستينيات إلى شعارات جديدة، ترجمت إلى حملة ضد مشروع عبد الناصر، وضد كل ما يمت إليه بصلة.

في ظل هذين العهدين، كان لمحمد حسنين هيكل أدوار صحفية وسياسية كثيرة، وصل عن طريقها إلى قمة السلطة، وأوصلته أيضاً إلى السجن في اعتقالات سبتمبر 1981.

إن الحديث عن محمد حسنين هيكل في الوسط الصحفي والسياسي المصري والعربي، يثير دائماً ردود أفعال متناقضة، حادة، عنيفة، فإما يكون رد الفعل منفعلاً ضد هيكل حد التعصب، مثلما كان رد فعل أحد الضباط الأحرار الذين شاركوا في ثورة 23 يوليو 1952، عندما رد على سؤالنا بعنف "أوقف التسجيل، إن هيكل هو الذي خرب مصر وعبد الناصر والناصرية معاً!!"[1]

---

1 ـ مقابلة خاصة مع أحد الضباط الأحرار، رفض نشر اسمه، وهاجم هيكل بشدة، القاهرة، أغسطس 1991.

أو يكون مع هيكل أيضاً حد التعصب، فمحمد فائق، وزير الإعلام في عهد عبد الناصر والسادات يقول: "انطلاقاً من موقعي كوزير للإعلام يمكن أن أقول أنه لم يخدم أحد الصحافة والصحافيين في مصر، كما خدم وفعل محمد حسنين هيكل... إن تميزه، يعود إلى اجتهاده وكفاءته وكسبه لثقة جمال عبد الناصر، فأصبح قريباً من موقع القيادة."[٢].

ويطرح الكاتب والصحفي المصري أحمد حمروش هذه الإشكالية في قوله: "وما أظن أن كاتباً صحفياً منذ عرفت الصحافة في مصر عندما صدرت "التنبيه" في عهد محمد علي، قد استقطب كل هذا الاهتمام مثل محمد حسنين هيكل... فهيكل شخصية أحاطت بها علامات استفهام وما زالت، وله أنصار وخصوم... "[٣].

وقال عنه "انتوني ناتنج" وزير الدولة البريطاني السابق للشؤون الخارجية في وزارة "ايدن" "عندما كان قرب القمة كان الكل يهتمون بما يعرفه.. وعندما ابتعد عن القمة تحول الكل إلى ما يفكر فيه" وذلك ضمن برنامج عن محمد حسنين هيكل، أخرجته هيئة الإذاعة البريطانية ووضعته على موجاتها يوم 14 ديسمبر 1978 في سلسلة صور "شخصية" بعد أن سئل عن تقييمه له في فترة اقترابه من القمة في مصر وفترة ابتعاده عنها.[٤]

ورغم ابتعاده عن هرم السلطة منذ أكثر من خمسة عشر سنة، فإن الاهتمام بما يكتبه، مازال قوياً، ومتابعة آرائه وتحاليله ومواقفه ما زالت تشكل مادة مرغوبة كثيراً لوسائل الإعلام.

---

2 ـــ محمد فائق، وزير الخارجية ثم الإعلام، مقابلة خاصة أجراها معه الباحث، القاهرة، أغسطس 1991.

3 ـــ احمد حمروش، "زيارة جديدة لهيكل"، مجلة "**روز اليوسف**" المصرية، عدد 24 ـــ 11 ـــ1986.

4 ـــ محمد حسنين هيكل، **السلام المستحيل والديمقراطية الغائبة، رسائل إلى صديق هناك**، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الثانية، بيروت 1982، ص 16.

فهيكل، أصبح موثقاً و"مؤرخاً" لعهد بأكمله، وهو الصحافي الكاتب، السياسي المتمرس، النجم المبدع، وهو دائماً يشكل موضوعاً يثير حماساً كبيراً للنقاش، حتى أن السؤال يصبح ملحاً عن هيكل، أين الحقيقة فيه وأين الأسطورة؟..

وتصبح الإجابة على هذا السؤال، مشروعة ومطلوبة في نفس الوقت.

فهذا الكتاب يهدف إذن إلى:

ـ توضيح جوانب من تاريخ الصحافة المصرية (ومن ثم العربية) المعاصرة، وإزالة تلك المساحات الضبابية التي تراكمت بفضل النزعات الشخصية الذاتية.

ـ توضيح جوانب من تاريخ السياسة المصرية (ومن ثم العربية) المعاصرة في علاقتها بالصحافة، وإزالة تلك المساحات الضبابية التي تراكمت بفضل النزعات الشخصية الذاتية.

ـ التوثيق لتجربة صحفية نموذجية، تكاد تكون فريدة من نوعها في الوطن العربي، فهذا الوطن يفتقد إلى مرجعية صحفية من خلال تجربة حية، حيث يلاحظ غياب سلوكية صحفية عريقة. فصحيح أن الصحافة كحقل من حقول العلوم الاجتماعية هي نسبياً حديثة العهد في العالم، ولكنها في الوطن العربي مازالت تعاني من معيقات ذاتية (إرادة الإنسان) وموضوعية (إمكانيات مادية، ورقابة سياسية صارمة) كثيرة، تجعلها شديدة التخلف عن غيرها من الصحافة الغربية.

ـ إنتاج بحث موضوعي، يؤصل أو ينفي هذا النموذج المتميز.

* * * * * * *

إن الكتابات عن محمد حسنين هيكل كثيرة ومتنوعة، لكن يلاحظ أنها تتميز بخاصتين بارزتين:

- **الخاصية الأولى**: أن أغلب هذه الكتابات كان من نوع المقال، أو الحوار الصحفي، ونشرت في صحف ومجلات عربية، وبخاصة المصرية منها.

- **الخاصية الثانية**: أن أغلب هذه الكتابات كان من ذلك النوع الذي يبرز في الحملات الصحفية الدعائية والحملات المضادة لها، فالذين كتبوا عن هيكل، كانوا إما منتقدين، مهاجمين حد الابتذال، أو مداحين حد التمجيد.

أما المقاربات الأكاديمية، العلمية، الهادئة، المتخلصة من الأحكام الماقبلية، والملتزمة بمنهج علمي، فهي نادرة، حتى أننا لم نرصد في الوطن العربي – وربما غاب عنا ما يمكن رصده – إلا رسالتي "ماجستير" قدمتا في كلية الإعلام في جامعة القاهرة. الأولى رسالة تحت عنوان "صفحة الرأي في الأهرام" لليلى عبد المجيد، والثانية تحت عنوان: "أهرام هيكل" لتهاني حافظ[٥].

وربما يعود السبب إلى أن الباحث ومؤسسات البحث العربية، تعودت على أن لا تدرس الشخصيات – الظواهر، إلا بعد وفاتها وانسحابها من

---

5 – من الضروري التذكير أن هذا الكتاب تمت كتابته سنة 1992. حيث برزت فيما بعد مجموعة كتب جديدة حول شخصية محمد حسنين هيكل يتميز أغلبها كالعادة بالذم والقدح ككتاب سيار جميل، **تفكيك هيكل : مكاشفات نقدية في إشكاليات محمد حسنين هيكل**، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان 2000. أو كتاب إيجابي تجاه هيكل للصحفي المصري عادل حمودة، **هيكل: الحياة، الحرب، الحب. هو وعبد الناصر**، الفرسان للنشر، القاهرة 2000. وهو كتاب منحاز لهيكل. أما البحث الأكاديمي، فقد رصدنا صدور كتاب قيم لجمال شلبي هو عبارة عن رسالة دكتوراه كانت في الأصل باللغة الفرنسية نشرت باللغة العربية تحت عنوان : **محمد حسنين هيكل، استمرارية أم تحول**، ترجمة حياة الحويك عطية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1999. انظر "ما قبل المقدمة... الحياد وهم!".

ساحة التأثير الاجتماعي، عندئذ تخلد أسماءها في الشوارع، وتقام لها التماثيل ويحتفل بذكراها، وتبدأ البحوث والدراسات تتهاطل في غزارة.

في هذا البحث نحاول أن نلج منطقة، لم يقع الدخول إليها أكاديمياً من قبل.

إن ظاهرة السياسي الذي عمل في الصحافة، ظاهرة متكررة عبر التاريخ، فهؤلاء الساسة يستخدمون الصحافة كوسيلة للدعاية لأفكارهم ونشرها عبر أجهزة الإعلام الجماهيري، ويستفيدون من هذه المهنة لما توفره لهم من علاقات اجتماعية كثيرة، تقربهم من ساحة التفاعل الاجتماعي، إن لم تجعلهم في قلبها. هؤلاء كانوا محترفي سياسة، وظفوا الصحافة لنشاطهم السياسي، والأمثلة عبر التاريخ كثيرة.

فكارل ماركس، أب الفكر الشيوعي، عمل في بداية حياته في مجلة "الراين" حتى منعتها السلطات البروسية سنة 1843[٦].

وكذلك فلاديمير اليتش أوليانوف لينين، الذي قاد أكبر الثورات التي هزت العالم في القرن العشرين، قد تفطن إلى أهمية الصحافة، فأسس سنة 1900 صحيفة "آيسكرا" بألمانيا ثم أسس الصحيفة الشهيرة "البرافدا" سنة 1912 في بروسيا[٧].

وأيضاً بينيتو موسيليني، الذي ترأس تحرير صحيفة "إلى الأمام" سنة 1908، ثم أسس صحيفة "شعب ايطاليا" التي ساعدته على نشر أفكاره، ومن ثم الوصول إلى السلطة في 30 أكتوبر 1922[٨].

---

6 - برتراند رسل، ترجمة فؤاد زكريا، **حكمة الغرب**، الجزء الثاني، سلسلة عالم المعرفة، عدد 72، الكويت، ديسمبر 1983، ص 228.

7 - عبد المجيد الذويب وآخرون، **تحرير الشعوب المستعمرة**، الجزء الأول، المركز القومي البيداغوجي، بدون تاريخ طبع، تونس، ص 40.

8 - المرجع السابق، ص، 287-288.

وارتبط العمل السياسي للزعيم التونسي الحبيب بورقيبة بالصحافة، حيث شكلت صحيفتا "العمل" و(L'Action) نقطتي تحول في حياة القائد السياسي، وكان لهما فضل كبير في وصوله إلى قمة القيادة في تونس.

إن هذه النماذج المتكررة عبر التاريخ تطرح مسألة معقدة وهامة، وهي علاقة الصحافة بالسياسة عندما يمارسهما الفرد، أي ماذا يحدث حينما يكون السياسي صحفياً؟

لكن في الحالة التي ندرسها، نلاحظ أن محمد حسنين هيكل كان صحفياً محترفاً مقدراً، محباً لمهنته، وفياً لها، قبل أن ينشط في الحقل السياسي، وأكثر من أن يهتم بمستقبله في السياسة، بل يكاد يكون عكس النماذج التي ذكرناها، فهو كثيراً ما وظف السياسة لصالح الصحافة، لأنه يعتبر نفسه صحفياً قبل أي شيء آخر. ورغم ذلك، فهو عاش مثلهم تجربة السياسة والصحافة معاً بتشعباتها وتعقيداتها المختلفة.

****

والإشكالية التي يطرحها هذا الكتاب، ليست من النوع البيوغرافي البحت، ذلك أنها تبحث في حياة هيكل من جانبيها الصحفي والسياسي وتهتم أساساً بالفترة الممتدة من سنة 1952 إلى سنة 1981.

إن المشكل المطروح يتمثل في السؤال التالي: كيف عاش محمد حسنين هيكل حياته صحفياً وسياسياً طيلة الثلاثين سنة تقريباً؟

وعن هذا السؤال المركزي تتفرع تساؤلات ثانوية أخرى

أولاً: فيما يتعلق بهيكل الصحفي

ـ كيف كانت تجربته الصحفية قبل دخوله صحيفة الأهرام سنة 1957؟

ـ ما هي أهم ملامح تجربته في صحيفة الأهرام؟

ـ كيف كان يتصور "تنظيم الصحافة" في عهد جمال عبد الناصر؟

ـ ما هو دور المعلومات الحقيقي في صعود نجم هيكل؟

ـ هل كان محمد حسنين هيكل مؤرخاً للعهد الناصري؟

ثانياً: فيما يتعلق بهيكل السياسي

ـ ما هي طبيعة علاقته بالعهد الناصري؟

ـ ما هي المراحل التي مرت بها علاقته مع العهد الساداتي؟

ـ أين يتجه الفكر السياسي عند هيكل؟

للإجابة على هذه الأسئلة تتقدم مجموعة من الفرضيات، تحاول أن تجيب مؤقتاً عنها. وهذه الفرضيات هي:

أولاً، هيكل صحفياً:

ـ ساهمت صحف "الإجبشيان جازيت" و"آخر ساعة" و"أخبار اليوم" في تحقيق نجاح كبير للصحفي الشاب، جعلته يقترب من موقع القرار السياسي.

ـ تعتبر "الأهرام" قمة النجاح المهني الذي وصل إليه هيكل، فأضاف إليه كثيراً، كما أخذ منه أيضاً الكثير.

ـ يرفض هيكل أن تكون الصحف مملوكة للدولة أو للحزب السياسي الحاكم، ويفضل على ذلك "الملكية التعاونية للصحف".

ـ تعتبر المعلومات السلاح الأساسي الذي أوصل هيكل إلى قمة العمل السياسي وجعلته مقرباً لصانع القرار، فأعطى معلومات للقيادة، التي سرعان ما فتحت له، بدورها، بعد مدة أسرار الدولة على مصراعيها.

ـ يعتبر هيكل مؤرخاً للعهد الناصري.

ثانياً هيكل سياسياً :

ـ إن علاقته بالعهد الناصري كانت أساساً علاقة شخصية بينه وبين الرئيس جمال عبد الناصر.

ـ دخل في صراع كبير مع بعض أجهزة الدولة والتنظيم السياسي الحاكم في البلاد.

ـ تحالف مع الرئيس السادات ضد رجال العهد الناصري، حفاظاً على مستقبله وأمنه الخاص.

ـ اختلف مع السادات إلى حد القطيعة، لأن الرئيس الجديد لا يريد مشاركته في الرأي والقرار.

ـ يتجه الفكر السياسي عند محمد حسنين هيكل نحو الوسط والاعتدال رافضاً لليسار المغامر ولليمين المحافظ معاً.

****

إن المنهجية التي سنستخدمها في هذا الكتاب، هي المنهجية البيوغرافية، وتعني حسب Larousse Encyclopedique Tome2 "تاريخ شخصية معينة يقع تتبع أهم آثار حياتها". والبحوث المعاصرة اليوم تستخدم مناهج عدة للإحاطة بالشخصية المدروسة. ويجب أن نلاحظ هنا، أن هذا الكتاب ليس عملاً تأريخياً لشخص أو لفترة زمنية محددة، وإن استفاد كثيراً من المنهج التأريخي. إنه كتاب يحاول أن يكشف بعض الحقائق ويزيل بعض المساحات الضبابية، فيسلط الضوء على بعض القضايا المحددة المتعلقة بالحياة الصحفية والسياسية لمحمد حسنين هيكل.

ونظراً لتشعب الموضوع، تنوعه، وتعقيداته، فإننا اهتدينا إلى ضرورة استخدام أكثر من منهج. فوظفنا مناهج المقاربة الوثائقية حيناً، وتحليل المضمون حيناً آخر، وجمع الشهادات الشفهية حيناً ثالثاً، والمنهج التأريخي حيناً رابعاً، كل ذلك في إطار المنهجية البيوغرافية التي توخيناها.

****

انطلقت فكرة البحث في حياة محمد حسنين هيكل الصحفية السياسية من ملاحظات أولية رصدناها في الصحافة والمكتبة العربيتين، إذ تميزت الأولى بتركيز شديد على ما يكتبه هيكل، فكانت أهم الصحف العربية وأكثرها توزيعاً تنشر له كتبه في حلقات متسلسلة، وتنشر تعليقات كثيرة لأشهر الكتاب والصحافيين العرب حول ما كتبه، كما تجاوزت ظاهرة هيكل المجال العربي إلى مجال أرحب، فنشرت له أكبر الصحف في العالم مقالات وحوارات معه وتلاخيص لكتبه[٩].

كما تميزت المكتبة العربية بترحيبها بكل ما يكتبه هذا الصحفي، فوجدت كتبه انتشاراً قوياً.

9 – بعد انتشار الفضائيات العربية وثورة البث بالأقمار الصناعية التي استفادت منها، يرصد الباحث عزوف هيكل عن المشاركة في برامجها لاعتقاده بأن النقاش السياسي فيها، كثيرا ما ينزل بمستوى المشاركين الذين أصبحوا يهتمون بالأداء المسرحي الشكلي أكثر من الفعل الفكري العميق. ويقال أن هيكل رفض أكثر من عرض لقناة **الجزيرة** القطرية للظهور..لكنه قبل مرة الظهور في قناة **دراما** المصرية الخاصة في برنامج حواري. وحدث أن سجل له التلفزيون المصري بعض حلقات تم رفض بثها لاحقا لأسباب تتعلق بأفكاره السياسية التي لم تعجب إدارة التلفزيون. كما منع هيكل من إلقاء المحاضرات في معرض القاهرة الدولي للكتاب بعد الإقبال الجماهيري الشديد عليه وتخوفا من قبل السلطات المصرية من مثل هذا الإشعاع.

وتطورت فكرة البحث في مرحلة لاحقة نتيجة مطالعات مكثفة لكل ما كتبه الرجل وما كتب عنه من مقالات متناثرة في صحف ومجلات عديدة. وتراكمت المعلومات شيئاً فشيئاً، وفي كل مرة تزال بعض النقاط الغامضة.

وتقدمت تساؤلات جديدة أكثر وضوحاً، وأكثر دقة، لتأخذ مكان تساؤلات سابقة عامة ليست لها حدود.

وساهمت عوامل جدية في تدقيق اتجاه البحث، كان الفضل فيها يعود إلى مناقشات طويلة جماعية جرت مع الباحث في فندق "شبرد" في القاهرة حول الرجل، شارك فيها كتاب وصحافيون من جريدة "الأهرام" ومجلة "روز اليوسف" ووزراء العهد الناصري.. كانت مناقشات غير منظمة بدون قصد سابق، وإنما طرح موضوع هيكل كان يثير الجميع ويدفعهم إلى الحديث بحماس.

****

بعد مرحلة التساؤلات التمهيدية، جاءت مرحلة التصميم والإعداد، فتم رسم الملامح الكبرى للخطة النظرية، فحدد الموضوع نهائياً، وحددت المساحة الزمنية له، حيث تناول الفترة التي عمل فيها هيكل في الصحافة والسياسة معاً (1952 ـ 1981) وحددت الإشكالية والفرضيات بعد أن استبعدت المقاربة البيوغرافية الكاملة واكتفينا بمقاربة شبه بيوغرافية تجمع بين الشخصية وتحليل أهم قضايا العصر التي عملت فيه وأثرت فيه.

****

اعتمدت مرحلة جمع المعلومات على مصادر ومراجع متعددة ومتنوعة ومتباينة، منها كتابات هيكل، كتباً ومقالات، وكذلك الحوارات التي أدلى بها للصحافة، وأيضاً ما كتبه الآخرون عن هيكل، بالإضافة إلى ما جمعناه من أحاديث وتصريحات لشخصيات شاركت هيكل في الحياة السياسية والصحفية التي عاشها. أما الصعوبة الأساسية التي واجهت هذا الكتاب فتمثلت في الكم الهائل من المعلومات والآراء عن هيكل. وهي معلومات وتقييمات متضاربة، ومتناقضة. فالبعض من أنصار الرجل والبعض الآخر من أعدائه، فكان لابد من التثبت ومن مقارنة المعلومات، وقد واجه البحث مشكلة أخرى تمثلت في أن بعض خصوم هيكل الكبار تصالحوا معه قبل التقائنا بهم فتحولت شهاداتهم لتصبح لصالحه بعدما عرفوا به، سابقاً، من مواقف مناهضة للرجل. وهو ما رصدناه في أحاديثنا معهم، فكثيراً ما يطلب منا إيقاف التسجيل ليوردوا معلومات خاصة، يرفضون نشرها أو استخدامها متعللين بأن المصلحة العليا "للناصريين" تجعلهم يتفادون ويرفضون الصدام مع هيكل، منوهين بما قدمه "للناصرية" بعد موت الرئيس جمال عبد الناصر.

وفي جانب آخر كثيراً ما عثرنا أثناء البحث على مواقف كثيرة لصحافيين وكتاب معادين لهيكل، يهاجمونه من زاوية علاقاته بأجهزة مخابرات أجنبية ويوردون في ذلك قصصاً ووقائع وأرقام وتعاملنا مع هذه المراجع بحذر شديد، وتجنبنا أي تركيز عليها، لأن البحث في صحتها أو عدم صحتها يتجاوز إمكانيات الباحث. فهي وسائل معقدة تخص الأجهزة "المعقدة"، لكن لاحظنا أن هذه الحملة وقعت بعد اختلاف هيكل مع الرئيس أنور السادات، وأن القائمين بها من أنصار الرئيس فلم نأخذها إلا في إطار حملة "لتشويه" الرجل.

وركزنا في جمع المعلومات على سامي شرف، مدير مكتب عبد الناصر للمعلومات، ووزير شؤون الرئاسة، وذلك لأنه أقرب رجال الحكم إلى عبد الناصر ويحتل موقعاً شديد الحساسية حيث تمر أغلب المعلومات الواردة إلى الرئيس عن طريق المكتب، كذلك لأن الرجل لم يتحدث ولم يكتب للصحافة العربية منذ مايو 1971 تاريخ اعتقاله. وفي مرحلة لاحقة وقع تمحيص هذه المعلومات وغربلتها وتصنيفها حسب الوقائع، ثم استغلالها في رواية الوقائع وتثبيت التقييمات والنتائج.

وتعد مرحلة كتابة التقرير النهائي أسهل المراحل، فهي لم تقم إلا باختيار الصياغات الملائمة لتربط بين المعلومات والفقرات والفصول، وتوضح الأفكار والنتائج في لغة واضحة، حاولنا من خلالها ـ ونظراً لطبيعة الموضوع ـ أن نبتعد أكثر ما يمكن عن المستوى التجريدي في اللغة إلى مستوى محسوس، يقدم الحركة والمشهد على اللغة المجردة.

****

إن الاستراتيجية النظرية التي اعتمدت في هذا الكتاب، انطلقت من فكرة الفصل بين الحياة الصحفية والحياة السياسية عند محمد حسنين هيكل. وهو فصل اعتباطي، لا يمكن أن يحدث في الواقع وإنما استدعته ضرورة منهجية ملحة، حتى لا نسقط في التقسيم الزمني البسيط (Chronologie) ونواكب مسيرة هيكل سنة بسنة، هنا قد يسقط البحث في سهولة مبتذلة ويصبح مجرد عرض أحداث ووقائع متتالية لا تربط بينها غير الأيام والسنوات، في حين كان مطلوباً أن نقسم حياة هيكل الصحفية والسياسية إلى مجموعة قضايا، وإشكاليات لكل منها استقلالية محدودة عن الأخرى، وفي نفس الوقت مرتبطة بعضها بالبعض.

كما تم اختيار أن يبدأ الكتاب، بالجانب الصحفي في حياة هيكل. ذلك أن التفوق واللمعان الذي شهده محمد حسنين هيكل، يعود الفضل فيه إلى الصحافة، فهي التي أدخلته إلى عالم السياسة، هي التي ابتدأ بها حياته، وهي التي مازال يعيش فيها ومنها إلى اليوم، وهي التي جعلته مشهوراً في العالم كصحفي لامع، قبل أن يكون سياسياً مقرباً من صانع القرار.

****

يشتمل هذا الكتاب على مقدمة عامة، تقدم هذا البحث وتبرره، ثم ينقسم إلى قسمين. الأول خاص بهيكل صحفياً، ويرصد هذا الجزء تجربة الصحفي الشاب في صحف "الإجبشيان جازيت" و"آخر ساعة" ثم "أخبار اليوم" ثم تأتي تجربته في صحيفة "الأهرام" ويبحث هذا الفصل في كيفية دخوله الصحيفة وإنجازاته فيها، ثم كيف خرج منها. كذلك يتعرض هذا القسم إلى مسألة "تنظيم الصحافة" في عهد جمال عبد الناصر، ووجهة نظر الرئيس فوجهة نظر هيكل.

ويليه فصل متعلق بالمعلومات في حياة هيكل، حيث يعالج هذا الفصل أهمية المعلومات، وتدفق المعلومات من هيكل إلى عبد الناصر، ثم تدفقها من عبد الناصر إلى هيكل، ثم كيف استخدم هيكل "سلاح المعلومات" للدفاع عن نفسه.

ويتناول هذا القسم أيضاً فرضية أن يكون هيكل مؤرخاً "للعهد الناصري".

أما القسم الثاني المتعلق بهيكل السياسي، فسيتناول مسألة ارتباط هيكل "بالعهد الناصري" وكيف بدأت العلاقة ونمت لتصبح ذات بعد شخصي

متميز، ثم يتعرض الفصل الموالي إلى طبيعة علاقته بالعهد الناصري، والأدوار السياسية التي قام بها، وطبيعة علاقته بالأجهزة الحاكمة وموقعه من "التكتلات السياسية".

ثم سيتعرض هذا القسم إلى التحالف الذي تم بين هيكل والسادات، وما هي حقيقة الدور الذي لعبه في "أحداث مايو 1971" ثم يتعرض إلى الاختلاف مع السادات في مرحلة لاحقة مبيناً أسبابه ومراحله، وكيف انتهى إلى قطيعة.

وسيتناول الفصل الأخير موضوع اتجاه الفكر السياسي عند هيكل، مبرزاً رؤيته للصراع، وصورة الولايات المتحدة الأمريكية في كتاباته، كذلك صورة الاتحاد السوفيتي، ثم صورة هيكل نفسه في تصوراته الفكرية الإيديولوجية.

ثم سينتهي البحث بخاتمة عامة، نستخلص منها نتائج. ستليها مجموعة ملاحق تحتوي على مقال عن عالم هيكل، ومجموعة حوارات عن هيكل أنجزت مع :

ـ سامي شرف: مدير مكتب عبد الناصر للمعلومات، ووزير شؤون الرئاسة.

ـ ضياء الدين داوود: وزير الشؤون الاجتماعية وعضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي في عهد عبد الناصر وبداية عهد السادات.

ـ محمد فائق: وزير الخارجية ثم الإعلام في عهد عبد الناصر ثم بداية عهد السادات.

ـ مجدي حسنين: أمين صندوق الضباط الأحرار ومدير مكتب محمد نجيب، فمدير مكتب جمال عبد الناصر.

ـ الفريق أول محمد فوزي: القائد العام للقــوات المســلحة المصرية (1967 ـ 1970).

ـ أحد الضباط الأحرار الذي رفض ذكر اسمه وهاجم هيكل بشدة.

القسم الأول

هيكل صحفياً

ولد محمد حسنين هيكل في 23 سبتمبر 1923 بالقاهرة، ونشأ في أسرة متوسطة الحال، ودرس في بلده حتى نال دبلوماً في التجارة، وما أن بلغ سن التاسعة عشرة، حتى دخل الصحافة، وبدأ حياته في "الإجيبشيان جازيت".

الفصل الأول

تجربة ما قبل الأهرام

1 - "الإجبشيان جازيت" (1942 – 1944)

بدأ محمد حسنين هيكل حياته الصحفية في جريدة "الإجبشيان جازيت"، وامتدت فترة العمل فيها من سنة 1942 حتى سنة 1944.[1] وكانت وقتها أكبر الصحف الأجنبية التي تصدر في مصر عن شركة الإعلانات الشرقية التي تملكها أسرة "فيني"، وكان التحاقه للتدريب بها فرصة أتاحها له ولثلاثة غيره من الشباب الناشئ، واحد من خيرة محرريها وهو "سكوت واطسن"[2]، الذي فتح خياله نحو الصحافة المغامرة. ويصف هيكل تفاعله مع أستاذه الأول قائلاً : "كنا بين الجالسين أمامه في محاضرة عن "عناصر الخبر" وإذا به يتطرق من موضوع محاضرته إلى ذكرياته أيام كان مراسلاً في الحرب الأهلية الأسبانية وكنا نستمع إليه في انبهار وشبه خشوع، فلقد طاف بنا فيما يشبه الملحمة بين تضاريس ومعالم تلك الحرب التي انقسمت أوروبا بسببها

---

1 ـــ محمد حسنين هيكل، **بين الصحافة والسياسة**، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 1984، الطبعة الثانية، ص 25.

2 ـــ المصدر السابق ص 25.

بين الفاشية والديمقراطية وحين ختم محاضرته كانت دعوته لمن يريد منا أن يتدرب عملياً أن يلقوه في اليوم التالي بمكتبه في "الإجبشيان جازيت". وفي اليوم التالي وقبل أن يصل هو إلى مكتبه كنا نحن الأربعة قد سبقناه إليه ننتظر".[3]

ويبدو أن هذه المحاضرة قد شكلت أول دفع قوي لهيكل حتى يرتمي في العمل الصحفي بكل طاقته، ويستفيد من خبرات صحفيين أجنبيين قديرين، الأول كان "سكوت واطسون" صاحب الكفاءة المهنية، والمثقف اليساري الذي صاغته تجربة الحرب الأهلية في أسبانيا بكل عناصرها الفكرية والإنسانية العظيمة.[4]

أما الثاني فهو "هارولد ايرل" رئيس تحرير "الجازيت" وكان صحفياً كلاسيكياً قديراً يعمل في نفس الوقت مراسلاً لجريدة "المانشستر جارديان" في مصر.[5]

ومضت السنة الأولى في حياة هيكل الصحفية عادية حيث عمل مساعد مخبر صحفي في قسم الحوادث[6]، ولم يرصد في هذه الفترة أي تفوق متميز حتى جاءت الفرصة المناسبة التي مثلت منعرجاً حاسماً في حياة الصحفي الناشئ. ويصفها قائلاً: "دعانا هارلود إلى مكتبه يوماً ـ نحن الشبان الأربعة ـ وقال لنا، تجري الآن حرب في مصر ومع ذلك لم يصفها أحد بعين مصرية ولم يكتبها بقلم مصري، ثم سألنا هل فينا من هو مستعد للمخاطرة في تجربة جديدة وعلى مسؤوليته وحده. وتحمست للتجربة، ولعلني في ذلك الوقت كنت متأثراً بإعجابي بواطسون في

---

3 ـ المصدر السابق، ص 25.
4 ـ المصدر السابق، ص 26.
5 ـ المصدر السابق، ص 26.
6 ـ المصدر السابق، ص 26.

الحرب الأهلية الأسبانية. وهكذا بعد شهور وجدتني في "العلمين" شاهداً مصرياً على الحرب العظمى واعترف أن تجربة العمل كمراسل حربي قد استهواني".[7]

ورغم النجاح الذي حققه في "الإجبشيان جازيت" فان طموح هيكل يبدو أنه كان أقوى من إمكانيات الصحيفة الإنجليزية، فتوزيعها لم يكن كبيراً، فهي لم تتجاوز بضعة عشرات ألوف،[8] وينتظر أن تعود إلى بضعة ألوف، فيتقلص توزيعها بانتهاء الحرب.

ولعبت الصدفة دورها في حدوث المنعرج الثاني في حياة الصحفي الشاب، فعندما دخل مكتب رئيس التحرير "هارول ايرل" لشأن من شؤون عمله وجد عنده زائر قدمه له، الأستاذ محمد التابعي صاحب مجلة "آخر ساعة" ورئيس تحريرها، وبدا له الأستاذ التابعي قد تابع بعض نشاطه أو أن "هارولد ايرل" قد حدثه عنه.

وكان الأستاذ التابعي رقيقاً معه ومجاملاً.[9]

ولم يقف تعارفهما على المجاملة، بل سرعان ما اتصل به يدعوه إلى لقاء معه، وعند اللقاء سأله الأستاذ التابعي "كيف ترى مستقبلك"؟

وكان السؤال مفاجئاً، فلقد كان يتصور أن عمله في "الجازيت" يكفيه ولكن الأستاذ التابعي كان له رأي مختلف فخاطبه "مهما فعلت في "الجازيت" فإن المستقبل محصور وضيق فهي جريدة تصدر في مصر بلغة أجنبية... صحفي مصري، مجاله في الصحافة المصرية باللغة العربية وبقرائه فيها، هذا هو المستقبل".[10]

---

7 ــ المصدر السابق، ص 26 ــ27.

8 ــ المصدر السابق، ص 28.

9 ــ المصدر السابق، ص 28.

10 ــ المصدر السابق، ص 28.

وهكذا انتقل من "الجازيت" إلى "آخر ساعة" وهو يمثل انتقالاً من التحرير بالإنجليزية إلى التحرير باللغة العربية، ومن جمهور الجالية الأجنبية إلى جمهور مصري عربي ضخم العدد، ومن قضايا العالم إلى قضايا مصر والحركة الوطنية المصرية وتناقضاتها وصراعاتها مع القصر والإنجليز... وهنا يدخل هيكل في "قلب" المجتمع المصري، وفي زواياه وخفاياه الكثيرة... وهو ما سيؤهله فيما بعد إلى الانغماس في العمل السياسي حتى القمة.

2 – (آخر ساعة) (1944 – 1946)

لم يكن انتقاله من تجربة إلى تجربة مسألة سهلة، ذلك أن عملية انتقاله تعني خروجه من مدرسة "هارولد ايرل" التي ترى أن "الجريمة" و"الحرب" هما مجال "التكوين" الأصلح والأمثل لصحفي ودخوله إلى مدرسة "محمد التابعي" التي ترى أن "المسرح" و"البرلمان" هما المجال الأنسب والأوفق.[11]

فسرعان ما وجد نفسه في كواليس مسارح القاهرة بدلاً من ميادين القتال، ثم وجد نفسه في شرفة مجلس النواب بدلاً من محافظة القاهرة التي تصب فيها أخبار كل جريمة تحدث في مصر.

وقد أتاح له مقعد "آخر ساعة" في شرفة المجلس فرصة الاقتراب من أجواء السياسة المصرية.[12]

ويقيم هيكل هذه الفترة باعتبار أن "تجربة العمل مع الأستاذ التابعي ممتعة وأشهد أني تعلمت منه الكثير. ولقد وجدتني شديد الإعجاب بأسلوبه الحلو السلس، وفي البداية رحت أقلده".

---

11 ــ المصدر السابق، ص 28 ــ 29.

12 ــ المصدر السابق، ص 28 ــ 29.

"في الحقيقة كانت تلك الفترة، مهنياً، فترة العثور على توازن معقول بين ثلاثة تأثيرات تجاذبتني: عقلانية "هارولد ايرل" وروما‌نسية "سكوت واطسون" ثم حلاوة وأسلوب محمد التابعي.[13]

ويبدو أن هذه التأثيرات الثلاثة، ساهمت بدرجات متفاتية حسب الظرف في تشكيل مقالات هيكل الصحفية... وساعدته على التميز فيما يكتب.

وكانت "آخر ساعة" في ذلك الوقت مجلة "وفدية" فوجد هيكل نفسه بحكم طبيعة المصادر المتاحة أقرب إلى حزب الوفد من أي حزب آخر، غير أنه يعترف بأن قربه من الوفد هو "إحساس غالب بأن ذلك مجرد تأثير مناخ وليس نتيجة مؤكدة لاختيار وقرار".[14]

وكان "الوفد" قد خرج من الحكم بإقالة 8 أكتوبر 1944 الشهيرة، وأصبحت مجلة "آخر ساعة" في المعارضة أمام حكومة ائتلاف أحزاب الأقلية التي شكلها الدكتور ماهر (باشا) رئيس حزب السعديين تحت جناح القصر.[15]

وفي هذه الفترة بالذات، شهدت الحياة الصحفية في مصر حدثاً متميزاً وهو صدور "أخبار اليوم" الأسبوعية بعد شهر من إقالة النحاس، حيث كان صدورها ونجاحها حدثاً صحفياً ضخماً وكذلك كان حدثاً سياسياً.

ففي كل الأحوال فإن "أخبار اليوم" أصبحت المدفعية الثقيلة الموجهة إلى (الوفد) تدك مواقعه دكاً عنيفاً صباح كل سبت.[16]

وإزاء هذه التطورات الجديدة وجدت "آخر ساعة" نفسها في موقف حرج وهو ما دفع صاحبها إلى العمل على تطويرها حتى تتمكن من الدفاع عن (الوفد) ومن مواجهة المنافس الجديد.

---

13 ـــ المصدر السابق، ص 29.

14 ـــ المصدر السابق، ص 29.

15 ـــ المصدر السابق، ص 29.

16 ـــ المصدر السابق، ص 30.

ورغم أن هيكل كان يشغل خطة سكرتير تحرير المجلة فإن عملية التطوير الجديدة تولاها التابعي بنفسه، وظلت معظم بنودها في رأسه ينفذها واحداً بعد واحد، ولقد كانت لهيكل ـ بغير تجاوز ـ آراء وملاحظات لكن التابعي كان بعواطفه كلها مندفعاً إلى ما يراه. ومن سوء الحظ أن التجربة لم تنجح، وفوق ذلك فإن مصروفات "آخر ساعة" ـ بحكم وجود الإنفاق على مشروع التطوير ـ زادت بأكثر من توقعات التابعي، إلى جانب أن الشحنة العاطفية التي دفعت محاولة التطوير كانت قد استنفذت نفسها، وهكذا قرر التابعي ـ ربما في نوبة ملل أو نوبة يأس ـ أن الوقت قد حان ليرفع عن كاهله أعباء ملكية مجلته.[17]

وقام التابعي بإدارة مفاوضات مع مصطفى وعلي أمين صاحبي دار أخبار اليوم من أجل بيعهما المجلة ولم يكن هيكل يعلم بهذه المفاوضات حتى دعاه التابعي ذات يوم في بداية سنة 1946 ليقول له كل الأسرار مرة واحدة ... لقد باع "آخر ساعة" إلى دار "أخبار اليوم" وانتهى الأمر.[18]

وأخبره التابعي في شكل مفاجئ، بأنهم يريدون أن يعمل معهم ويكتب مقالاً أسبوعياً في "أخبار اليوم" وأضاف بأنهم يطلبون هيكل أيضاً... بل أصروا عليه بالتحديد.[19]

ويدل هذا الإصرار على أن الصحفي الشاب، قد توصل في ظرف أربع سنوات من العمل في الصحافة الإنجليزية ثم الصحافة العربية على أن يحقق لنفسه مكاناً متميزاً في الوسط الصحفي المصري، جعلت مالكاً مثل مصطفى أمين وصاحب تجربة صحيفة ناجحة، يهتم بما يكتبه هيكل ويسعى إلى انضمامه إلى مؤسسته الصحفية.

17 ـ المصدر السابق، ص 31.
18 ـ المصدر السابق، ص 31.
19 ـ المصدر السابق، ص 32.

بل ويضاعف من أهمية تميز هيكل الصحفي اتصال الأستاذ إميل زيدان، أحد صاحبي دار الهلال، به ودعوته للقائه، حيث عرض عليه رئاسة تحرير "مجلة الاثنين" وكانت مجلة سياسية تصدر وقتها عن دار الهلال، وفيما سبق كان رئيس تحريرها هو الأستاذ مصطفى أمين، وفي عهده بلغت أوج انتشارها وبعد خروجه منها في نوفمبر 1944 تولاها غيره وتأثرت أحوالها.[20]

شكر هيكل إميل زيدان على عرضه، وطلب منه أن يترك له فرصة التفكير أياماً قليلة، يجيبه بعدها بالقبول أو الرفض.

وفكر كثيراً، وأحس أنه أقرب إلى قبول عرضه لأكثر من سبب فـ"مجلة الاثنين" بدت له تحدياً مستقلاً وبدت رئاسة تحريرها إطراءاً لخيلاء الشباب فيه. فها هي رئاسة تحرير مجلة سياسة من مجلات الدرجة الأولى تعرض عليه وهو لم يتجاوز بعد سن الثالثة والعشرين.[21]

لكنه تراجع عن رأيه هذا، بتأثير من أستاذه القديم، التابعي، عندما خاطبه مباشرة "راجع نفسك... إن مجالك سوف يكون أوسع وأرحب في "أخبار اليوم"". وأيضاً بتأثير من الأستاذ علي أمين الذي التقى به فجأة، وأقبل عليه فاتحاً ذراعيه يقبله على الخدين ويقول له أنه لا يهنئه بانضمامه إلى أخبار اليوم ولكنه أيضاً يهنئ أخبار اليوم بانضمامه إليها... وبعد أن حدثه التابعي عن عرض دار الهلال، هز علي أمين رأسه بشدة نفياً وعرضاً وقال "مكانه الحقيقي معنا في "أخبار اليوم"".[22]

وأخيراً، قبل بعرض "أخبار اليوم" معتذراً لدار الهلال، وكما يبدو خضع اختياره هذا إلى تفكير عميق، وإلى نصيحة التابعي وإلحاح علي

---

20 ــ المصدر السابق، ص 33.
21 ــ المصدر السابق، ص 33.
22 ــ المصدر السابق، ص 34.

أمين. ويمكن أن نضيف أن النجاح الكبير الذي حققته "أخبار اليوم" بمجرد دخولها إلى السوق الصحفية وفي ظرف وجيز، سبب من الأسباب التي دفعته إلى اختياره، خاصة وأن مؤشرات أولية أشارت إلى قدرة مادية جيده لهذه الدار، إضافة إلى حرفية أصحابها.

ولقد مثلت تجربة "أخبار اليوم" المنعرج الثالث الأهم في حياة الصحفي الشاب ويبدو أن اختياره كان صائباً حيث ستقدم له هذه الدار الكثير من إمكانياتها.

3- "أخبار اليوم" (1946-1956)

دخل هيكل "أخبار اليوم" في ربيع سنة 1946، وقد أنشأ هذه الدار الإخوان مصطفى أمين وعلي أمين في نوفمبر سنة 1944. ولم يكن هيكل منتمياً إلى المدرسة الصحفية التي ظهرت مع إنشائها.[23]

وشغل خطة محرر في دار "أخبار اليوم" وسكرتيراً لتحرير "آخر ساعة" في نفس الوقت.[24]

ثم تعرف على الأستاذ مصطفى أمين، الذي بدا له رجلاً شديد الذكاء فيما يقصد إليه، شديد النشاط مع بعض المبالغة في الحركة، لطيف المعشر حين يريد، لكنه ليس بالضبط مثل توأمه كتاباً مفتوحاً تقرأ صفحاته في يسر وسهولة، ولم يجد غرابة، فذلك بالطبع شأن مخبر صحفي كبير له اتصالاته الواسعة ومصادره المتشعبة وحساباته المعقدة.

ولقد وقعت بينهما في الشهور الأولى من عمله في "أخبار اليوم" احتكاكات سريعة، لكن العمل المشترك والصحبة الدائمة أزاحا كل شيء جانباً.[25]

---

23 ــ المصدر السابق، ص 34.
24 ــ المصدر السابق، ص 38.
25 ــ المصدر السابق، ص 38 ــ 39.

وتعرف بمحرري "أخبار اليوم" وجلس إلى مكتب في واحدة من حجراتها. وراح يتأقلم مع عالمه الجديد، ولم تكن العملية سهلة وإن كانت نتائجها سعيدة بالنسبة إليه وبالنسبة إلى كل الأطراف.[26]

وحاول أن يتميز في عمله، فبدت له التغطية الإخبارية في السياسة المحلية جهداً عقيماً، وفكر في العودة إلى التحقيق الصحفي.[27] وعاوده الحنين إلى المخاطرة والاقتراب من بؤر الموت، فاستغل فرصة تفشي وباء الكوليرا في مصر. وغادر القاهرة مع الأستاذ محمد يوسف كبير مصوري "أخبار اليوم" وذهبا ليقيما في منطقة ظهور الوباء بمحافظة الشرقية. وتقرر عزل المحافظة عن بقية مصر وهما متواجدان فيها. وكانت رسائله تصل كل أسبوع إلى أخبار اليوم تنقل إلى قرائها صورة شاملة إنسانية للحياة في ظلال الموت...[28] ونجحت هذه التحقيقات نجاحاً كبيراً فلفتت إليها أنظار كثيرين في مصر. فقد وجدت تشجيعاً كبيراً توج بفوز هيكل بجائزة (فاروق الأول للصحافة العربية) وكانت جائزة لها شأنها في ذلك الوقت خصوصا بين الصحفيين الشبان[29].

وأراد هيكل أن يضاعف نجاحه المهني، ويفتح له حدوداً دولية خارج مصر، فينفرد بين زملائه جميعاً في إجراء تحقيقات خارج بلده. وساعده علي أمين في تحقيق رغبته بعد أن تحمس لاقتراحه رغم أنه لم تجازف أي دار صحفية أخرى بمثل ما فعلته "أخبار اليوم" مع هيكل.[30]

قام الصحفي الشاب بتغطية الحوادث الساخنة في الشرق الأوسط وفي العالم. فغطى الحرب الأهلية في اليونان ومنطقة البلقان وحرب فلسطين

---

26 ـــ المصدر السابق، ص 38.
27 ـــ المصدر السابق، ص 40.
28 ـــ المصدر السابق، ص 40.
29 ـــ المصدر السابق، ص 40.
30 ـــ المصدر السابق، ص 40.

من أولها إلى آخرها. وكذلك سلسلة الانقلابات العسكرية في سوريا، وأيضا عمليات الاغتيال الكبرى في المنطقة، من اغتيال الملك عبد الله إلى اغتيال رياض الصلح في عمان إلى قتل حسني الزعيم في دمشق ثم إلى ثورة مصدق في إيران، ثم اتسعت المسافات فإذا به يغطي المشاكل الملتهبة في قلب إفريقيا ثم حرب كوريا وحرب الهند الصينية الأولى.[31]

وبعد خمس سنوات من التجوال، استقر به المقام في القاهرة بعد أن حصل على جائزة فاروق الأول للصحافة العربية ثلاث مرات. ثم قرر بعدها ألا يتقدم للجائزة ويتركها لغيره[32]...

لقد حقق نجاحاً كبيراً جعله تقريباً من ألمع الصحفيين الشبان في مصر. وتمكن من ربط مجموعة من العلاقات الخاصة مع كبار الساسة والصحفيين في العالم يقول عنها: "إنني أصبحت على معرفة وثيقة بأحوال شعوب المنطقة ومعرفة شخصية بكل ساستها وحكامها، وعلى صلة بجيلين من الصحفيين في العالم الواسع. فقد جمعتنا معا ميادين القتال ومواقع الأحداث على طول المسافة الممتدة من شواطئ المحيط إلى شواطئ الأطلنطي"[33].

أما في مصر، فإن نجاحه جعل القادة السياسيين ورجال الدولة والأحزاب يهتمون بالتعرف عليه، والتعاون معه، وإعطائه الأخبار بل وصل الأمر إلى أن استعان به رئيس الحكومة وأخذ رأيه في مسألة دخول الحرب في فلسطين. ويبين ذلك هيكل في قوله "إن أبواب السياسة المصرية تفتحت أمامي على مصراعيها. وكان من حسن حظي أنني لم أقف على باب أحد ولم أسأل أحدا في شيء أثناء مروره في ردهة أو

---

31 ـــ المصدر السابق، ص 41.
32 ـــ المصدر السابق، ص 41.
33 ـــ المصدر السابق، ص 41.

نزوله على سلم. وكان ساسة مصر وقتها قد تعودوا على مجموعة من الصحفيين يقفون على أبواب دور الرئاسات والوزارات يسألون الداخلين والخارجين عن الأخبار. ولقد سبب لي ذلك حساسيات مع البعض، ومع الأسف لم استطع إقناعهم أن الحياة مع الخطر، هي التي فتحت لي الأبواب وأعفتني من الوقوف على الأعتاب .

وأتذكر على سبيل المثال أنني حين عدت لأول مرة بعد أن كتبت سلسلة تحقيقات بعنوان "النار فوق الأرض المقدسة" تلقيت دعوة من رئيس الوزراء في ذلك الوقت محمود فهمي النقراشي (باشا) يطلبني إلى مكتبه ليسألني عما رأيت ويدقق في سؤالي، ولم تكن مصر قد قررت دخول الحرب.[34]

وفي داخل مؤسسة "أخبار اليوم" كافأه علي ومصطفى أمين بأن عرضا عليه رئاسة تحرير "آخر ساعة" ومنصب مساعد رئيس تحرير "أخبار اليوم" وقبل عرضهما وكان أستاذه التابعي أكثرهم سعادة فقد دعاهم جميعاً إلى العشاء ليلتها ببيته ومعهم أم كلثوم.[35]

ويصف هيكل هذه الفترة قائلاً: "كانت أخبار اليوم هي محور حياتي كلها وتحولت العلاقة التي تربطني بأصحابها إلى ما يشبه علاقة أخوة خصوصاً بالنسبة لعلي أمين الذي كنت شاهد زواجه الأول ثم أصبح بدوره شاهد زواجي بعد ذلك سنة 1955".[36]

لكن لابد من ملاحظة أن هذا الانسجام كان يتخلله مناقشات ومحاورات وأحيانا خلافات رأي يدور معظمها حسب رأي هيكل حول ثلاثة محاور:

---

34 ــ المصدر السابق، ص 41.

35 ــ المصدر السابق، ص 42.

36 ــ المصدر السابق، ص 42.

* قرب "أخبار اليوم" من القصر بأكثر مما هو صحي وعداؤها الشديد (للوفد) بأكثر مما هو صحي أيضا.

* والمحور الثاني، مطالبته الدائمة بأن تدار "أخبار اليوم" على قواعد مؤسسة تضمن سلامة العمل وتكفل الاستمرار.

* والمحور الثالث، إلحاحه المستمر على تغطية أكثر عمقا للحوادث والتيارات، لأن القارئ المصري يتغير ويتطور ولأن "حواديت" الثلاثينيات والأربعينيات لم تعد صالحة للخمسينيات والستينيات، خصوصا وقد أصبحت مصر جزءاً من عالم بأسره تهدده مخاطر عظيمة وتراوده آمال أعظم.[37]

ومع قيام ثورة 23 يوليو 1952، وجد هيكل نفسه قريباً جداً من قائد الثورة جمال عبد الناصر، وبخاصة أن علاقة نشأت بينهما منذ فترة سبقت الثورة، وتطورت الأحداث بسرعة، حيث اعتقلت السلطة الثورية الجديدة في مصر الأخوين مصطفى وعلي أمين ضمن من اعتقلتهم من حاشية القصر ورجال الملك.

وذهب هيكل إلى لقاء جمال عبد الناصر... محتجاً، وقال له، إن القبض على صاحبي أخبار اليوم في هذا الظرف حكم عليهما ما لم يكن هناك دليل يعرفه، ثم أن الحرج يمتد منهما إلى الدار نفسها وكل من فيها.

وعاد في المساء ومعه الأستاذ التابعي يرجو ويلح، ثم عاد صباح اليوم التالي يشرح الضغوط التي أحس بها في دار "أخبار اليوم" بالأمس ثم دخل أمام جمال عبد الناصر وآخرين من أعضاء مجلس قيادة الثورة في شرح مفصل لعلاقة الصحافة في مصر بالسياسة ومن ثم علاقتهما بالسلطة واحتمالات التجاوز في ظل الظروف الموضوعية السائدة.[38]

---

37 ــ المصدر السابق، ص 44.

38 ــ المصدر السابق، ص 58.

وأخيرا تقرر الإفراج عن مصطفى وعلي أمين وأخذهما هيكل معه، بصحبة محمد التابعي وكامل الشناوي، وذهبوا جميعا إلى مجلس قيادة الثورة وهناك قدمهما لجمال عبد الناصر وآخرين من أعضاء المجلس...[39]

وانطلاقا من هذه الحادثة، أصبح مصطفى وعلي أمين مشكوك في ولائهما للثورة، رغم ما كتباه لصالحها، وذلك لارتباطاتهما المعقدة بالسفارة الأمريكية في القاهرة.

وكثيرا ما دافع هيكل عنهما وحماهما من رجال الثورة، مستغلاً في حمايته علاقته الشخصية بجمال عبد الناصر، وتعرض في سبيل هذه الحماية إلى مشاكل كثيرة، قال عنها "تعرضت لمشاكل لا حدود لها بسبب هذا الحال، فقد راح كثيرون يدعون أنني بصداقتي الوثيقة لجمال عبد الناصر أحمي أخبار اليوم وأتستر على مصطفى أمين، بل ذهب البعض إلى ما هو أبعد ومؤداه أن ارتباطي إلى هذه الدرجة بأخبار اليوم لا يعني غير أنني من نفس النوع وذات العينة".[40]

لكن رغم ذلك استمرت علاقته الجيدة بالأخوين حتى سنة 1965 عندما اكتشفت أجهزة الأمن المصرية خيانة مصطفى أمين وأثبتت عمالته لجهاز المخابرات الأمريكية، وتم إلقاء القبض عليه، وحوكم بتهمة الجوسسة.[41]

وبدأت علاقة هيكل وعبد الناصر تتوطد شيئاً فشيئاً. فحين فكرت الثورة في إصدار جريدة تعبر عنها وهي جريدة "الجمهورية" طلب منه جمال عبد الناصر أن يتولى الإشراف على إصدارها ولكنه اعتذر. وكانت وجهة نظره أنه متمسك بأخبار اليوم وعمله فيها وصداقته مع أصحابها.

---

39 ــ المصدر السابق، ص 59.

40 ــ المصدر السابق، ص 68.

41 ــ أفرج عن مصطفى أمين في عهد السادات وشارك في الحملة الإعلامية الكبيرة ضد عبد الناصر وعهده، وأيضاً ضد محمد حسنين هيكل الذي رد عليه بكتاب"هيكل بين الصحافة والسياسة" بين فيه القصة كاملة.

ثم يعتقد أن الفارق بين الثورة والحكومة ضائع. وفي النهاية فليست هناك صحيفة ستصدر عن الثورة وإنما عن الحكومة وهو لا يتصور نفسه في جريدة حكومية.

وثالثا يرى أن الثورة لا تحتاج جرائد تعبر عنها، لأن كل صحافة مصر تفعل هذا الشيء.[42]

وفي سنة 1955 وفي لقاء في نادي الجزيرة مع علي الشمسي (باشا) رئيس مجلس إدارة البنك الأهلي ورئيس مجلس إدارة الأهرام وقتها تلقى عرضاً لرئاسة تحرير الأهرام. وكان علي الشمسي يعرض عليه منصب التحرير، واعتذر مرة ثانية.[43] لكن بعد سنة يتكرر العرض، ويقبل به هيكل، ويدخل بذلك المنعرج الرابع والحاسم في حياته الصحفية حيث يصل إلى قمة صعوده وتشتبك الصحافة بالسياسة عنده حتى يصعب الفصل بينهما.

لقد لخص هيكل رأيه في السنوات التي قضاها في "أخبار اليوم" بقوله "كانت السنوات العشر التي قضيتها في أخبار اليوم (1946- 1956) سنوات خصبة وفيها وضعت الأساس لأي شيء يمكن أن أصل إليه مهنياً، وفيها وصلت بالفعل إلى مكان الرجل الثاني بعد صاحبيها".[44]

ويعود الفضل إلى دار "أخبار اليوم" في تفوق هيكل الصحفي وجعله نجم الصحافة في مصر، فهي التي مهدت له السبيل الحقيقي من أجل إبراز موهبته، وذلك بمغامرتها في إرساله خارج حدود مصر وفتح آفاق دولية للصحفي الشاب مكنته من تغطية الأحداث التاريخية الكبرى التي هزت العالم في منتصف القرن، ومكنته أيضا من نسج شبكة من العلاقات مع ألمع ساسة وصحفيي العالم في هذه الفترة.

---

42 ــ محمد حسنين هيكل، **بين الصحافة والسياسة**، مصدر سابق، ص ص 63 ــ 64.

43 ــ المصدر السابق، ص 64.

44 ــ المصدر السابق، ص 66.

كذلك تعتبر مدرسة "أخبار اليوم" من المدارس الليبرالية في الصحافة التي لا تحبذ أسلوب صحف الرأي والأحزاب وتعتمد على الإثارة والتشويق، متأثرة بالصحف الغربية وبخاصة الأمريكية منها، وهو ما ساعد هيكل على صقل موهبته.

وأثبت هيكل كفاءته كصحفي ومحرر ممتاز في "أخبار اليوم" لكنه لم يجد بعد الفرصة التي يبرز فيها موهبته كمدير مسئول وموجه لصحيفة وهي فرصة سيجدها في جريدة "الأهرام" حيث سيصبح المسئول الأول عن دار الأهرام. كما برز دوره في "أخبار اليوم" منحصراً في دور الصحفي حتى 23 يوليو 1952، حينما بدأ أول خطواته في العمل السياسي إلى جانب عبد الناصر... أما في "الأهرام" فستكون التجربة مختلفة خاصة عندما يبرز دوره السياسي بقوة على السطح.

الفصل الثاني

تجربة "الأهرام" (1957- 1974)

كان "سليم تقلا" صاحب "الأهرام" واحد من الصحفيين الذين جاءوا إلى مصر من سوريا تزلفاً للخديوي إسماعيل الذي كان يميل بطبعه إلى الدعاية ويسيطر عليه حب الظهور، وكان في حاجة إلى صحافة تؤيده... وقد جاء صاحب "الأهرام" لهذا السبب وأيضاً هرباً من جور السلطان العثماني عبد الحميد وبطشه. وفي 27 ديسمبر 1875 قدم ملتمساً لإنشاء مطبعة الأهرام ووافقت عليه الحكومة.

وصدر العدد الأول من "الأهرام" في 5 أغسطس سنة 1876 متكوناً من 4 صفحات ثم أصبح صحيفة يومية ابتداء من يوم الاثنين 3 يناير 1881[1]

وفي سنة 1957 يصبح محمد حسنين هيكل رئيساً لتحريره.

---

1 ــ سمير صبحي، **صحيفة تحت الطبع**، دار المعارف، الطبعة الثانية، القاهرة، 1980، ص ص 54 ــ55ــ56.

1- دخول "الأهرام"

ثاني محاولة لدخول هيكل "الأهرام" تمت في ربيع سنة 1956عندما عاد الشمسي (باشا) يلح عليه ويبدي لإلحاحه أسباباً كثيرة بينها أن "الأهرام" سوف يكون امتحاناً حقيقياً لما يستطيع عمله كصحفي...[2]

ولأسباب متعددة وقتها وجد نفسه يسمع باهتمام إلى علي الشمسي (باشا) ثم وجد نفسه يذهب إلى صديق يثق به وهو شيخ المحامين الأستاذ مصطفى مرعي وتحمس الأستاذ مرعي وقال أنه سيكون محاميه في التعاقد مع أصحاب "الأهرام". وبالفعل ذهب معه لعدة لقاءات مع عضو مجلس الإدارة المنتدب وقتها الأستاذ ريمون شميل، وتقدمت محادثاتهم إلى درجة كتابة عقد وقعوا عليه بالأحرف الأولى تسجيلاً للنوايا وتمهيداً لاتفاق نهائي.

ثم رجا منهم هيكل ترك الموضوع حيث هو حتى يتحدث فيه مع أصحاب "أخبار اليوم".[3]

لكن أصحاب "أخبار اليوم" تمكنا من إقناعه بضرورة إلغاء العقد واستمراره معهما... وتواصل هذا الوضع إلى يوم 6 أبريل 1957، ففي هذا اليوم، التقى هيكل في (نادي الجزيرة) مع علي الشمسي (باشا) ودون أية حسابات. ولعله كان العقل الباطن يدفع الكامن فيه على السطح، وجد نفسه يقول للشمسي (باشا): "إنني سوف أريحك إلى أبعد حد، في العام الماضي عرضوا علي "الأهرام" واعتذرت، وفي هذا العام أنا الذي أعرض نفسي على "الأهرام"..."[4]

---

2 ــ محمد حسنين هيكل، **بين الصحافة والسياسة**، مصدر سابق، ص 64.

3 ــ المصدر السابق، ص 65.

4 ــ المصدر السابق، ص 75.

وجرت اتصالات وحضر آخرون وانتهى المساء بتوقيع العقد الملزم للطرفين، وأخذ نسخته منه وذهب إلى بيت الأستاذ مصطفى مرعي يسأله رأيه، وكان تعليقه "خير ما فعلت".[5]

وحتى لا يصطدم مع أصحاب "أخبار اليوم" ولا يخضع مرة أخرى لتأثيرهما، استقر رأيه على تأدية استقالته كتابياً وعن طريق خطاب يشرح فيه المسألة للأستاذين مصطفى وعلي أمين، فلم يكن يريد لهما ولا لنفسه تكرار ذلك المشهد المشحون في مكتب علي أمين قبل عام واحد.

وهكذا ترك لهما خطاباً وسافر إلى الإسكندرية دون أن يترك عنوانه لأحد.

وحين عاد إلى القاهرة بعد عشرة أيام كان النبأ قد تسرب وأصبح حديث المحافل الصحفية، وأصبحوا جميعاً أمام أمر واقع يفرض نفسه على الكل.[6]

ورغم دخوله "الأهرام" فقد التقى هيكل مع الآخرين في مكتب علي أمين... واتفقوا على شيئين:

أولهما: أنه تحت أي ظرف لا ينبغي أن يبدو انتقاله إلى "الأهرام" انفصالاً في نفس الوقت عن "أخبار اليوم" وهكذا فإنه سيحتفظ برئاسة تحرير "آخر ساعة" إلى جانب "الأهرام" لمدة سنة.

والثاني: أن يكون هناك لقاء منظم بينهم كل أسبوع، لا يحتاج إلى دعوة أو توكيد وهكذا أصبح موعدهم الغداء يوم الثلاثاء من كل أسبوع في بيت الأستاذ مصطفى أمين يلتقون فيه ويتحدثون ويتبادلون الرأي فيما يعن لهم من أمور. واستمر غداء الثلاثاء بغير انقطاع ثماني سنوات لم يخلفوا موعداً لسفر أحدهم أو لعذر قاهر على غير انتظار.[7]

---

5 ــ المصدر السابق، ص 71.

6 ــ المصدر السابق، ص 73.

7 ــ المصدر السابق، ص 73.

وفي نفس الفترة التي وقع فيها عقد "الأهرام" كانت علاقته بجمال عبد الناصر متطورة، سمحت لهيكل أن يقول لعبد الناصر في غرفة مكتبه في بيته، بمنشية البكري، وبدون مقدمات "إنه وقع عقداً مع الأهرام".[8]

وكان الأمر مفاجئاً لعبد الناصر وكان تعليقه الأول: "أليس غريباً أن تقبل العمل في "الأهرام" وأصحابه أسرة تقلا بينما اعتذرت عن العمل في "الجمهورية" وأنا صاحبها؟".

فقال له هيكل "إن "الأهرام" له صاحب أستطيع أن أتعامل معه مهنياً، وأما "الجمهورية" فلا يمكن أن يكون لديك الوقت لممارسة مسؤوليات صاحبها وبالتالي فهي بلا صاحب، وهذا يجعلها مهنياً معضلة شبه مستحيلة".

وقال له عبد الناصر أيضاً "سوف تتعب مع هؤلاء الناس، ما أسمعه غير مشجع ولا أظنهم يتركون لك الفرصة لتفعل ما تريد..."

وأجاب هيكل: "الحكم بيني وبينهم هو العمل نفسه... هم يريدون نجاحاً لجريدتهم وهو ما أريده أيضاً، الموقف كله يختلف إن لاحت علامات نجاح."

وراح عبد الناصر يفكر قليلاً ثم سأله: "هل هناك مشاكل في "أخبار اليوم"". فرد هيكل على الفور: "مطلقاً، كل شيء هنا في مجراه العادي، لكني أشعر أنني وصلت ــ مهنياً ــ إلى آخر السلم فيما يمكن تحقيقه في "أخبار اليوم". في "الأهرام" شيء مختلف، سلم جديد من بدايته والطريق طويل، وهو في كل الأحوال امتحان أشعر إني متحمس لدخوله".

8 ــ المصدر السابق، ص 71.

وكان عبد الناصر كريماً مشجعاً وقال: "الأمر لك كما تراه، فهو عملك ومستقبلك وإن كنت لا أخفي إنني مشفق عليك من عناء تجربة جديدة مع اعتقادي أنك قادر على النجاح".[9]

وبعد ثلاث سنوات من عمل هيكل في "الأهرام" أبلغه عبد الناصر بقرار أصدره بضم "دار الهلال" إلى "الأهرام" في التشكيلات الجديدة لمجالس الإدارات... وكان من قبل قد أبعد نفسه تماماً عن قضية تشكيلات مجالس الإدارات دفعاً لأية حساسية وعاد الآن يرجوه أن يعفي "الأهرام" من "دار الهلال" لأن كل من الدارين لها طبيعة مختلفة. وتجاوب معه عبد الناصر وقال له: "لقد وقعت التشكيلات وصدرت فعلا وسوف تصلكم في الصحف بعد قليل، ولا يصح إدخال تعديل عليها الآن وإلا بدا وكأن شيئاً أضيف إليك قد نزع منك. غدًا، نصدر تعديلاً يتعلق بدار الهلال، وينشر. إن ذلك تم بناءاً على طلبك حتى لا يسئ أحد تفسير القرار".[10]

ويمكن أن نستنتج من الحوارين السابقين بين عبد الناصر وهيكل، أن الصحفي الشاب، بدأ يدعم مركزه الصحفي، ويحمي موقعه الجديد، من خلال علاقته بالمسئول الأول عن الثورة، باستشارته في كل خطوة حاسمة يتخذها في حياته المهنية. فقد اتبع أسلوب إعلام عبد الناصر بكل القرارات الهامة التي يتخذها، ربما حتى إذا ما كانت نتائجها عكسية يكون لعبد الناصر دور تخفيفها باعتباره شارك هيكل في القرار ولو بالعلم به فقط.

أما عن طبيعة وضع "الأهرام" عندما استلمه هيكل، فقد تميز بالانحدار والخسارة، حيث كانت "الأهرام" تخسر مادياً طوال السنوات العشر السابقة.

---

9 ـــ المصدر السابق، ص 72، الحوار نقل كاملاً مع التصرف من الباحث، نظراً لأهميته في تثبيت اختيار المنعرج الرابع والحاسم في حياة هيكل الصحفية.

10 ـــ المصدر السابق، ص 80.

وكانت خسائره تزيد في تلك الفترة على مليون ونصف جنيه سنوياً. وكان توزيع الأهرام في ذلك الوقت في حدود 68 ألف نسخة بما فيها الاشتراك. وكان هذا التوزيع يتناقص ــ كما كانوا يقولون ــ بعدد إعلانات الوفيات في الأهرام. وكانت معظم تجهيزاتها الفنية من آلات ومعدات مصنوعة في فرنسا في الفترة ما بين 1904 و1928، وكان رأسمال الشركة التي تصدر الأهرام هو أربعمائة ألف جنيه مصري، زادت خسائر الأهرام عنها عدة مرات في السنوات السابقة إلى الحد الذي دعا أسرة (تقلا) إلى التفكير في بيع الأهرام، وكان بين الذين حاولوا شراءها في ذلك الوقت، دار التحرير للطبع والنشر، وكانت تملكها الحكومة وكان رئيس مجلس إدارتها هو الرئيس أنور السادات نفسه الذي تفاوض في عملية الشراء. وكان المبلغ الذي جرى التفاوض عليه هو أربعمائة ألف جنيه ــ رأسمال الشركة ــ وأربعمائة ألف أخرى في مقابل اسم الشهرة. هكذا كانت الأهرام كلها مقدرة بثمانمائة ألف جنيه مصري"[11] حينما تسلم هيكل أمورها سنة 1957.

وتمكن الصحفي الشاب بفضل حماسه وخبرته وعلاقاته من الصعود بالأهرام إلى قمة النجاح.

2- إنجازات في "الأهرام"

يتميز النجاح الذي حققه هيكل في الأهرام بشموله للبعدين المادي والمعنوي معاً.

فمن الناحية المادية، نجد أن الأمور اختلفت كلها اختلافاً شاسعاً عن سنة 1957، تاريخ تسلمه لمسؤولياتها، فبعد سبعة عشر عاماً، عندما ترك

11- محمد حسنين هيكل، **وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي**، شركة المطبوعات والتوزيع والنشر، الطبعة الثانية، بيروت 1982، ص 223.

هيكل الأهرام سنة 1974، أصبحت موجودات الأهرام "تزيد عن أربعين مليون جنيه، وحجم عملياتها السنوية يدور حول مائة مليون جنيه.

ووصل متوسط توزيعها إلى ثلاثة أرباع مليون نسخة كل يوم، بما في ذلك عدد الجمعة الخاص.

وكانت أرباحها السنوية تصل إلى ما بين ثلاثة وأربعة ملايين جنيه.

وكانت سمعتها العربية والدولية التي تأسست وتأكدت في تلك الفترة تجعلها واحدة من الصحف العشر الكبرى في العالم طبقاً لتقرير نشرته جريدة "التايمز".

وأصبحت دار الصحيفة، بما فيها من تجهيزات حديثة ومعدات، واحدة من الدور الصحفية الثلاثة الأكثر تقدماً في العالم، وذلك بشهادة مؤتمر الصحافة العالمي في لوس أنجلوس سنة 1971.

إن كل ذلك تم بدون أية معونات خارجية وبدون أية مساعدات وإنما تم بالعمل الإنساني وحده لكل الذين شاركوا معه في إعادة بناء "الأهرام"".[12]

ويتحدث هيكل عن تجربته في الأهرام باعتزاز وفخر كبيرين فيقول عنها: "... كنت أتمنى لو استطعت أن أتحدث عن مدرسة جديدة في إدارة الصحف ظهرت وازدهرت تلك الأيام في الأهرام وكنت أتمنى لو استطعت أن أتحدث عن آلاف من عمال الأهرام يمثلون شيئاً مختلفاً في طاقة العمل المصرية، كانوا أقل من ثلاثمائة حين دخلت الأهرام وتركتهم هناك قرابة ستة آلاف، كثيرون منهم أتيحت له فرصة التدريب خارج مصر، بل أن بعضهم أضاف في إنجلترا نفسها تحسينات تكاد تصل إلى درجة الاختراع على بعض الآلات التي ذهبوا يتدربون عليها، وكنت

12ـــ محمد حسنين هيكل، **وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي**، مصدر سابق، ص 224.

أتمنى لو استطعت أن أتحدث كيف استطاع الأهرام في ذلك الوقت أن يسبق إلى عصر الكمبيوتر ...".[13]

كما أشرف هيكل على تأسيس مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، وكان الهدف من ذلك المركز إثراء الحوار في قضايا الإستراتيجيا العامة دون أن يتعرض لأية أسرار، ولقد كان حريصاً على استقلال المركز عن كل الأجهزة الرسمية للدولة، ولم يكن في حاجة إلى شيء من هذه الأجهزة ولا حتى في مجال المعلومات، فقد كان المركز يتبادل الدراسات مع غيره من مراكز الدراسات الإستراتيجية في العالم، ويقصر اجتهاداته على ما هو متاح من المصادر العلنية المنشورة للمعلومات، وهو فيض لا ينقطع. ويعتقد هيكل أن ما كان لديه من المعلومات أكثر بكثير مما لدى أجهزة الدولة، وذلك بالطبع في المجالات التي يهتم بها وكانت مهمة المركز أن يشترك في الحوار العالمي الدائر حول القضايا الإستراتيجية، ولم يكن في مهمته كما تصورها أن يجيب على أسئلة توجه لهم من مسئولين.[14]

وفيما يتعلق بالناحية المعنوية، فقد نجح "الأهرام" في أن يصبح "منبراً يكاد يكون وحيداً للدفاع عن حرية الرأي والنقد"[15]. ويعتقد هيكل أن ذلك لم "يكن لامتياز خاص ادعيته لنفسي أو أعطاه لي غيري، إنما كان عن إيمان بدور الصحافة الحرة"[16].

---

13 ـ محمد حسنين هيكل ، **بين الصحافة والسياسة**، مصدر سابق، ص 406.

14 ـ محمد حسنين هيكل، **وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي العام الاشتراكي**، مصدر سابق، ص ص 154 ـ 155.

15 ـ المصدر السابق، ص 254.

16 ـ المصدر السابق، ص 254.

ويشرح ذلك قائلاً: "إن الأهرام يستمد قيمته من حريته، وهي حرية حرصنا دائماً أن تكون حرية مسئولة. وفي ممارستها، فإننا نشرنا كثيراً من الآراء المفتوحة لأكبر كتاب مصر مما جعل "الأهرام" وقتها حصناً منيعاً لمثقفي مصر"[17].

وعمل هيكل على حماية كل من يكتب في "الأهرام" مستغلاً اتفاقه مع الرئيس عبد الناصر بشأن حرية "الأهرام". ويقول عن هذه الحرية أنها "جزء من حرية الصحافة، اعتبر نفسي مسئولاً عنه مباشرة لأنه في صميم اختصاصي وعملي"[18].

كما تجرأ هيكل على نقد التجاوزات التي تقع في التجربة المصرية، كما حدث في الصدام الذي وقع بين "الأهرام" وبين جهاز المخابرات، وهو الصدام الذي انعكس فيما كتبه تحت شعار "زوار الفجر" هذا إلى جانب ما كتبه زملاء له في "الأهرام" أبرزهم الدكتور عبد المنعم الشرقاوي الذي تعرض أثناء اعتقاله إلى ما لم يكن ينبغي أن يتعرض إليه، والأستاذ توفيق الحكيم الذي نشر له مسرحية (بنك القلق) والأستاذ نجيب محفوظ الذي نشر له العديد من أعماله التي تعرضت بالنقد الشديد لبعض تجاوزات التجربة[19]، مثل روايتيه (ثرثرة فوق النيل) و(اللص والكلاب) وغير ذلك... وكان هناك غير هؤلاء ممن تعرضوا بالنقد الشديد لبعض جوانب التجربة. ويعتقد هيكل أن الأهرام في ذلك الوقت ورغم قرب رئيس تحريرها بصداقة حميمة مع الرئيس جمال عبد الناصر، كانت أكثر الصحف التي تعرضت لضربات بعض الأجهزة، وعلى سبيل المثال فقد

---

17 ــ محمد حسنين هيكل، **السلام المستحيل والديمقراطية الغائبة**، مصدر سابق، ص 312.

18 ــ المصدر السابق، ص 312.

19 ــ محمد حسنين هيكل، **وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي**، مصدر سابق، ص 266.

جرى اعتقال الدكتور جمال العطيفي، واعتقال الأستاذ لطفي الخولي واعتقال الأستاذ حمدي فؤاد والأستاذ أحمد نافع والأستاذ صباغ من هيئة تحرير "الأهرام" ووصل الأمر إلى اعتقال سكرتيرته الخاصة بعد ثلاثة أيام من تعيينه وزيرا للإرشاد.[20]

ويضيف هيكل عن هذا الصراع بقوله "وكنا جميعا في ذلك كله نصد، لا نهرب ولانستسلم... ولا نحول موقفنا إلى حالة غضب شخصي وإنما ندافع عن مبدأ لنا ولغيرنا، وإذن فإننا كنا ننقد التجاوزات ونتعرض لبعضها".[21]

وحاول هيكل من خلال "الأهرام" الدفاع عن حرية الرأي، والتسامح مع الإبداع. وكان متضامناً مع كل من يضطهد في رأيه، ويروي أحمد حمروش[22] الواقعة التالية تأكيداً لهذا المعنى: "ذهب إليه هيكل في مكتبه بـــ"الأهرام" القديم وكنت مديراً للمسرح، يتهم فيه مسرحية لسارتر بأنها دعوة للإلحاد... والإباحية... ولم تكن كذلك أبداً... وما كانت الرقابة لتسمح بعرضها لو كانت كذلك.

وعندما قلت له إني فزع مما نشر، رد قائلاً إنه أشد فزعاً لأن أفكاراً مثل هذه تسربت إلى صفحات الأهرام".

لقد تميز هيكل بـــ"الأهرام" عندما أحاط بها ألمع كتاب ومفكري مصر بصرف النظر عن توجهاتهم الفكرية والسياسية، ليكتبوا فيها ما لا يستطيعون كتابته في صحف أخرى غير "الأهرام". ويلخص هيكل رأيه في هذه المسألة في حوار مع عبد الناصر قال له فيه "ما الذي أريده بكل

---

20 ــ المصدر السابق، ص255.

21 ــ المصدر السابق، ص255.

22ــ احمد حمروش في سلسلة مقالات بعنوان "زيارة جديدة لهيكل"، "روز اليوسف" المصرية، عدد 1 يناير 1986.

هذا الحشد من قادة الفكر والمثقفين الذين حشدتهم في "الأهرام"؟ إنهم ليسوا مجرد حلي ذهبية أزين بها صدر "الأهرام" ولكنهم وظيفة ودور لا غنى لمصر عنه ولا غنى له عنها.

آراؤهم كلها، اجتهاداتهم بما فيها من خطأ أو صواب، أفكارهم النافذة إلى كل ركن وناحية من حياتنا الوطنية والقومية ـ إثراءً لهذه الحياة لا حدود له...".[23]

إن سبعة عشر عاماً من العمل على رأس مؤسسة "الأهرام" جعلت هيكل يتربع على عرش الصحافة المصرية والعربية وأوصلته إلى حد أن وكالات الأنباء الخمس الكبرى في العالم كانت تنقل أسبوعياً ما يكتبه في ركن (بصراحة) كل يوم جمعة. وكانت إذاعة (صوت العرب) بدورها تذيع هذا المقال، وكثيراً ما كانت السفارات الأجنبية في مصر تعتمد على تحليل مقال هيكل حتى تكتشف نوايا الحكومة المصرية...

لقد قدم هيكل لـ"الأهرام" أخصب سنوات عمره، وحماس شبابه، طيلة المدة التي عمل فيها على رأسها، حتى أصبحت مسألة مغادرته لها إن اختياراً أو اضطراراً مسألة صعبة تحمل في طياتها شحنات عاطفية قوية.

3 ـ مغادرة الأهرام

(31 يناير 1974)

أصبح موقع هيكل في "الأهرام" مركزاً قوياً في المجتمع المصري كان صاحبه يفضله على منصب الوزارة بل كانت الوزارة تعني له تحديداً من صلاحياته وضرباً لمكانته، فعندما "قال عبد الناصر لهيكل :

---

23 ـ محمد حسنين هيكل، **السلام المستحيل والديمقراطية الغائبة**، مصدر سابق، ص 315.

أنت تفلسف هذه المسائل وأنت صحافي خارج عن الدائرة، أمسك الوزارة وفلسفها من الداخل وأنت وزير"، ومن ثمة أمر عبد الناصر مدير مكتبه للمعلومات ووزير شؤون الرئاسة سامي شرف بأن يذيع قرار تعيين هيكل في الوزارة على الساعة الثانية عشر ظهراً بالإذاعة، وفوجئ هيكل بالقرار".(24)

"فإن هيكل الآن قد اهتز وضعه بنقله من مركز قوته وحلم حياته "الأهرام" وواضح للجميع أن هيكل يرى الدنيا من خلال مركزه".(25)

لقد روى هيكل بنفسه كيف ذهب إلى عبد الناصر حزيناً، قائلاً : "إن "الأهرام" هي عمره وحياته... وحاول عبد الناصر أن يشرح له أنه في ظروف الحرب يمكن للقائد أن يطلب من أية فاعلية في البلد أن تنتقل من موقع إلى موقع... ولما وجد عبد الناصر تشبث هيكل بـ"الأهرام" رضي أن يبقيه في "الأهرام" شريطة أن يتولى منصبه في وزارة الإعلام".(26)

ولئن استطاع هيكل أن يحافظ على موقعه في "الأهرام" بفضل العلاقة الشخصية التي ربطها مع جمال عبد الناصر، فإن فترة السادات شهدت في البداية تحالفاً قوياً بين الرئيس الجديد وهيكل امتدت من يوم وفاة عبد الناصر في 28 سبتمبر 1970 حتى أواخر شهر أكتوبر 1973 ثم سرعان ما برز خلاف واضح بينهما بسبب ما رآه هيكل من التوظيف السيئ للنتائج العسكرية...

---

24 ــ من مقابلة أجراها الباحث مع سامي شرف مدير مكتب عبد الناصر للمعلومات ووزير شؤون الرئاسة. أجريت في أغسطس 1991 في القاهرة. أنظر الحوار كاملا في الملاحق.

25 ــ محمد باقر شري، "عبد الناصر مات أو أميت"، "**الشراع**" اللبنانية، الحلقة الخامسة، السنة الخامسة، العدد 252، 12 يناير 1987.

26 ــ محمد حسنين هيكل، **بين الصحافة والسياسة**، مصدر سابق، ص 377.

وبلغ الخلاف أوجه في 31 يناير 1974، عندما أبلغ هيكل أن "الرئيس السادات أصدر قراراً بتعيينه مستشارا له، وتعيين الدكتور عبد القادر حاتم رئيساً لمجلس "الأهرام"".[27]

وصباح أول فبراير دعا الدكتور عبد القادر حاتم إلى "الأهرام" لكي يتسلم كل شيء فيه، وكان رأيه أن من اللائق بـــ "الأهرام" وبه أن يتم انتقال متحضر.

وهكذا جمع مجلس الإدارة ومجلس النقابة ومجلس التحرير وقدم لهم الدكتور حاتم باعتباره المسئول الجديد، ثم سلمه تقريراً من العقل الإلكتروني عن اقتصاديات "الأهرام" وتوزيعه وأرباحه.

ثم غادر المبنى لآخر مرة في الساعة الثانية والنصف بعد الظهر عارفاً بأنه لن يعود إليه مرة أخرى مهما حدث أو يحدث...

وسألته وكالات الأنباء العالمية فأصدر تصريحاً مقتضباً يقول فيه: "إنني استعملت حقي في إبداء رأيي على صفحات "الأهرام" ثم استعمل الرئيس السادات سلطته في إبعادي عنه، وهكذا فإن كلاً منا مارس ما لديه".[28]

وكانت صحف العالم تعتبر خروجه من "الأهرام" موضوعاً رئيسياً وفي يوم واحد كانت افتتاحيات أربعة من الصحف الكبرى تركز عليه: "لوموند" و"التيمس" و"الواشنطن بوست" و"الداي فليت" وكان ذلك يثير غضب السادات وحفيظته وهو ما كان يتجنبه.[29]

ولم يكن السادات يريد حرمان هيكل من "الأهرام" فقط وإنما كانت غايته حرمانه من الصحافة ومن الكتابة فيها أيضاً. ويقول هيكل في هذه

---

27 ـــ المصدر السابق، ص 377.

28 ـــ محمد حسنين هيكل، **بين الصحافة والسياسة**، مصدر سابق، ص 377.

29 ـــ المصدر السابق، ص 381.

المسألة "أستطيع بعد ذلك أن أضيف وقائع محددة أبلغت فيها بأنه لم يعد هناك داع لأواصل الكتابة الصحفية، لأني كما قيل لي أصبحت سياسياً ولم أعد مجرد صحفي. ومع ذلك فلست أرى داعياً إلى سرد هذه الوقائع، فالحقائق واضحة تتحدث عن نفسها بنفسها، ومع ذلك فإني قبلت راضياً نتائج إبعادي عن "الأهرام" فقد كان المهم بالنسبة إلي أن أظل صحفياً ولا شيء غير ذلك".[30]

ويلخص هيكل "مأساته" عندما كتب "وقيل لي مرات أن خطيئتي الكبرى أن الأهرام نجح عالمياً ـ وكذلك كتاباتي في الدنيا الواسعة بعد خروجي من الأهرام ـ وأن هذا النجاح في حد ذاته جريمة لا تغتفر".[31]

30ـ محمد حسنين هيكل، **وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي**، مصدر سابق، ص 224.

31 ـ محمد حسنين هيكل، **بين الصحافة والسياسة**، مصدر سابق، ص 408.

الفصل الثالث

هيكل و"تنظيم الصحافة" في عهد عبد الناصر

بعد انفصال سوريا عن (الجمهورية العربية المتحدة) سنة 1961 وانتهاء دولة الوحدة إلى التلاشي، دخلت (الجمهورية العربية المتحدة) بقيادة جمال عبد الناصر مرحلة (التحول الاشتراكي) والتأميمات الكبرى التي حدثت في نفس السنة وأعقبها إطار نظري فكري يشرح و"ينظّر" لطبيعة المجتمع الجديد، فظهر (ميثاق العمل الوطني)[1] سنة 1962.

1 ـــ وجهة نظر عبد الناصر

وبدأت عملية "تصفية" القطاع الرأسمالي لصالح القطاع العام، تشتد يوماً بعد يوم، وكان رأي عبد الناصر: "أن العمل من أجل زيادة قاعدة

1 ـــ كان لمحمد حسنين هيكل دور كبير في صياغة عباراته.

الثروة الوطنية لا يمكن أن يترك لعفوية رأس المال الخاص المستغل ونزعاته الجامحة".[2]

وكان يعتقد "إن اتساع مسافة التخلف في العالم بين السابقين وبين الذين يحاولون اللحاق بهم لم تعد تسمح بأن يترك منهاج التقدم للجهود الفردية العفوية التي لا يحركها غير دافع الربح الأناني.

إن هذه الجهود بالتأكيد لم تعد قادرة على مواجهة التحدي.[3]

وأضاف عبد الناصر "إن مواجهة التحدي لا يمكن أن تتم إلا بثلاثة شروط:

1 ــ تجميع المدخرات الوطنية،

2 ــ وضع كل خبرات العلم الحديث في خدمة استثمار هذه المدخرات،

3 ــ وضع تخطيط شامل لعملية الإنتاج.[4]

ومن ثمة، كان ضرورياً أن يكون "الحل الاشتراكي هو الطريق الوحيد الذي يمكن أن تتلاقى عليه جميع العناصر في عملية الإنتاج على قواعد علمية وإنسانية تقدر على مد المجتمع بجميع الطاقات التي تمكنه من أن يصنع حياته من جديد وفق خطة مرسومة مدروسة وشاملة".[5]

ويصل إلى "إن الاشتراكية العلمية هي الصيغة الملائمة لإيجاد المنهج الصحيح للتقدم".[6]

---

2 ــ جمال عبد الناصر، **الميثاق**، دار المسيرة، بيروت، بدون تاريخ طبع، ص 114.

3 ــ المصدر السابق، ص 113.

4 ــ المصدر السابق، ص 113.

5 ــ المصدر السابق، ص 115.

6 ــ المصدر السابق، ص 111.

وحتى ينجز التحول الاشتراكي، لابد من القيام بعمليات واسعة للتأميم وهو "ليس إلا انتقال أداة من أدوات الإنتاج من مجال الملكية الخاصة إلى مجال الملكية العامة للشعب.

وليس ذلك ضربة للمبادرة الفردية كما ينادي أعداء الاشتراكية، وإنما هو توسيع لإطار المنفعة وضمان لها في الحالات التي تقتضيها مصلحة التحول الاشتراكي الذي يتم لصالح الشعب".[7]

كذلك "ليس التأميم كما تنادي بعض العناصر الانتهازية، عقوبة تحل برأس المال الخاص حين ينحرف ولا ينبغي بالتالي ممارسته في غير أحوال العقوبة.

إن نقل أداة من أدوات الإنتاج من مال الملكية الفردية إلى مجال الملكية العامة أكبر من معنى العقوبة وأهم".[8]

وأضاف عبد الناصر في (الميثاق) "إن الاشتراكية مع الديمقراطية هما جناحا الحرية وبهما معاً تستطيع أن تحلق إلى الأفاق العالية التي تتطلع إليها جماهير الشعب".[9]

كما تعتبر "الكلمة الحرة ضوء كشاف أمام الديمقراطية السليمة... إن حرية الكلمة هي المقدمة الأولى للديمقراطية... وسيادة القانون هي الضمان الأخير لها.

وحرية الكلمة هي التعبير عن حرية الفكر في أي صورة من صوره.

كذلك فإن حرية الصحافة وهي أبرز مظاهر حرية الكلمة يجب أن تتوافر لها كل الضمانات".[10]

---

7 ــ المصدر السابق، ص 126.

8 ــ المصدر السابق، ص 127.

9 ــ المصدر السابق، ص 130.

10 ــ المصدر السابق، ص 166.

"وإنه لمن ألزم الأمور هنا تشجيع الكلمة المكتوبة لتكون صلة بين الجميع يسهل حفظها للمستقبل، كما أنها تستكمل حلقة هامة في الصلة بين الفكر والتجربة".[11]

إن مجموع هذه الأفكار هي التي دفعت بالرئيس جمال عبد الناصر إلى ضرورة (تأميم) الصحافة في (الجمهورية العربية المتحدة) ونقلها من الملكية الخاصة إلى ملكية القطاع العام كغيرها من القطاعات الأخرى، وحدث صدام بينه وبين محمد حسنين هيكل في هذا الموضوع حينما اختلفت وجهتا نظرهما.

كانت المناقشات حول ملكية الصحافة في مصر، طويلة بين جمال عبد الناصر ومحمد حسنين هيكل، حيث امتدت من سنة 1952 إلى سنة 1960 ولم يكن عبد الناصر راضياً فيها عن الملكية الفردية أو العائلية للصحف.[12]

وفي إحدى المرات دعا هيكل إلى بيته وجلس معه لواحدة من أصعب مقابلاتهما.

قال عبد الناصر فيها إنه مهما كانت آراؤه في موضوع الصحافة فهو الآن واصل إلى اقتناع كامل بأنه لا يستطيع أن يترك الأمور كما هي.

واستدرك يقول لهيكل: "لا تتصور أنني أريد أن أتخلص من أحد، لو أردت أن أتخلص من أحد فأنت تعرف أن لدي من الشجاعة ومن السلطة ما يسمح لي بأن أقول له اذهب إلى بيتك، ثم أنك ترى أن الكل يتسابق إلى التأييد أحياناً بأكثر مما أريد لكن القضية أكبر من ذلك".[13]

---

11 ــ المصدر السابق، ص 179.

12 ــ محمد حسنين هيكل، **بين الصحافة والسياسة**، مصدر سابق، ص 75.

13 ــ المصدر السابق، ص 76.

ثم قال: "أنت تعلم أن لدي تحفظاتي ولدي شكوكي حتى في الذين يتسابقون إلى التأييد ومع ذلك فهذه التحفظات والشكوك لا أثر لها فيما اعتزمه الآن كما قلت لك هناك قضية أهم".(14)

ثم استطرد: "إننا مقبلون على تحولات اجتماعية كبيرة، وقد بدأت هذه التحولات بتأميم البنك الأهلي وبنك مصر، إذا كنا نريد إجراء تحولات اجتماعية عميقة في مصر فلا بديل عن سيطرة المجتمع على وسائل المال والإنتاج، ولا أستطيع عقلاً ولا عدلاً أن أفرض سيطرة المجتمع على الاقتصاد ثم أترك لمجموعة من الأفراد أن يسيطروا على الإعلام.

إنهم لا يسيطرون الآن عملياً لأن الثورة قوية وذلك مجرد خوف، وأنا لا أثق في خائف خصوصاً إذا تغيرت الظروف، ثم إن المرحلة الجديدة من التحول الاجتماعي تحتاج إلى تعبئة اجتماعية شاملة، وأعرف أن الموجودين الآن سوف يصفقون لأي قرار، لكن المطلوب شيء آخر غير التصفيق".(15)

وفي مقابلة أخرى مع هيكل، قال عبد الناصر: "إنني معك أن أوضاع الصحافة تحتاج إلى بحث جديد"، ثم أضاف يذكره بأنه أثناء قانون سنة 1960 أتاح له الفرصة، أن يقترح ما يمكن إدخاله عليه من تعديلات لضمان دور الصحافة في المجتمع وحريتها في خدمة أهدافه.

ثم قال له الرئيس، أنه لا يمانع في صيغة تعاونية لملكية الصحف على أن تبدأ بتجربة محدودة في "الأهرام" مثلاً ثم تعمم بالنسبة لباقي الدور الصحفية.

---

14 ــ المصدر السابق، ص 76.

15 ــ المصدر السابق، ص ص 76 ــ 77 .

ثم طلب منه أن يقلب الأمر على كل جوانبه ثم يتقدم إليه باقتراحات محددة وتحول اللقاء إلى ما كان يمكن أن يصبح نقطة تحول في تاريخ الصحافة.[16]

إن نزعة التأميم واضحة، في وجهة نظر عبد الناصر ومرجعيتها أكثر وضوحاً في (الميثاق) ومن حيث المبدأ فإن اختياره في ضرورة أن تكون ملكية الصحف ملكية عامة، كان اختياراً نهائياً، لكنه آثر أن يستمع إلى وجهة نظر المختصين في الميدان الإعلامي، وأقربهم إليه كان محمد حسنين هيكل.

2 – وجهة نظر هيكل

يعتقد هيكل أنه وقف في الفترة ما بين سنة 1956 إلى سنة 1960 وحده تقريباً في محاولة الدفاع عن "الواقع الراهن في الصحافة" حتى لو أدى الأمر إلى ملكية الأفراد والعائلات. فقد بدا له ذلك أهون الضررين وأخف الشرين. وكان للثورة وقائدها وللتنظيم السياسي ورجاله رأي آخر.[17]

وكان يرى غير ما يراه عبد الناصر، ويناقشه مطولاً ومفصلاً، وفي بعض الأحيان كان يستطيع أن يفهمه ولكنه لم يكن يتصور في نفس الوقت أن تتحول الصحف من ملكية الأفراد أو العائلات إلى ملكية الدولة، فقد بدت له تلك كارثة، ولم يكن هناك حل وسط.[18]

---

16 ـــ المصدر السابق، ص 255.

17 ـــ المصدر السابق، ص 76.

18 ـــ المصدر السابق، ص 75.

وفي أحد حواراته مع الرئيس، يذكر هيكل: "ورحت أناقشه وأحاوره، وإن بدا لحظة بعد أخرى أنني على وشك أن أخسر المناقشة والحوار. وكانت القضية بالنسبة له قضية مبدأ، وهو مبدأ يتصل بغيره من المبادئ التي تحكم رؤيته لمدى التحولات الاجتماعية.

ثم قال لي جمال عبد الناصر: "إن ما يدهشني أنك تنظر إلى الموضوع بحساسية شديدة، ثم إنك تنظر إليه من وجهة نظر أشخاص".

وقلت: "إن خشيتي في الواقع على المهنة".

وكان رده: "فكر في أية ضمانات تريدها للمهنة. ولنلتق هنا غداً في الحادية عشر صباحاً، سوف يكون معنا محمد فهمي السيد (المستشار القانوني للرئاسة وقتها)".[19]

وفي اليوم التالي حاول بكل ما يستطيع، وربح بعض النقط وخسر بعضها الآخر.

ربح ــ فيما يظن ــ عندما استطاع أن يستبعد منطق التأميم بحدوده القاطعة ووصلا إلى صيغة أخرى تسمح بمرونة، وهكذا كان (تنظيم الصحافة) وليس (تأميمها).

وحاول أن يجعل الملكية مشتركة بين التنظيم السياسي وبين جمعية العاملين في كل دار صحفية 50% لكل فريق، ولم يقبل جمال عبد الناصر وخرج باقتراح وسط، انتقال الملكية إلى التنظيم السياسي وليس إلى الدولة واحتفاظ كل صحيفة بأرباحها داخلها، ثم توزيع هذه الأرباح مناصفة، نصف للتجديد والإحلال في دور الصحف والنصف لجمعية العاملين في كل دار صحيفة.[20]

---

19 ــ المصدر السابق، ص 77.

20 ــ المصدر السابق، ص 77.

وعندما صدرت المذكرة التفصيلية لنصوص القانون في يوم 24 مايو 1960 اعترض هيكل عليها فقد أحس أن المنطق والمبررات والأسانيد الواردة فيها يمكن أن تحتمل ما يمكن اعتباره نقداً لما كانت عليه الأحوال في المهنة، الأمر الذي استوجب إعادة ترتيب هذه الأحوال بالقانون.[21]

ويشهد أن جمال عبد الناصر كان صبوراً، فقد قال له: "دعك من مذكرة فهمي واكتب أنت واحدة غيرها".

وكتب مذكرة كانت في الواقع إعلاناً بتأكيد حرية الصحافة أكثر منها مذكرة تفسيرية لنصوص القانون.

ويعترف هيكل، عن سبب تخوفه من القانون الجديد قائلاً: "ولا بد أن أقول أن بعض أسباب تخوفي من القانون الجديد كانت ذاتية، ففي ذلك الوقت كان قد مضى علي في رئاسة الأهرام ثلاث سنوات وكان التيار فيها قد تحول. فالأهرام بدأ يربح بدلاً من الخسارة، ثم إن توزيعه بدأ يصعد بدلاً من الهبوط وكنت قد اتفقت مع مجلس إدارته – وأنا أعرض أمام أعضائه تقريري الأول عن خطة العمل التي اقترحها– أنه إذا حقق الأهرام أرباحاً فإنه يكون مسموحاً لي أن أبدأ بتطوير منشآت الأهرام (المبنى والمطابع).

وكنا في الميزانية التقديرية المقترحة لعام 1960 قد رصدنا فعلاً أول اعتماد لمشروع تطوير الأهرام الجديد بعد أن تأكد أصحابه أن التيار تحول".[22]

ويضيف هيكل: "والآن كان تخوفي أن مشروع تطوير الأهرام قد يتوقف بعد أن بدأ خطواته الأولى، فالقانون الجديد يضعنا أمام احتمالات

21 ـــ المصدر السابق، ص ص 77-78.
22 ـــ المصدر السابق، ص 78.

مجهولة لا أعرف هل أستطيع في ظلها أن أواصل، أو أنه سيفرض علي أن أطوي ملفات الخطط والبرامج والرسوم مودعاً حلمي إلى الأبد".[23]

وصباح اليوم الذي أذيعت فيه نصوص القانون دعا كل أسرة تحرير الأهرام إلى اجتماع عام لكي يتشاور معهم في الأوضاع الجديدة.

وشرح لهم في البداية موقفه. قال أنه لم "يكن متحمساً للقانون من ناحية المبدأ وفوجئ بزميلته الراحلة السيدة جاكلين خوري تقاطعه قائلة: هل نستطيع أن نسألك: "لماذا؟ أو ليس الوضع في ظل القانون الجديد أحسن مائة مرة للمهنة وللصحفيين من الملكية الخاصة للصحف.؟"

وبدا له أن تياراً قوياً يؤيدها، ودهش، واستطرد يشرح مجمل الأسباب التي كانت تدعوه ـــ من ناحية المبدأ ـــ للتخوف، وكان أولها قلقه من احتمالات تدخل التنظيم السياسي ـــ الذي انتقلت الملكية إليه ـــ في سياسات الصحف وتوجيه تحريرها بدعوى القانون.

ثم كان هناك أيضاً خوفه من احتمال تأثير الظرف الجديد على مشروعه لتطوير الأهرام، وقد قال للجميع، إنهم أمام معركة جديدة ويجب أن يقاتلوا فيها.[24]

ووصل حديثه إلى جمال عبد الناصر، فاتصل به هاتفياً، معاتباً وقال له إن تقريرا وصل إليه عما قاله في اجتماع الأهرام ومع تقديره لكل الظروف فهو يرى أنه يضعف موقفه بهذه المسافة التي أراد أن يضعها بينه وبين القانون الجديد، وأنه سمع تحفظاته من ناحية المبدأ وحاول بكل جهده أن يريحه في التفاصيل، وبذلك فإنه لم يعد هناك داع لأن يعود فيتخذ موقفاً سلبياً من القانون، خصوصاً وأن هناك من قد ينتهز هذه الفرصة.

---

23 ـــ المصدر السابق، ص 78.

24 ـــ المصدر السابق، ص 79.

ثم قال له الرئيس "إنهم حاولوا أن يصوروا لي قولك: "بأننا يجب أن نقاتل"، على أساس أنها معركة ضد القانون ولقد قلت لهم، إن هذا التعبير يجري على لسانك كثيراً في صدد مواجهة أي عقبة وأن ذلك لا يعني أنكم في معركة ضد القانون وإنما أنكم في معركة لإثبات أنفسكم في الأهرام في ظل هذا القانون". ورد عليه هيكل أن ما فهمه عنه صحيح وذلك كما قصده.[25]

ونقل البعض رأي هيكل إلى وكالات الأنباء وإلى الصحف في الخارج.[26]

واهتم هيكل بتجربة الملكية التعاونية لجريدة "لوموند" الفرنسية وحاول دراسة تفاصيلها ولأجل ذلك دعا "بيف ميري" رئيس مجلس إدارة "لوموند" ورئيس تحريرها ليكون ضيفاً عليه في القاهرة.[27]

وحاول أن يبلغ فكرته هذه لعبد الناصر فقال له: "إن فكرة الملكية التعاونية تتحدد في ذهني أكثر فأكثر كل يوم كبديل للملكية الفردية للصحف أو للملكية العامة لها أو حتى للوضع المعلق في الهواء الذي انتهى إليه قانون تنظيم الصحافة".[28]

وتفرغ في شهر سبتمبر 1965 لدراسات مطولة، ومناقشات واجتماعات، حول ما عرضه من أفكار على جمال عبد الناصر بشأن الملكية التعاونية للصحف بدءا بالأهرام ثم تعمم على بقية الدور إذا نجحت التجربة.

---

25 ــ المصدر السابق، ص 79 ــ 80.

26 ــ من مقابلة أجراها صلاح منتصر مع هيكل، مجلة **"أكتوبر"** المصرية عدد 608، السنة الثانية عشر، 19 يونيه 1988.

27 ــ محمد حسنين هيكل، **بين الصحافة والسياسة**، مصدر سابق، ص 254.

28 ــ المصدر السابق، ص ص 254.

وانتهيا إلى صيغة إنشاء (هيئة الصحافة العربية المتحدة) وقد تولى الدكتور جمال العطيفي وضعها في القالب القانوني وقدمها للرئيس جمال عبد الناصر ليبدي فيها رأيه، فإذا أقرها قام بتوقيعها بوصفه رئيساً للاتحاد الاشتراكي العربي الذي آلت إليه ملكية الصحف بنص قانون التنظيم.[29]

ومساء يوم 15 أكتوبر، رن الهاتف في بيت هيكل، وكان جمال عبد الناصر على الخط يقول له، إنه قرأ مشروع إنشاء "هيئة الصحافة العربية المتحدة"، وقد أعجبه وهو يرى الآن ــ لأسباب عديدة ــ أن تنظم دار "أخبار اليوم" تحت أحكامه كالأهرام وأن يكون هو رئيساً لمجلس إدارة الهيئة الجديدة. وقال له أيضاً:

"سوف أترك "الجمهورية" للتنظيم السياسي في الاتحاد الاشتراكي وأعهد بالإشراف عليها إلى علي صبري، ولتكن هي جريدة التنظيم أما الصحافة المحترفة ــ وبالدرجة الأولى دار الأهرام ودار أخبار اليوم ــ فلتدخل جميعاً في إطار ما اقترحته وما وافقت عليه".

وحاول هيكل أن يناقش قراره، ولم تكن هناك جدوى، فقد قطع في الأمر برأي نهائي حين قال "سوف أخطر الآن خالد محي الدين وغداً ترتب أن تلتقي معه لكي تتسلم (أخبار اليوم) وتنظيم أوضاعها استعداداً لإنشاء الهيئة الجديدة.

ولم يكن هيكل مستريحاً.[30] معللاً ذلك بقوله: "إن إشرافي على صحف دار "أخبار اليوم" إلى جانب صحف دار الأهرام، تركيز للقوة الصحفية في يد واحدة بأكثر مما هو ضروري وصحي... فقد رأيت أن

29 ــ المصدر السابق، ص ص 259- 260.
30 ــ المصدر السابق، ص 260.

يكون لأخبار اليوم وضع مستقل حتى عن الشخص المفوض بسلطات مجلس إدارتها.(31)

ويضيف: "وفي كل الأحوال (فلقد) رجوت الرئيس جمال عبد الناصر أن يعتبر قيامي باختصاصات رئيس مجلس إدارة "أخبار اليوم" – في إطار هيئة الصحافة العربية المتحدة– إجراءاً مؤقتاً إلى حين يتسنى لي اختيار بديل".(32)

ونشر قرار تخويله سلطة مجلس إدارة أخبار اليوم إلى حين إتمام إجراءات مناقشة وصدور قانون إنشاء هيئة الصحافة العربية المتحدة يوم 17 أكتوبر 1965.(33) ويوضح هيكل هذه المسألة أكثر في مكان آخر حينما يقول: "لقد حدث بالفعل في ذلك الوقت خلاف على الصحافة... السيد علي صبري كان في تفكيره إنشاء المجلس الأعلى للصحافة، ولكننا في الأهرام كنا نقاوم هذه الفكرة ووضعنا بدلا منها فكرة الصحافة العربية المتحدة التي تتضمن الصيغة التعاونية للملكية مع الإدارة... لأننا في هذه التجربة كنا نريد أن نحقق فصل الإدارة عن الملكية وقلنا في ذلك الوقت أنه إذا كان الاتحاد الاشتراكي هو المالك فعلا فإننا بهذا المالك، نستأجر منه رخصته التي يملكها ونعطيه قيمة هذا الإيجار، وما تبقى لا تكون له علاقة به".(34)

في مجال (الإذاعة والتلفزيون) حاول هيكل أيضا أن يبعد هذا الجهاز عن السلطة المباشرة للحكومة، ويشرح ذلك: "بعد أن قبلت وزارة الإعلام اتصلت بمصطفى خليل وعرضت عليه أن يكون رئيساً لاتحاد الإذاعة والتلفزيون"، وعلى أساس ألا يكون خاضعاً لسلطة وزير الإعلام الذي

31 ـــ المصدر السابق، ص 261.

32 ـــ المصدر السابق، ص 262.

33 ـــ المصدر السابق، ص 262.

34 ـــ هيكل في حوار مع صلاح منتصر، مجلة "أكتوبر" المصرية، عدد 608، مرجع سابق.

يكون عضواً تحت رئاسته في المجلس... وبدأنا معا نضع تنظيماً (للإذاعة والتلفزيون) قريباً من نظام (B.B.C.) في صورتها المستقلة على الدولة وعلى أساس أن يكون متوازياً في الوقت نفسه مع فكرة (الصحافة العربية المتحدة).

وعاد الدكتور مصطفى خليل من لندن وبدأ مناقشات موسعة لصياغة القانون وتولى كتابة مشروعه في النهاية الدكتور جمال العطيفي ... وعندما تم وضع مشروع القانون وأحيل إلى مجلس الدولة اعترض عليه مجلس الدولة، وقال أن الوزير في نطاق اختصاصه لا يمكن له التنازل عن اختصاصه لشخص آخر ولابد للوزير أن يرأس "اتحاد الإذاعة والتلفزيون"، من أجل المساءلة الدستورية، ورغم هذا رفضت واقترحت ـ إن استدعى الأمر ـ تعديل القوانين، وصدر قانون "اتحاد الإذاعة والتلفزيون"، كما أردته فعلاً ووقعه جمال عبد الناصر كما وضعناه، وكنت اعتبره جزءاً من تنظيم شامل لوسائل الإعلام لأنني عندما كنت أتحدث عن الصحف في ذلك الوقت كنت أتصور أن يكون لكل صحيفة مجلس أمناء يمثل المجتمع... وهذا النظام على سبيل المثال قامت به جريدة "التايمز" التي كانت مملوكة ملكية فردية لعائلة "آستور"، وأحس ملاكها أن هناك حملة في إنجلترا ضد الملكية الفردية ففكروا في شيء جديد وأعلنوا أنهم وأن كانت ملكيتهم للصحيفة فإنهم سيقيمون حاجزاً Barrier بينهم وبين رئيس التحرير...".[35]

لكن بعد خروجه من الوزارة تم إلغاء المشروع وعاد الجهاز إلى تبعية وزير الإعلام.[36]

---

35 ـ المرجع السابق

36 ـ المرجع السابق.

وفي سنة 1976 ألغي أنور السادات قانون الصحافة العربية المتحدة، وخرجت الصحف في ذلك الوقت تقول بإسقاط قبضة هيكل عن الجرائد، رغم أنه في وقت الإلغاء كان له أكثر من سنتين بعيداً عن الصحف والصحافة.[37]

حاول هيكل، طيلة فترة التأميمات الكبرى التي شهدتها بلاده أن يخفف من حدة وقعها على الصحافة، رافضاً فكرة تأميم الصحف، باحثاً عن حل أكثر مرونة، لا يعطي ملكيتها للأفراد، وفي نفس الوقت يحميها من (شبح الحكومة والدولة، ووجد تفهماً نسبياً من الرئيس جمال عبد الناصر، الذي أتاح له فرصة تكوين (هيئة الصحافة العربية المتحدة) و(اتحاد الإذاعة والتلفزيون) لكن بمجرد رحيل عبد الناصر، وبعد خلافه مع السادات، تم إلغاء المشروعين.

كما كان هيكل متأثراً بصيغة (الملكية التعاونية) التي تنتجها صحفية "لوموند" الفرنسية، وتجربة إذاعة (B.B.C.) في استقلالية الإذاعة عن الحكومة، وحاول أن ينقل بعضاً من ملامحه إلى بلده.

---

37 ـــ المرجع السابق.

الفصل الرابع

هيكل المعلوماتي

إن دور المعلومات في حياة هيكل الصحفي لم تكن مسألة فنية يتعامل معها كأنها تكرار يومي في عمله. إن المعلومات هي التي جعلت هيكل ينتقل من صحفي عادي إلى رجل مؤثر في الأحداث، وفي القرارات التي صدرت في عهد الرئيس جمال عبد الناصر، ثم بداية عهد الرئيس أنور السادات.

لقد احتلت في حياته موقع القلب وكان يدرك أنها سلاحه الحقيقي في حياته الصحفية والسياسية.

إن المعلومات التي تدفقت يوماً إلى جمال عبد الناصر من هيكل، عادت إليه من الرئيس نفسه، وفتحت أمامه الدولة أدق المعلومات وأخطرها... وأصبحت فيما بعد سلاحه الصحفي الذي يدافع به عن نفسه وعن تجربة كاملة... لقد أدرك مبكراً أهمية خطورتها في صنع الحياة السياسية.

1 ـ في أهمية المعلومات

إن العصر الذي نعيشه هو عصر المعلومات بحيث أن بعضهم وصف المعلومات بأنها الحاجة الخامسة للإنسان، فالإنسان يحتاج إلى الماء والهواء والطعام والمأوى، ويحتاج إلى عنصر خامس هو المعلومات.[1]

ولأهميتها تناولها أكثر من باحث بالتعريف، فـ"آلن كنت" يرى "أن المعلومات هي أية معارف مسجلة يمكن أن يفيد منها أي مسئول عن اتخاذ القرارت".[2]

أما "ولفرد لانكستر" فيعتقد أن المعلومات في الواقع شيء غير محدد المعالم فلا يمكن رؤيتها أو سماعها أو الإحساس بها.

"ونحن نحاط علماً في موضوع ما إذا ما تغيرت حالتنا المعرفية بشكل ما... وعلى ذلك فإن المعلومات هي ذلك الشيء الذي يغير الحالة المعرفية للشخص في موضوع ما".[3]

في حين يقول بروكس: "إنني أنظر إلى المعلومات على أنها ذلك الذي يعدل أو يغير من البناء المعرفي بأي طريقة من الطرق، وكل المعلومات التي تعدل أو تغير من البناء المعرفي هي نتيجة عملية المعلومات".[4]

---

1 ـ Jhon Rader Platt, *The Fifth Need of man* نقلاً عن أبي بكر محمد الهوش، مرجع سابق.

2 ـ آلن كنت، **الحاسبات الإلكترونية واختزان المعلومات واسترجاعها**، ترجمة حشمت قاسم، شوقي سالم، مراجعة احمد بدر، الكويت، وكالة المطبوعات، ط2، 1979، ص 35. نقلا عن أبي بكر محمد الهوش، المرجع سابق.

3 ـ ولفرد لانكسر، **نظم استرجاع المعلومات**، ترجمة حشمت قاسم، القاهرة، مكتبة غريب، 1981، ص ص 35-36، نقلا عن د. أبو بكر محمد الهوش، مرجع سابق.

ويشير الدكتور أحمد بدر إلى أن ارتباط المعلومات والمكتبات بقضايا المجتمع المعاصر هو ارتباط شديد التعقيد، وذلك لأن المعلومات قد أصبحت أحد المقومات الأساسية للإنتاج الوطني، بل أصبح الاقتصاد الوطني مرتبطاً ارتباطاً طردياً بكمية المعلومات الحديثة التي تستطيع الدولة أن تمتصها في جسدها التعليمي أو الصناعي أو الزراعي أو الإداري".(5)

إذن، للمعلومات دورها الذي لا يمكن إنكاره في كل نواحي النشاط. فهي أساسية للبحث العلمي. وهي التي تشكل الخلفية الملائمة لاتخاذ القرارات الجيدة. وهي عنصر لا غنى عنه في الحياة اليومية لأي فرد... من يملك المعلومات يستطيع أن يكون الأقوى.(6)

أما على المستوى العالمي فقد قدرت قيمة إنتاج صناعة المعلومات لسنة 1982 بأكثر من 75 بليون دولار أي أنها تتزايد بمعدل 12% وبهذا المعدل ستكون صناعة المعلومات مصدر نمو الاقتصاد العالمي خلال الخمس والعشرين سنة القادمة.(7)

ويلخص محمد حسنين هيكل أهمية المعلومات وخطورتها في قوله "وربما قلت أن العصر كله هو عصر الذاكرة الواعية، عصر المعلومات

---

4 ــ محمد فتحي عبد الهادي، "مفهوم المعلومات ودورها"، **مجلة عالم المعلومات**، السنة السادسة، العدد 1، ربيع 1983، ص 76، ونقل الاقتباس عن أبي بكر محمد الهوش، مرجع سابق.

5 ــ أحمد بدر، **المدخل إلى علم المعلومات والمكتبات**، دار المريخ، الرياض، 1985، ص 150، نقلا عن أبي بكر محمد الهوش، من مقال "نحو مجتمع المعلومات في الوطن"، **مجلة الوحدة**، عدد 76، السنة السابعة، إصدار "المجلس القومي للثقافة العربية". يناير 1991.

6 ــ د.أبو بكر محمد الهوش، " المعلومات مفهومها ومصادرها"، مرجع سابق.

7 ــ د. أبو بكر محمد الهوش، "نحو مجتمع المعلومات في الوطن العربي"، مرجع سابق.

وحفظها وترتيبها واستدعائها لتكون حية في المستقبل، وفاعلة فيه بالإدراك الإداري".[8]

وانطلاقاً من هذا الفهم، سعى هيكل منذ قيام ثورة 23 يوليو 1952 إلى لعب دور مغذي الثورة ــ تحديداً قائدها جمال عبد الناصر ــ بما تستحقه من معلومات، خاصة وأن رجالها من الضباط الصغار الذين ليست لهم دراية كبيرة بكيفية تسيير أجهزة الدولة من جهة، ولا يثقون في الأجهزة القديمة التي ثاروا ضدها من جهة أخرى.

تفطن هيكل إلى هذه النقطة وإلى هذا الفراغ بسرعة، وعمل على سده بربط علاقة خاصة بجمال عبد الناصر، ويعرض تجاربه وخبراته كصحفي لامع جال مناطق ساخنة كثيرة في الشرق الأوسط، وربط علاقات وطيدة مع قادتها وسادتها وألمع نجوم صحافتها... وأيضاً كصحفي يعرف خفايا الأمور في المجتمع المصري الذي اتصل بطبقاته السياسية المختلفة.

"فراهن هيكل منذ البداية على عبد الناصر كقائد ثورة، لقد دفعه ذكاؤه إلى التركيز على عبد الناصر دون غيره من الضباط الأحرار، فكان عبد الناصر يحبه ويأخذ منه المعلومات ويعطيها له أيضاً".[9]

فبقدر ما أعطى هيكل من معلومات لعبد الناصر، بقدر ما استفاد بحكم قربه من مركز القرار، وبقدر ما استخدمها كسلاح قوي لحماية نفسه والدفاع عن عبد الناصر وتجربته.

---

8 ــ محمد حسنين هيكل، **سنوات الغليان**، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة 1988، ص 24.

9 ــ مجدي حسنين، أمين صندوق الضباط الأحرار ومدير مكتب محمد نجيب، ثم مدير مكتب عبد الناصر، من مقابلة عن هيكل أجراها معه الباحث في القاهرة، أغسطس 1991.

2 – من هيكل إلى عبد الناصر

إن سلاح المعلومات كان يستخدم عند هيكل في العطاء بدون حساب للرئيس جمال عبد الناصر، فمن أهم أسباب المكانة الخاصة التي اكتسبها هيكل لدى عبد الناصر منذ أول سنوات الثورة أنه كان يزود زعيم الثورة بقدر هائل من المعلومات التي تتجمع لديه من قراءاته الواسعة والتي كان عبد الناصر ـ وهو لا يزال ضابطاً حديث العهد بالحكم ـ في أشد الحاجة إليها.(10)

لقد وجد عبد الناصر نفسه في سن الرابعة والثلاثين، وبغير إعداد وتجهيزات لمسؤوليات مرحلة ما بعد القيام بالثورة، حاكماً لأكبر وأغنى وأهم دولة في كل المنطقة العربية، والصراعات حوله متشابكة متصلة بقوى كبرى لها لغاتها ومصالحها وعلاقاتها ومفاهيمها المختلفة.

وفي مثل هذه الظروف كانت الثورة في حاجة في البداية إلى عقلية مخطط مؤامرات ومناورات، ولكن فيما بعد الاستمرار أصبح الاستمرار يحتاج إلى ثقافة ومعلومات ودراسة وأبحاث ومعرفة. وهذا ما سبق محمد حسنين هيكل الجميع إلى اكتشافه.(11)

لقد ذهب إلى عبد الناصر كثيرون، سياسيون، وكتاب، وصحفيون، ولكنهم في علاقاتهم معه كانوا جميعاً طامعين في الأخذ، وبالتالي تحددت علاقاته معهم بحسب رضائه عن العطاء أو المنع.(12)

10ـ أنظر صلاح منتصر، "الأستاذ هيكل شاهد أم شريك؟"، الأهرام، عدد1 مايو1983.

11 ـ صلاح منتصر، "مقدمة حوار طويل مع هيكل"، أنظر مجلة "أكتوبر" المصرية، العدد 606، السنة الثانية عشر، 5 يونيه 1988.

12 ـ المرجع السابق .

بل يذهب سامي شرف، مدير مكتب عبد الناصر للمعلومات، ووزير شؤون الرئاسة بعيدا[13] حينما يقول: "إن الرئيس عبد الناصر كان متضايقاً في أعماقه من أن هيكل هو الوحيد القادر على التعبير عن النظام، وكثيراً ما حاول طوال ثمانية عشر عاماً أن يعطي الفرصة للآخرين، لكنهم لم يستطيعوا أن يثبتوا وجودهم.

لقد حاول الرئيس أن يعطي فرصه لأكثر من عشرة صحفيين مثل احمد بهاء الدين، كمال الحناوي، جلال الحمامصي، حلمي سلام، لكنهم عجزوا جميعا فكان هيكل بمفرده محترفاً ممتازاً، ذكياً، لماحاً، له قدرة فائقة على التعبير".

فهيكل وحده الذي ذهب إلى عبد الناصر... لا ليأخذ منه ولكن ليعطيه ويضيف إلى فكره ومعلوماته.

لقد كان عمل عبد الناصر هو الحكم، أما عمل هيكل فقد كان القراءة والاطلاع والاتصالات والثقافة والمعرفة... وببساطة استطاع هيكل أن يجعل نفسه كتاباً مفتوحاً لعبد الناصر... دائرة معارف واسعة يسهل على حاكم مشغول بالحكم وصراعاته، سرعة الاستفادة من معلوماتها.

وكان من حسن حظ هيكل أن جمال عبد الناصر كان هو الحاكم الذي يريد أن يقرأ بنهم، ويعرف بشغف، ويسمع بحب..."[14]

لكن، بالتأكيد لم يكن عبد الناصر يعتمد على هيكل فقط فيما يتعلق بالمعلومات، فلم يكن هيكل سوى جزءاً من آلية معقدة كانت تغذي عبد الناصر بالمعلومات، وبخاصة بعدما اشتد عود الثورة وترسخ حكمها.

---

13 ـــ سامي شرف من حوار طويل جدا، أجراه معه الباحث حول هيكل في القاهرة، أغسطس1991. لم ينشر الحوار بعد، وقد تضمن معلومات جديدة حول موضوع البحث. الحوار ينشر في ملحق الكتاب.

14 ـــ صلاح منتصر، "مقدمة حوار طويل مع هيكل"، مرجع سابق.

فسامي شرف يقول: "إن هيكل كان أحد مصادر المعلومات باعتبار عمله الصحفي، ووجوده في وضع قيادي في مجال تخصصه، لكن بالنسبة لتدفق المعلومات للرئيس جمال عبد الناصر، فكان يتميز بالتنوع وعدم الأحادية حتى لا يصبح أسير جهة واحدة أو جهتين، وبالتالي طبيعة تكوين الرئيس كقائد خطط ونفذ ثورة 23 يوليو 1952 تجعله لا يكتفي بمصدر واحد.

إن مصادر المعلومات عند عبد الناصر، تنقسم إلى قسمين. القسم الأول، تشكله المصادر العلنية وتشمل الصحافة، الإذاعات العالمية بمختلف اتجاهاتها، الدوريات، النشرات، الدراسات والكتب. فكل ما هو منشور ومسموع ومرئي كان يسعى للاطلاع عليه.

وتشمل المصادر العلنية أيضا رسائل المواطنين. وكانت كثيرة جداً حتى أنها تتجاوز في بعض الأحيان وفي اليوم الواحد عشرة آلاف رسالة... فمجموعة هذه الرسائل كانت تعطي لجمال عبد الناصر صورة حية نابضة عن مشاعر الجماهير وما تريده.

أما القسم الثاني من المعلومات فهو المعلومات المغطاة. وهذه المعطيات السرية تصله من أجهزة مختلفة ومن لقاءات واتصالات شخصية. على سبيل المثال، بعض رؤساء الدول يبعثون له بموفدين يتحدثون في مواضيع ذات طابع سري كنوع من أنواع جس النبض، أو محاولة معرفة وجهة نظر جمال عبد الناصر. وكان الرئيس يتحصل من هذه اللقاءات على كم من المعلومات تساعده في اتخاذ القرار المناسب.

إضافة إلى كل ذلك، هناك تقارير الوزارات والمؤسسات الرسمية وهي جهات خبيرة.

استنتاجاً، لا يمكن القول بأن جمال عبد الناصر يعتمد على مصدر واحد فقط، ومحمد حسنين هيكل كان أحد هذه المصادر".[15]

أما ضياء الدين داود وزير الشؤون الاجتماعية، وعضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي في عهد عبد الناصر[16]، فهو يقول: "طبعاً كانت له علاقة جيدة بعبد الناصر بحكم أن هيكل قارئ جيد ومتابع ممتاز للسياسة الدولية، وله اتصالات بقيادات إعلامية في العالم، وهذه قنوات كان يستمد منها جمال عبد الناصر معلومات، ويزكي بها أيضاً معلومات وأفكار".

ولو رصدنا عملية بدء ضخ المعلومات من هيكل إلى عبد الناصر لوجدناها بدأت قبل الثورة تحديداً يوم 18 يوليو 1952، عندما كان هيكل في زيارة للواء محمد نجيب في بيته، وفجأة دخل جمال عبد الناصر ومعه عبد الحكيم عامر فاجتمعا به وحدهما ثم خرجا وبقى بعدهما بضع دقائق. وعند خروجه وجد الاثنين مرة أخرى، ودار بينهم نقاش ساخن حول ما يجري في البلاد ودور الجيش فيه، وتحمس أثناء المناقشة وقال لجمال عبد الناصر ما معناه "إن الجيش عاجز عن رد كرامته إزاء عدوان الملك عليه"، ورد جمال عبد الناصر بالتساؤل عما يمكن أن يفعله الجيش أو ليست أي حركة من جانبه يمكن أن تؤدي إلى تدخل بريطاني يعيد الملك فاروق تمثيل دور الخديوي توفيق ويعود فيه الجيش إلى مأساة عرابي؟". وتطوع هيكل وقال أن الإنجليز لن يتدخلوا، وراح يشرح وجهة نظره.[17]

وبدأ جمال عبد الناصر يسأله بإلحاح في تفاصيل ما قال وشعر أن اهتمامه به أكبر مما يحتمله حديث عابر بين صحفي وبين ضابط في الجيش.

---

15 ــ سامي شرف، مقابلة خاصة، مرجع سابق.

16 ــ وهو اليوم، أمين الحزب العربي الديمقراطي الناصري بمصر، من مقابلة خاصة أجراها معه الباحث حول هيكل في القاهرة، أغسطس 1991.

17 ــ محمد حسنين هيكل، **بين الصحافة والسياسة**، مصدر سابق، ص 49.

وسأله هل يستطيعان أن يواصلا الحديث لأن الموضوع يهمه، واقترح عليه هيكل أن يذهبا إلى مكتبه في "أخبار اليوم" وكان تعليق عبد الناصر "لا... ليس في "أخبار اليوم" لماذا لا نذهب إلى بيتك؟"، وذهبا إلى بيت هيكل... وتحدثا طويلاً... واتفقا على اللقاء مرة أخرى.(18)

واستمرت العلاقة بين الرجلين قوية، تدعمهما دقة معلومات هيكل وتنوعها وغزارتها والأهم من ذلك ثقة عبد الناصر في الصحفي الشاب، حيث حاول صحافيون آخرون ولم ينجحوا، وكان مصطفى أمين واحداً منهم، عندما كتب تقارير إلى عبد الناصر الذي احتقرها ورفضها...

وهذه مجموعة من نماذج المعلومات التي قدمها هيكل إلى الرئيس عبد الناصر في أزمة السويس.

قبل عدوان السويس سنة 1956، كان عبد الناصر ينتظر وصول سلوين لويد (وزير خارجية بريطانيا)، وقبل وصوله بخمس دقائق أعلم هيكل عبد الناصر هاتفياً بنبأ سقوط "جلوب باشا" قائد الجيش الأردني (من أصل بريطاني). تم ذلك، وسيارة سلوين لويد تدخل فناء بيت عبد الناصر في الساعة التاسعة صباحاً، وكان "توم ليتل" مدير وكالة الأنباء العربية في ذلك الوقت هو مصدر هيكل.(19)

وعندما اشتدت الأزمة كان جمال عبد الناصر في الإسكندرية وكان هيكل في القاهرة وطلب إليه أن يكون على اتصال مباشر به طول الوقت ليخطره أولاً بأول بأخبار لندن، وكان يعتقد أن وكالات الأنباء العالمية سوف تسبق بها كل المصادر الأخرى بما فيها سفارات مصر بالطبع.(20)

---

18 ـــ المصدر السابق، ص ص 50 – 51.

19 ـــ محمد حسنين هيكل، **قصة السويس آخر المعارك في عصر العمالقة**، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الثانية، بيروت 1982، ص 59.

20 ـــ المصدر السابق، ص 144.

وحينما جاءت الحرب يوم الاثنين 29 أكتوبر 1956، كان جمال عبد الناصر ساعتها يشترك في احتفال بعيد ميلاد ابنه عبد الحميد، وسلم إليه هيكل برقية وكالة "يونايتد برس" تنقل البيان الرسمي الإسرائيلي وقرأ عبد الناصر البرقية ثم ناولها إلى عبد الحكيم عامر.[21]

وقبل دخول مصر اليمن، قال هيكل لعبد الناصر "لدي دراسة قام بها باحث مصري عن الأحوال في اليمن وعن تاريخه المعاصر، وأريدك أن تقرأها وسوف أرسلها لك".[22]

وحتى تتعمق المعلومات من هيكل إلى عبد الناصر أكثر وتأخذ صبغة الدراسات العلمية، بادر هيكل بتأسيس (مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية) وكان المركز يتبادل الدراسات مع غيره من مراكز الدراسات الإستراتيجية في العالم ويقصر اجتهاداته على ما هو متاح من المصادر العلنية المنشورة للمعلومات، وهو فيض لا ينقطع ويعتقد هيكل أن ما كان لديهم من المعلومات أكثر بكثير مما لدى أجهزة الدولة، وذلك بالطبع في المجالات التي يهتم بها، وكانت مهمة المركز أيضاً أن يشترك في الحوار العالمي الدائر حول القضايا الإستراتيجية.[23]

كما استفاد الرئيس أنور السادات من الكم الهائل من المعلومات الذي يمتلكه هيكل، وتواصلت هذه الاستفادة من 28 سبتمبر 1970 حتى أواخر 1974، حينما حدثت القطيعة بينهما، كما قام (مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية) في "الأهرام" بدور هام في حرب أكتوبر 1973، "فحين بدأت الأمور تشير في اتجاهاتها إلى قرب جولة جديدة من جولات

---

21 ــ المصدر السابق، ص227.

22 ــ محمد حسنين هيكل، **لمصر لا لعبد الناصر**، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى في مصر، القاهرة، 1987، ص 55.

23 ــ محمد حسنين هيكل، **وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي العام الاشتراكي**، مصدر سابق، ص ص 154 – 155.

الصراع مع (إسرائيل) دعا هيكل الدكتور مصطفى خليل لكي يرأس مجموعة خاصة في المركز، وليقوم ببحث قضية استخدام البترول كسلاح للمعركة، واستطاع بوسائل الأهرام، أن يوفر لمجموعة العمل التي رأسها الدكتور مصطفى خليل كماً ضخماً من المعلومات والبيانات والأرقام الصحيحة لم يكن لها أي مثيل لدى أي جهاز من أجهزة الدولة، بل لم يكن لها مثيل لدى كل الدول العربية".[24]

3 – من عبد الناصر إلى هيكل

لقد توافرت لهيكل خلال فترة اقترابه من عبد الناصر فرصة فريدة للاطلاع على كل المعلومات حتى السرية منها بأمر من عبد الناصر الذي كان يريد له أن يكون ملماً بكل الأخبار والمعلومات حتى يكون الحوار بينهما مثمراً.[25]

ويكتب صلاح منتصر، أحد تلامذة هيكل بـ"الأهرام" "إن هيكل بدأ بالعطاء، وفيما بعد سددت له هذه الديون أضعافاً مضاعفة عن طريق فتح خزائن الأسرار كلها له. وهكذا كان (سلاح الأرشيف) ذا حدين يعطي أولا، ثم يأخذ بعد ذلك بلا حدود".[26]

ولكن السؤال يطرح نفسه بحدة: بعد أن يطلع القارئ على كتب هيكل وبخاصة الأخيرة منها والموثقة بوثائق الدولة والخاصة جداً، هل يعقل أن

---

24 ـــ المصدر السابق، ص ص 314 –315.

25 ـــ احمد حمروش، "زيارة جديدة لهيكل"، مقال طويل على حلقات الحلقة الرابعة، بمجلة "**روز اليوسف**" المصرية، عدد15-12-1986.

26 ـــ انظر صلاح منتصر، "الأستاذ هيكل شاهد أم شريك؟"، "**الأهرام**"، عدد1-5-1983.

تعطي الدولة لأحد صحفييها مهما بلغ حجمه ومهما بلغت مكانته كل هذه الوثائق؟

مدير مكتب عبد الناصر للمعلومات سامي شرف[27]، يجيب قائلا: "عندما كنت في مركز السلطة، مسئولاً عن مدير مكتب الرئيس ووزير سكرتارية شؤون الرئاسة لم يتجاوز حجم الوثائق التي تعطى للأستاذ هيكل المسائل العلنية المباحة. أما الوثائق السرية فلم تخرج من المكتب أبداً. لذلك أنا – وقد أكون مخطئاً – سمعت من بعض الأشخاص أن أنور السادات سمح بعد انقلاب مايو 1971 لهيكل أن يدخل مكتبي ويأخذ منه كما يشاء من أوراق.

والذي يؤكد لي هذه المعلومة أن هناك وثائق نشرت في كتب الأستاذ هيكل لم تعط له قطعاً ويقيناً، وخصوصاً تلك الأوراق التي كتبتها بخط يدي، وكانت موجودة في مكتبي الشخصي، بالتحديد في درج مكتبي الخاص، وحصل عليها وأنا لم أعطه شيئاً. لذلك اعتبر الرواية التي قيلت أقرب إلى الصحة".

وإذا كانت هذه الرواية صحيحة ــ وقد تكون كذلك ــ فهي تعني حرص الصحفي الذكي على الوثائق والمعلومات الهامة بأي طريقة لاستخدامها في وقت الحاجة. والظاهر أن هيكل هنا لعب دور الصحفي فيه بقوة جعلته يستغل فرصة نادرة للحصول على وثائق نادرة.

---

27 ــ سامي شرف، مقابلة خاصة ومصدر سابق. هذه النقطة حساسة جدا. ولا نستطيع نفيها ولا تثبيتها. فقط يجب ملاحظة أن الأستاذ سامي شرف كان الأقرب إلى جمال عبد الناصر. واختلف مع هيكل اختلافا حادا منذ "أحداث مايو 1971"، عندما انحاز هيكل إلى السادات ودخل سامي شرف السجن ليقضي عشر سنوات. ويلاحظ الباحث من خلال الحديث الطويل الذي أجراه مع سامي شرف أن الرجل يتميز بالصدق والموضوعية ومرة أخرى لا يمكن الإثبات أو النفي.

ولكن المتأكد منه أن عبد الناصر لم يكن يبخل على هيكل بالأخبار المتميزة، بل وكثيراً ما يعلمه بأخطر القرارات في حياته قبل أن تذاع على الناس، أو حتى قبل أن يعرفها وزراؤه أنفسهم. وهذه بعض النماذج التي تؤكد عملية ضخ المعلومات من عبد الناصر إلى هيكل.

النموذج الأول، حوار دار بين عبد الناصر وهيكل عبر الهاتف حول نشوء فكرة تأميم قناة السويس: "يقول هيكل لعبد الناصر:

ـ إنني فكرت طويلاً فيما نستطيع أن نفعله إزاء القرار الأمريكي (سحب مشروع تمويل السد العالي).

وقال عبد الناصر:

ـ وهل توصلت إلى شيء؟

فقال هيكل:

ـ هل تذكر ما كنت تقوله عن انتظار فرصة ملائمة نتقدم فيها بطلبنا للمشاركة والحصول على نصف دخل...

ولم يكمل هيكل كلامه، فقد قاطعه عبد الناصر بما يعتبر طلبه إلى عدم الاستمرار في شرح ما يريد بالتلفون...

وسكت وجاءه صوته على التلفون يقول:

إنك اقتربت كثيراً مما أفكر فيه، ولكن السؤال الذي أطرحه عليك لتفكر فيه حتى أراك في المساء هو: لماذا النصف... لماذا لا نأخذ الكل؟

ثم سمعه يقول له:

ـ لا تتحدث مع مخلوق حتى أراك هذا المساء.[28]

أما النموذج الثاني، فهو أيضا حوار هاتفي يقول فيه عبد الناصر لهيكل:

---

28 ـ محمد حسنين هيكل، **قصة السويس، آخر المعارك في عصر العمالقة**، مصدر سابق، ص 118.

ـ "هل عرفت بما حدث لسلوين لويد في البحرين؟ الرجل سيء الحظ بغير شك، قابلته في البحرين مظاهرات صاخبة ضد السياسة البريطانية وقذفته المظاهرات بالحجارة واضطر إلى الهرب ليحتمي في بيت من البيوت حتى أنقذته قوات الأمن".[29]

النموذج الثالث والأخير حول مرض عبد الناصر، حيث يذكر هيكل أنه في إحدى جلساته مع الرئيس، أفضى له الرئيس بحقيقة حالته الصحية. وأبلغه أنه يريد الاعتزال لأن أوضاع البلاد تحتاج إلى جهود خارقة وهو نفسه يعاني من حالة صحية بالغة الحرج. ولذلك فإنه يرى أن التخلص من قيود العمل الرسمي قد يكون مسألة ملحة وإن كان يشعر أن التخلي في هذا الوقت عن المسؤولية ستكون له مضاعفاته البالغة...[30]

هذه النماذج الثلاثة لعمليات تدفق المعلومات من عبد الناصر إلى هيكل تبين أنها من النوع الخاص جداً الذي لا يمكن إعطاءه لصحفي مهما بلغ حجمه، وإنما لا تقدم إلا لسياسي كبير مقرب جداً للرئيس ومحل ثقته وله دور كبير في اتخاذ القرار السياسي... ويبدو أن عبد الناصر هنا لم يتوجه إلى هيكل الصحفي وإنما إلى هيكل السياسي الصديق المقرب تحديداً.

ورغم أن البعض اتهم هيكل بأن "الأهرام" قد ارتكب (خطيئة) مروعة بعد عودة عبد الناصر من الاستشفاء في (تشخالطوبو) وعندما قدمت معلومات مجانية وبالبنط العريض حول الحالة الصحية للرئيس، والتي تقتضي أن يعود كل عام على وجه التحديد في شهر أغسطس إلى الاتحاد السوفيتي للتداوي وإلا فإنه سوف يصاب بمضاعفات صحية خطيرة. وكان ذلك (هدية) لا تقدر بثمن للجهات التي يهمها متابعة الحالة الصحية

---

29 ـ المصدر السابق، ص 61.

30 ـ محمد باقر شري، "عبد الناصر مات أو أميت"، الحلقة الرابعة، مجلة **"الشراع"** اللبنانية، السنة الخامسة، العدد 251، 5 يناير 1987.

للرئيس واستغلال نقاط الضعف فيها، ولأن تمكنها من القضاء عليه سوف يكون تحقيقاً مثالياً لهدفها (الإستراتيجي) المزمن بضرورة التخلص منه...[31]

رغم هذه التهم فإنه لا يمكن تأكيد أن هيكل أساء استخدام المعلومات الخاصة التي قدمها له عبد الناصر ضد رئيسه. بل على العكس يبدو أنه استغلها أحسن استغلال خاصة في مقاله الأسبوعي الشهير (بصراحة) وقد ذهب كثيرون إلى أن أغلب أفكار هيكل كانت مستوحاة من نقاشاته ولقاءاته بعبد الناصر. لكن سامي شرف مدير مكتب عبد الناصر للمعلومات[32] يقول: "إن الرئيس كان يقرأ المقال مثل أي قارئ، فقط يتميز بأنه على اتصال يومي معه. وهيكل يعرف جيداً توجه الأحداث، وكيف تسير الأمور، وربما لا يتجاوز المقالات التي استشار فيها عبد الناصر أصابع اليد ومن ضمنها (زوار الفجر)..."[33]

استنتاجاً. يمكن القول: إن جمال عبد الناصر كان واعياً بطبيعة المعلومات التي يقدمها لهيكل وما إذا كانت تمس من أمن البلد أم لا. وكان هيكل محلاً لثقته. وكان يدرك إلى أين ستذهب هذه المعلومات في النهاية. فهي ستعود عليه بالإفادة سواء في نشرها في "الأهرام" في ركن (بصراحة) أو تعود لعبد الناصر في شكل آراء دقيقة ومنظمة حيث يحتاج هيكل إلى معلومات الرئيس ليتمكن من صياغتها بدقة.

---

31 ـــ المرجع السابق.

32 ـــ سامي شرف، مقابلة خاصة، مرجع سابق.

33 ـــ "زوار الفجر"، مقال شهير لهيكل، ورد في "بصراحة" في أهرام الجمعة. وهاجم فيه "دولة المخابرات"، و"مراكز القوى"، وانتقدهما بشدة.

4 ـ المعلومات "سلاح" هيكل

بعد خروج هيكل من هرم السلطة في أواخر 1974، تعرض إلى حملة إعلامية عنيفة قادها مصطفى أمين وجلال الدين الحمامصي وكل الصحافيين والكتاب الموالين للرئيس أنور السادات.

وتركز الهجوم عليه بشدة. ووجهت إليه تهم عديدة منها أنه أزاح كل منافسيه بسلطة الموقع، ومنها العمالة والجوسسة لصالح دول أجنبية، ومنها تزوير التاريخ...

وهذه نماذج من الحملة التي شنت ضد محمد حسنين هيكل:

كتب عباس الأسواني في جريدة (تعاون الطلبة) بتاريخ 25 مايو 1975 مقالاً بعنوان (يزور التاريخ بوقاحة، ويدعي كتابته بصراحة).[34]

أما أعنف حملة ضد هيكل فقد تمت بعد طبعه ونشره لكتاب (خريف الغضب) حيث وجهت له اتهامات كثيرة ومتنوعة. فالدكتور فؤاد زكريا[35]، كتب: "إن المرء لا يملك إلا أن يشعر بوجود سر خفي في تلك المقدرة الهائلة على جمع المعلومات واختزانها وإعادة استخدامها واستثمارها في الوقت المناسب.

ولقد سخر هيكل من الضباط الذين قلبوا بيته الريفي، وقت اعتقاله الأخير (في ديسمبر 1981)، بحثاً عن أوراقه السياسية، مؤكداً لهم أن

---

34 ــ حسنين كروم، **عبد الناصر بين هيكل ومصطفى أمين**، دار المأمون للطباعة، الطبعة الأولى، أكتوبر 1975، ص 9.

35 ــ فؤاد زكريا، **كم عمر الغضب؟ هيكل وأزمة العقل العربي**، دار القاهرة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، القاهرة 1984، ص ص 17 ــ 18. بعد دراسة الكتاب بتمعن توضح للباحث أنه مجرد رد فعل عنيف ضد هيكل ابتعد كثيراً عن الموضوعية والعلمية، وسقط في الحماس اللفظي أكثر من التزامه بالتحليل والتدقيق، ورغم ذلك فنحن لا ننكر كفاءة الدكتور فؤاد زكريا الأكاديمية، باعتباره مدرساً لمادة الفلسفة ومفكراً بارزاً ومحترماً.

الرئيس ذاته يعلم أنه (أي هيكل) لا يحتفظ بشيء من أوراقه في بيته وأنه يبعث بها أولاً بأول إلى خارج البلاد... ولكن يظل السؤال قائماً: هل يستطيع فرد واحد مهما كان ذكاؤه وتشعب قدراته، أن يجمع كل هذه المعلومات، ويرتبها بهذه الدقة ويبعث بها أولاً بأول إلى الخارج؟ لست أدري ولكنني كلما أمعنت الفكر في هذه الظاهرة بدا لي أنها أعقد وأوسع نطاقاً من إمكانات أي فرد، بل من إمكانات أي جهاز في دولة متخلفة وخيل إلي أننا نجد أنفسنا هنا على مستوى يكاد يصل إلى مستوى أجهزة المخابرات في الدول الكبرى".

وتبلغ الحملة ذروتها حينما يكتب الدكتور فؤاد زكريا: "إن تاريخ الأستاذ محمد حسنين هيكل صفحة سوداء في تاريخ مصر، لقد اتهمه الرئيس محمد نجيب بالخيانة لحساب دولة أجنبية، وكتب ذلك في كتابه (كلمتي للتاريخ) كما اتهمه "مايلز كوبلاند" في كتابه (بغير عباءة أو خنجر) بأنه كان عميلاً مخلصاً، كما اتهمه "خروشوف" بنفس التهمة وذكر له قيمة المبالغ والشيكات التي تسلمها من وكالات المخابرات المركزية الأمريكية، وكان ذلك عندما سافر سيده (يقصد عبد الناصر) إلى روسيا واصطحبه معه في هذه السفرة، فلما واجهه "نيكيتا خرشوف" بهذه الفضيحة المرة اضطر أن يسافر اليوم التالي عائداً إلى مصر".[36]

ويضيف الدكتور فؤاد زكريا: "ولم تكن البراعة الصحفية وحدها ولا الذكاء الشخصي وحده، هما اللذان أتاحا له هذه الفرصة، بل إن انعدام الديمقراطية وسيادة جو التكتم والقرار الفردي المفاجئ، جعل من الضروري

---

36 ـــ المرجع السابق، ص ص 18 ـــ 19، ويجب أن نلاحظ في هذا الموضوع، أننا لسنا مهتمين بصحة أو عدم صحة هذه التهم، فإثباتها أو نفيها يحتاج بدوره إلى (جهاز أمني) متطور، فقط يمكن أن نرصد توقيت الاتهامات، فهي جاءت مباشرة بعد نجاح كتاب هيكل (خريف الغضب).

أن يضيق نطاق المطلعين على الأسرار إلى أبعد حد، وهكذا اطلع هيكل على ما لم يكن متاحاً للآخرين، أو مطروحاً على الناس وهداه ذكاؤه إلى أن يسجل أولاً بأول كل ما هو (خفي) و(ممنوع)، ومنذ أن تبين له أن الناس يتلهفون على قراءة الأسرار التي لا يعرفها أحد صباح يوم الجمعة، أدرك هيكل أهمية (سلاح الأرشيف) من حيث هو مصدر قوة وحماية له في نفس الوقت".[37]

لم يفاجأ هيكل بهذه الحملة القوية ضده، إذ يظهر أنه استعد لها مبكراً، منذ أن كان حريصاً على جمع كل الوثائق التي يحصل عليها، والمحافظة عليها في مكان أمين، فهو يعترف بذلك قائلاً: "... أنا لم ألق ورقة... وأنا مستعد أن أقول: أنه لم تمر علي وثيقة دون أن أحصل على إذن بأخذ صورة منها... وكان معروفاً أنني مؤتمن".[38]

وبعد أن شن خصومه حملتهم الإعلامية قرر أن يرد عليهم مستخدماً في رده سلاحاً جباراً اسمه (أرشيف المعلومات). رد على الذين هاجموا عبد الناصر والناصرية بمجموعة مقالات، جمعت في كتاب سماه (لمصر لا لعبد الناصر)[39]، ورد على الرئيس السادات الذي سجنه بكتابه الشهير (خريف الغضب: قصة بداية ونهاية عصر السادات)[40] وهو كتاب

---

37 ـــ المرجع السابق، ص 17.

38 ـــ من حوار أجراه صلاح منتصر مع هيكل، بمجلة "**أكتوبر**" المصرية، العدد 608، السنة الثانية عشر، 19 يونيه 1988.

39 ـــ مصدر سابق.

40 ـــ محمد حسنين هيكل، **خريف الغضب، قصة بداية ونهاية عصر السادات**، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة السادسة، بيروت 1983.

نموذجي في مواجهة الخصم، ونجح الكتاب وبيع منه أكثر من مليون ونصف المليون نسخة بأكثر من لغة.[41]

وورد على مصطفى أمين بكتاب سماه (هيكل بين الصحافة والسياسة)[42]، اعتبر أيضاً كتاباً نموذجياً في مواجهة الخصم ...

في هذه الكتب الثلاثة استغل هيكل أرشيفه للمعلومات استغلالاً محكماً جعله يتفوق على خصومه خاصة بما تحمله كتبه من وثائق صريحة.

إن تجربة هيكل مع المعلومات، تميزت بخصوصية دقيقة، فالمعلومات هي التي جعلت هيكل يتصدر مكانة كبيرة عند الرئيس جمال عبد الناصر وهي التي جعلته يصل إلى قمة نجاحه المهني والسياسي، ومكنته من الوصول إلى أسرار الدولة وتخزينها إلى وقت الحاجة، ثم مكنته من الدفاع عن نفسه، والدفاع عن العهد الناصري. وكان دفاعاً متميزاً بالتفوق والقدرة الفائقة على إسكات الخصم، واستخدام سلاح المعلومات – الوثائق – الأرشيف استخداماً ماهراً.

---

41 ــ صلاح منتصر، مجلة "**أكتوبر**" المصرية، عدد 606، السنة الثانية عشر، 5 يونيه 1988.

42 ــ محمد حسنين هيكل، **بين الصحافة والسياسة**، مصدر سابق.

الفصل الخامس

هيكل المؤرخ

هذا الفصل يطرح إشكالية، هل أن محمد حسنين هيكل مؤرخ العهد الناصري؟ هل تتوفر فيه شروط المؤرخ؟ خاصة وأن كثيراً من قرائه والمعجبين بما يكتب لا يتورعون في التأكيد عن أهليته كمؤرخ، وربما أضافت كتبه الأخيرة التي صدرت تحت عنوان (حرب الثلاثين سنة) وتتضمن إلى حد الآن كتب (قصة السويس)، (سنوات الغليان)، و(الانفجار) بعداً جدياً في مدى تأريخية هيكل للأحداث... حيث تميزت هذه الكتب، بجمعها مستوى أكاديمياً محترماً، ومستوى صحفياً شيقاً مبدعاً... وربما ذلك من الأسباب التي دفعت بأحد الجامعات الغربية إلى منحه درجة الدكتوراه الفخرية في التاريخ المعاصر...

1 – المؤرخ

تعني كلمة التاريخ العربية لغة تحديد الزمن، من مادة (أرخ يؤرخ) التي ترجع في أصلها إلى كلمة (أرخ) أو (ورخ) التي تعني الشهير في اللغات العربية القديمة (السامية) ومنها اللغة الأكدية (البابلية والأشورية في

حضارة وادي الرافدين) وعرف الإله القمر في جنوبي الجزيرة العربية باسم (ورخ).

وفي اللغات الأوروبية يطلق على التاريخ كلمة (أرخ يؤرخ) التي كان على ما يرجح أول من أطلقها على التاريخ المؤرخ اليوناني الشهير (هيرودوتس) وقصد منها التحري والبحث في أحداث الماضي وتسجيلها.

أما ابن خلدون فقد عرف التاريخ في مقدمته الشهيرة على أنه بحث ونظر وتدقيق وتمحيص، أي تقريباً بالمعنى الذي استعمله فيه (هيرودوتس).[1]

وقد وضعت جملة تعاريف ومفاهيم للتاريخ أقدمها الذي ظل في الاستعمال إلى أواخر القرن الثامن عشر، أن التاريخ سجل الماضي أو سجل الأحداث الماضية. على أن مفهوم التاريخ في ضوء نظريات التطور وعلم الاجتماع الحديث اتسع من بعد ذلك، مكتسباً مدلولات حضارية وتطويرية بحيث أصبح في مفهومه الحديث دراسة أحوال المجتمعات الماضية، أي دراسة تطور الإنسان وما أنتجه من منجزات حضارية وما تركته هذه المنجزات من تأثيرات في تطور الحضارة المعاصرة.[2]

أما المعنى الإصلاحي، فهو فرع من فروع المعارف البشرية قوامه التحري والتحقيق أي تحري الحقائق الماضية التي يصل إليها الباحث التاريخي وفق منهج بحث خاص هو منهج البحث التاريخي.[3]

ولعل أحسن ما يوصف به التاريخ بصفته علماً أنه من العلوم الوثائقية (Documentary Sciences)، أي العلوم التي تعتمد على الوثائق التي

---

1 ــ طه باقر، وعبد العزيز حميد، **طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار**، مرجع سابق، ص 7.

2 ــ المرجع السابق، ص 8.

3 ــ المرجع السابق، ص 9.

خلفها الماضي سواء كانت بقايا مادية أم مدونات تاريخية وهذه هي مصادره ومادته الأولى.[4]

إننا نحاول، من خلال هذه التعريفات للتاريخ، أن نقوم بمقارنة لمدى تأريخية كتابات هيكل.

ويبدو أن فكرة كتابة (تاريخ العهد الناصري) كانت قديمة عند هيكل، فهو يقول لعبد الناصر ذات مرة "ونحن نعيش أزمة من الأزمات الكبرى التي كان يعبرها واحدة بعد واحدة":

ـ هل ستتاح لنا الفرصة يوماً لكي نجلس ونكتب معاً قصة ما حدث وحقيقته... ربما عندما تصل إلى سن الشيخوخة ولا تعود هناك مهام أو مشاكل، ستتاح لنا هذه الفرصة، نجلس معاً لنكتب القصة كلها.

وقال هو ببساطة:

ـ سوف تكتبها وحدك... فما أظن أن العمر سيصل بي إلى مرحلة الشيخوخة.

وقلت له ـ لماذا تقول ذلك؟

وكان رده:

ـ لنكن عمليين... الذي يعيش نوع الحياة التي أعيشها ليس له أن ينتظر الشيخوخة وإلا كان (يخرف)".[5]

كان هذا منطلق هيكل في عملية التأريخ، أو ما سماه (قصة ما حدث) ويحاول هيكل أن يضيف مسحة من المصداقية والعلمية على عمله فيقول: "إذا أردت أن أكتب فلا ينبغي أن يكون ما أكتبه في مجال الدفاع عن جمال عبد الناصر، فهو لا يحتاج مني ـ أو من غيري ـ إلى دفاع عنه، ثم إنني

---

4 ـ المرجع السابق، ص 12.

5 ـ محمد حسنين هيكل، **لمصر لا لعبد الناصر**، مصدر سابق، ص ص 32 ـ33.

أريد، إذا كتبت أن أضع أمام الناس صورة متكاملة للتجربة كلها، الضوء والظل، النجاح والفشل، الأصيل والدخيل في كل ما جرى وكان".[6]

وفي مكان آخر، يؤكد مرة أخرى على حرصه الدائم على توثيق عمله، وجمع أقصى ما يمكن من الوثائق له، "ولعل مشكلتي مع بعض الناس أو مشكلة بعض الناس معي إنني لا اعتمد على الذاكرة ولا أغطي مساحة الفراغات فيها بما ينسجه الخيال أو التمني، فأنا أعرف كم هي ضعيفة ذاكرة البشر أمام الأيام وأمام الأهواء، وهكذا فإنني كنت طول عمري أسجل وأكتب واحتفظ بكل ورقة أشعر أن ملف التاريخ الذي عشته قد يحتاجها في يوم من الأيام".[7]

والمشاع (لدى العامة) في الوسط الصحفي والسياسي المصري، أن هيكل هو المؤرخ الأساسي للعهد الناصري، وهذه بعض الأمثلة من الشهادات التي تؤكد هذا المعنى.

فمحمد فائق، وزير الإعلام ووزير الخارجية في عهد عبد الناصر وبداية عهد السادات[8] يقول "بكل تأكيد، هو أحسن من يكتب عن فكر عبد الناصر، لأنه كان قريباً من هذا الفكر ومخلصاً له، ومن ثمة، أحسن من يمكن أن يؤرخ للفترة الناصرية".

أما مجدي حسنين أمين صندوق الضباط الأحرار، ومدير مكتب محمد نجيب، ثم مدير مكتب عبد الناصر، فيقول: "هي كتب علمية ممتازة. وهو أحسن من كتب عن عبد الناصر. لقد تفرغ لكتابتها، فخرجت كتباً محترمة

---

6 ــ محمد حسنين هيكل، **وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي العام الاشتراكي**، مصدر سابق، ص 292.

7 ــ محمد حسنين هيكل، **بين الصحافة والسياسة**، مصدر سابق ص 15.

8 ــ محمد فائق، هو اليوم أمين عام المنظمة العربية لحقوق الإنسان، من مقابلة خاصة أجراها معه الباحث عن هيكل في القاهرة، أغسطس 1991.

مصرياً وعالمياً... نعم هو مؤرخ الناصرية، وبذل مجهوداً كبيراً من أجل ذلك".[9]

ويوافقهما، ضياء الدين داوود، وزير الشؤون الاجتماعية وعضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي في عهد عبد الناصر، حينما يقول: "طبعاً، لا أحد يمكنه الاختلاف عن أن هيكل هو مؤرخ للعهد الناصري. فكفاءة هيكل الصحفية، كفاءة نادرة، فهو قارئ جيد ومستوعب متميز وباحث عميق، يعمل بعلمية كبيرة جداً في تحضير مقالاته وكتابة آرائه.

كذلك له موهبة حفظ الوثائق، وبدأ يجهز لذلك مبكراً. والأهم من هذا، هو أن شغله الشاغل يتمثل في الصحافة. فحياته هي الصحافة والكتابة، وبالتالي يعطيه هذا التركيز كفاءة يتفوق بها على الآخرين من الناحية التوثيقية واللغة والتحرير والحجة والتزامه فيها بتوجهاته الفكرية".[10]

إن هذه الشهادات تؤكد جميعاً على تأريخية كتب محمد حسنين هيكل، لكننا نعلم أن خطاب (العامة) يختلف عن خطاب (الخاصة) فالمستوى العلمي الأكاديمي يحدد منهجية واضحة في العمل التاريخي.

2 – نفي المؤرخ

يتألف منهج البحث التاريخي من خطوات أو مراحل تتبع أحدهما الأخرى في تسلسل منطقي تحتمه طبيعة هذا المنهج، كما أنها تتداخل بعضها ببعض.

ـ المرحلة الأولى: جمع الأصول.

... وهي بحكم منطق البحث التاريخي تتصدر المراحل والخطوات الأخرى لأن التاريخ من العلوم الوثائقية، والوثائق هي المادة الأساسية

---

9 ـــ مجدي حسنين، مقابلة خاصة عن هيكل، مرجع سابق.

10 ـــ ضياء الدين داوود، مقابلة خاصة عن هيكل، مرجع سابق.

التي يبني عليها الباحث التاريخي بحثه، وخير ما يوجز ذلك المقولة الشهيرة "لا تاريخ بلا وثائق".[11]

ـ المرحلة الثانية: النقد التاريخي.

وهي نقد المصادر التي تم جمعها... ويمكن تأكيد القول أن مرحلة النقد التاريخي هي الأساس العلمي الذي يقوم عليه التاريخ العلمي الصحيح...

وينقسم النقد إلى:

أولاً: النقد الخارجي ويدور بالدرجة الأول على التوثق من صحة المصادر والوثائق التي جمعت بتمحيصها والتأكد من أصالتها...

ثانياً: النقد الباطني وهو يدور على فهم نصوص الوثائق التاريخية منها... وتقسم هذه المرحلة بدورها إلى خطوتين:

النقد الباطني الإيجابي: ويدور بالدرجة الأولى على فهم لغة الوثائق ومعانيها وأساليبها ومصطلحاتها والوقوف على المعاني الحقيقية التي أرادها مؤلف الوثيقة...

النقد الباطني السلبي: وينتقل الباحث من فهم المعاني اللغوية للنص إلى تدقيق وتمحيص صحة المعلومات الواردة فيها[12]...

ـ المرحلة الثالثة والأخيرة: مرحلة التركيب والتأليف.

بعد أن يطبق الباحث القواعد المقررة في النقد الخارجي من بعد جمع مصادره حيث تتجمع لديه حقائق موثوقة بقدر استطاعته وحسب اجتهاده عن الموضوع التاريخي الذي يريد أن يكتب عنه ...

---

11 ـ طه باقر، وعبد العزيز حميد، **طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار**، مرجع سابق، ص 80.

12 ـ المرجع السابق، ص ص 79- 80.

فيؤلف أو يركب من تلك الحقائق والمعلومات المتفرقة المبعثرة موضوع بحث متجانس ومفهوم".[13]

هذه المراحل الثلاث، لو طبقناها على كتابات هيكل فسنلاحظ:

أولاً: وجود ثغرة كبيرة في المرحلة الأولى، مرحلة جمع المصادر، حيث يتجاهل هيكل عمداً بعض المصادر والحقائق ولا يوردها في كتبه، مثلما حدث مع (خريف الغضب) عندما يقول: "ومع ذلك فإن هذا الكتاب ــ اعترف بأمانة ــ لا يروي صورة الحقيقة كاملة عن هذا العهد، وأمانة أيضاً فإني لا أرى أن الظروف تسمح حتى الآن برواية الحقيقة كلها، وإن كان ذلك ضرورياً ذات يوم، إن ذلك العهد أحدث على مستوى الأمة كلها آثاراً سوف تتكشف عواقبها يوماً بعد يوم".[14]

وتزداد هذه الصراحة وضوحاً، عندما يعلق على كتابه (سنوات الغليان) قائلاً: "... لأنك لابد أن تلاحظ أنني حاولت أن أجعل الكتاب يقرأ عربياً، ذلك لأنني أستطيع أن أقول كل الحقيقة ثم لا ينشر الكتاب في أي مكان، ولذا قفزت على أشياء، ولم أقل كل شيء، ولو لم أفعل لكانت النتيجة هي منع الكتاب في الوطن العربي كله، ولعلي ألفت الانتباه إلى أن ثلثي الكتاب تقريباً قد نشر في الأردن كما دخل الكتاب السعودية على الأقل في "القبس" (صحيفة كويتية) التي كانت تبيع حوالي 35 ألف نسخة في السعودية، وفيما بعد منع الكتاب ككتاب في عدد كبير من البلدان العربية، وإن كان يدخل إليها مهرباً بكميات كبيرة للغاية، لكنه رسمياً ممنوع، إذاً، هناك جزء من

---

13 ــ المصدر السابق، ص ص 80- 81.

14 ــ محمد حسنين هيكل، **خريف الغضب، قصة بداية ونهاية عصر السادات**، مصدر سابق ص 14.

الموضوع لم ألجأ إلى التفصيل فيه، بمعنى أنني لم أر أنه من المفيد أن أكتب كل شيء ثم لا يصل الكتاب إلى أحد".[15]

ومن هنا، يمكن أن نؤكد أنه ليس هناك مؤرخ (يتجاهل حقائق) حتى يضمن لكتابه الرواج، وتفادي الرقابة.

ويمكن أن نضيف، رأي سامي شرف، مدير مكتب عبد الناصر للمعلومات ووزير شؤون الرئاسة، الذي قال: "بعد أن قرأت كتب هيكل، فإنني ألاحظ أن هناك أشياء غض عنها الطرف، وأخرى تجاوزها، وأخرى غير من حقيقتها، إضافة إلى أشياء صحيحة ذكرها... وفي حواراتي مع هيكل حول بعض المسائل، اتضح أن بعض الأحداث لا يعرف خلفياتها فيجتهد من عنده دون معرفتها".[16]

كما ينفي سامي شرف ــ على عكس الآخرين ــ أن يكون هيكل مؤرخ الناصرية.[17]

ثانياً: وجود ثغرة أخرى لا تقل أهمية في مرحلة النقد التاريخي، بفرعيه النقد الخارجي والداخلي معا. فمشكلة محمد حسنين هيكل هنا، أنه يواجه (عائق ابستيمولوجي)، يتمثل في انعدام مسافة موضوعية بين الأنا ــ الباحث ــ والآخر، موضوع البحث، فهيكل يتعرض كثيراً لمواقفه، ولدوره في الأحداث السياسية التي جرت، ومهما بلغ تجرد الإنسان من عواطفه، وادعائه الحياد والموضوعية، فإن (وعيه)، أو حتى (لاوعيه)، سيساهم بشكل أو بآخر في تقديم صورة إيجابية حول ذاته، وسلبية حول خصومه، وهو ما دفع الدكتور فؤاد زكريا إلى القول: "إنه استثنى نفسه تماماً من

---

15 ــ محمد حسنين هيكل، من مشاركته في ندوة حول "سنوات الغليان"، مجلة "**المستقبل العربي**"، مركز دراسات الوحدة العربية، عدد 128، السنة الثانية عشر، أكتوبر 1989، بيروت.

16 ــ سامي شرف، مقابلة خاصة أجراها الباحث عن هيكل، مرجع سابق.

17 ــ المرجع السابق.

اللوم، صب اتهاماته على الغير، وكأنه كان طوال الوقت مشاهداً محايداً، أو ناصحاً أميناً لا يستمع إليه أحد.

ولقد بحثت طوال الصفحات التي قاربت الستمائة في كتاب هيكل "خريف الغضب"، عن سطر واحد من النقد الذاتي فلم أجده ..."[18]

ويعلق سامي شرف أيضا بقوله "إن التاريخ لا يكتب في حياة الأشخاص، وإنما يكتبه بعد نهاية الأحداث آخرون محايدون".[19]

وهذه ثغرة أساسية في المرحلة الثانية من منهجية البحث التاريخي.

ثالثا: مرحلة التركيب والتأليف ستصبح ملغاة مع إمكانية هيكل المؤرخ، ذلك أن ضعف المرحلة السابقة وعدم وصولها إلى المستوى الأكاديمي العلمي يلغي آليا هذه المرحلة.

وإذا كان الأكاديميون يقولون: "إن أحسن تاريخ يكتب للناس هو ذلك التاريخ الذي اعتمد على الطرق العلمية من البحث التاريخي في جمع مادته وعلى الأدب والفن في عرض تلك المادة"[20]، فإن هذا القول ينطبق خاصة في جزئه الثاني بشكل كبير على كتابات هيكل الأخيرة (قصة السويس، سنوات الغليان، والانفجار). حيث تميزت هذه الكتابات بدقة التوثيق والمعلومات وبجمال اللغة والعرض.

إن محمد حسنين هيكل كان ذكياً في هذه المسألة، حيث تفطن لها مبكراً عندما نفى عن نفسه قطعياً صفة المؤرخ، وقال عن نفسه: "أبعد الأشياء عن مقاصدي أن أجعل من هذا الكتاب "سنوات الغليان" محاولة لـ"كتابة التاريخ" والحقيقة أنه محاولة لـ(قراءته). وهذا معنى كررته كثيراً في وصف ما أكتبه، ومازلت متمسكاً به.

---

18 ــ فؤاد زكريا، **كم عمر الغضب؟ هيكل وأزمة العقل العربي**، مرجع سابق، ص 15.

19 ــ سامي شرف، مرجع سابق.

20 ــ طه باقر، عبد العزيز حميد، **طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار**، مرجع سابق، ص 14.

وليس من باب التواضع أن أقول أن "كتابة التاريخ" ليست صناعتي و لا أنا مدعيها، وليس من باب التفاخر أن أقول أن "قراءة التاريخ" حقي لأنها حق كل مهتم بالشؤون العامة.

ولعلي لا أتزيد إذا قلت أن "قراءة التاريخ" كانت أصعب بالنسبة لي لأني عشت وقائعه وكان علي لكي أقرأه بأمانة أن أضع للاختبار كثيراً مما كنت أتوهم أنني أفهمه".[21]

ويقول عن نفس الكتاب: ".. لأننا يجب أن نتذكر أن هذا الكتاب ليس رسالة دكتوراه حتى أناقش فيه القضايا من خلال جزئية هنا وأخرى هناك، وإنما أنا أكتب كتاباً هو عبارة عن قراءة صحافية للتاريخ من المفروض أن تصل إلى أكبر عدد من القراء، واعتقد أن الكتاب حاول تحقيق هذا الهدف، فخطابي ليس موجهاً إذاً إلى أكاديميين وإنما إلى عامة القراء".[22]

إن كتابات هيكل، حسب اعتقاده، هي قراءة صحفية للتاريخ وليست عملية تأريخ. وهنا ينجح الرجل في الابتعاد وتجنب أي مساءلة أكاديمية تاريخية ومنهجية.

ولكن يجب أن نلاحظ أيضاً، أن هذه القراءات الصحفية للتاريخ، ليست قراءات عادية، قام بمثلها زملاء له في الصحافة.

إن كتاباته متميزة إلى حد ــ لا نبالغ فيه كثيراً إذا قلنا ــ أنها مدرسة خاصة في كتابة التاريخ والصحافة معاً.

وهي تأصيل من نوع جديد لا يرتقي إلى المستوى الأكاديمي البحت، ولا ينزل مطلقاً إلى المستوى الصحفي العادي...

إن كتب هيكل قد تتحول ذات يوم إلى وثائق تاريخية، يعالجها مؤرخون (محايدون) ولكنهم سيصطدمون في هذه الرحلة بوثائق متكاملة، موثقة وجاهزة، قد لا يجدون فيها ثغرات كبيرة للنقد الداخلي أو الخارجي معا.

---

21 ــ محمد حسنين هيكل، **سنوات الغليان**، مصدر سابق، ص ص 12 ــ 13.

22 ــ مجلة " **المستقبل العربي**"، عدد 128، مرجع سابق.

القسم الثاني

هيكل سياسيا

أول مرة يقابل فيها هيكل (الباكباشي) جمال عبد الناصر، تمت في (الفالوجا) سنة 1948، عندما كان عبد الناصر محاصراً من القوات الإسرائيلية. ثم جاءه مرة ثانية إلى مكتبه في (آخر ساعة) يطلب منه كتاب (إيران فوق بركان) وقابله مرة أخرى يوم حريق القاهرة في 26 يناير 1952 في الشارع...

الفصل الأول

هيكل – العهد الناصري:

الارتباط

إن الحديث عن هيكل السياسي، يؤدي مباشرة إلى الحديث عن علاقة محمد حسنين هيكل الصحفي بجمال عبد الناصر قائد الثورة ثم رئيس الجمهورية.

هذه العلاقة هي التي دفعت بالصحفي إلى قمة العمل السياسي وجعلته في دائرة صانع القرار... وهي التي جعلت هيكل جزءاً هاماً من تاريخ المنطقة... هذه العلاقة بدأت قبل ثورة 23 يوليو 1952.

1- هيكل ــ عبد الناصر: بداية العلاقة

أول مرة يقابل فيها هيكل (الباكباشي) جمال عبد الناصر، تمت في (الفالوجا) سنة 1948، عندما كان عبد الناصر محاصراً من القوات

الإسرائيلية. ثم جاءه مرة ثانية إلى مكتبة في "آخر ساعة" يطلب منه كتاب (إيران فوق بركان)[1]، وقابله مرة أخرى يوم حريق القاهرة في 26 يناير 1952 في الشارع. وجاءه مرة أخرى مع صلاح سالم بسبب حكاية (الهويات) التي كان الإسرائيليون يعطونها لبعض عرب سيناء.[2]

لكن أهم لقاء، حدد مستقبل العلاقة بين الضابط والصحفي، حدث مصادفة يوم 18 يوليو 1952، عندما كان هيكل في زيارة للواء محمد نجيب في بيته، وفجأة دخل جمال عبد الناصر ومعه عبد الحكيم عامر فاجتمعا به وحدهما ثم خرجا وبقى بعدهما بضع دقائق، وعند خروجه وجد الاثنين مرة أخرى وتواصل الحديث. ودار بينهم نقاش ساخن حول ما يجري في البلاد ودور الجيش فيه، وتحمس أثناء المناقشة وقال لجمال عبد الناصر ما معناه، "أن الجيش عاجز عن رد كرامته إزاء عدوان الملك عليه"، وتساءل جمال عبد الناصر عن الدور الذي يمكن أن يلعبه الجيش، وهو يعلم أن أي حركة يقوم بها، ستتدخل على إثرها بريطانيا ويكرر الملك فاروق تمثيل دور الخديوي توفيق ويعيش الجيش مأساة جديدة كتلك التي عاشها عرابي.

ورد هيكل، مستبعداً تدخل الإنجليز موضحاً بأنهم لا يملكون وسائل التدخل، واهتم عبد الناصر بما قاله، وسأله عن الأسباب التي دفعته إلى هذا التحليل، وقام هيكل بشرح وجهة نظره مفصلة.

وبدأ جمال عبد الناصر يسأله بإلحاح في تفاصيل ما قال وشعر أن اهتمامه به أكبر مما يحتمله حديث عابر بين صحفي وبين ضابط في الجيش وسأله هل يستطيعان أن يواصلا الحديث لأن الموضوع يهمه،

---

1 ــ أول كتاب كتبه هيكل كان يدور حول تأميم البترول الإيراني في عهد مصدق.

2 ــ من حديث لهيكل حاوره فيه صلاح منتصر، مجلة "**أكتوبر**" المصرية. عدد 606، السنة الثانية عشر، 5 يونيو 1988، الحديث نشر على حلقات.

واقترح عليه أن يذهبا إلى مكتبه في "أخبار اليوم" وكان تعليقه على الفور: "لا ... ليس في "أخبار اليوم" ... لماذا لا نذهب إلى بيتك؟"، وذهبا إلى بيت هيكل ... وتحدثا طويلاً ... واتفقا على اللقاء مرة أخرى.[3]

هذه رواية هيكل لبداية العلاقة بينه وبين جمال عبد الناصر. أما اللواء محمد نجيب[4] فهو يروي الحادثة كالتالي: "يوم 18 يوليو، أي قبل الحركة بخمسة أيام، كنا نعيش أزمة نادي الضباط واستدعاني وزير الداخلية محمد هاشم باشا زوج ابنة حسين سري رئيس الوزراء، فتوجهت إلى بيته حيث سألني عن سبب التذمر. وهذه الواقعة أشرت إليها في المذكرات، وكان هيكل يومها مخبراً في مجلة "آخر ساعة"، وجاء يسألني ما دار في المقابلة وكان عندي الباكباشي محمد جلال ندى وبالصدفة جاء عبد الناصر فأخبره جلال ندى أنه رفع قضية ضد الحكومة بسبب إقفالها نادي الضباط، وأنه دفع رسوم الدعوة فأجابه عبد الناصر لماذا تدفع وحدك الرسوم، نحن جميعا متكفلون بها، ومد يده في جيبه ليخرج محفظته فقال له (الباكباشي) ندى "الحكاية لا تستحق، كل الرسوم لم تتجاوز الجنيه". ويبدو أن هيكل بحاسته الصحفية أدرك أن عبد الناصر إحدى الشخصيات الهامة بين الضباط، وكنت أعلم حب هيكل للتعرف على الضباط، فلما طلب مني أن أعرفه بعبد الناصر قدمته إليه وكان ذلك أول لقاء بينهما".[5]

في حين تختلف رواية عبد اللطيف بغدادي (عضو مجلس قيادة الثورة) الذي يقول في مذكراته: "ذهب عبد الناصر وعبد الحكيم عامر إليه (محمد

---

3 ــ محمد حسنين هيكل، **بين الصحافة والسياسة**، مصدر سابق، صص 49- 50- 51.

4 ــ عينته الثورة واجهة لها في منصب رئيس الوزراء، ثم رئيس الجمهورية ثم عزل وسجن في أحداث أزمة مارس 1954.

5 ــ نقلا عن، حسنين كروم، **عبد الناصر بين هيكل ومصطفى أمين**، مرجع سابق، ص ص 70 –71.

نجيب) في منزله... ولكنهما لم يجدا فرصة للتحدث إليه أو مفاتحته في الأمر لأنهما كانا قد وجدا عنده بالمنزل بعض الضيوف ومنهم (محمد حسنين هيكل)، المحرر بدار "أخبار اليوم"... وقد دار الحديث أثناء الزيارة حول قرار مجلس إدارة نادي الضباط. واستفهم هيكل منهما عن مدى رد فعل هذا القرار داخل الجيش، وما هو التصرف الذي ينوي ضباط الجيش القيام به رداً على هذا التصرف من الملك، ولكنهما أوضحا له أنهما لا يعطيان مثل هذه الأمور أهمية، وأنهما سينصرفان للذهاب إلى السينما، وانصرفا دون التمكن من مفاتحة محمد نجيب في الموضوع".[6]

وفي كل الحالات، فإن هيكل التقى حقيقة بعبد الناصر في يوم 18 يوليو 1952، ببيت محمد نجيب، وساعده هذا اللقاء في أن يلعب دوراً خاصاً في يوم 23 يوليو، عندما اندلعت ثورة الجيش، حيث اهتم به عبد الناصر وقربه منه لحاجته إلى معلوماته وعلاقته الكثيرة.

ويروي هيكل ما حدث له يوم الثورة قائلا: "في الساعة الثانية والنصف من صباح يوم الأربعاء 23 يوليو كنت في مقر هيئة أركان حرب الجيش وكان قد أصبح مقر القيادة لحركة جديدة قامت بها مجموعة من الضباط الشبان للاستيلاء على السلطة فيه. وباستيلائهم على السلطة فيه فإنهم استولوا على السلطة في الوطن كله. بدؤوا تحركهم في منتصف الليل، وبعد ساعتين اثنتين كانوا قد حققوا ما أرادوه. وبعد دقائق كنت في وسطهم".[7]

بعد ذلك، اتصل هيكل هاتفيا بـ"أخبار اليوم" وقال له عامل التلفون، أن مصطفى أمين صاحب الدار يبحث عنك في كل مكان... فهل تريد أن أوصلك به، ولم ينتظر منه رداً، وسمع صوت مصطفى أمين معه على

6 ـ عبد اللطيف بغدادي، **مذكرات**، المكتب المصري الحديث، القاهرة، 1977، ص 55.
7 ـ محمد حسنين هيكل، **بين الصحافة والسياسة**، مصدر سابق، ص 52.

الخط، يسأله "أين أنت؟"، فقال له "لا يهم الآن" فقال له مصطفى أمين "هل تعرف أن ضباطاً في الجيش تحركوا من ثكناتهم ونزلوا إلى الشارع؟" وأجاب هيكل "إنني أعرف"، فسأله "كيف؟" فرد ببساطة "لأني هنا في مقر قيادتهم"، وساد صمت على الناحية الأخرى من الخط ثم تمالك مصطفى أمين نفسه وراح يسأله أسئلة كثيرة تتسابق على الأسلاك، فقال له هيكل "إنني مع الأسف لا أستطيع ولا أملك أن أرد على سؤال منها، وسأله عن رقم التليفون الذي يتكلم منه حتى يستطيع أن يتصل به مباشرة لأن الظرف بالغ الخطورة، ثم أضاف أنه سيذهب به أيضا إلى الهلالي (باشا) (رئيس الوزراء) الذي يهمه في هذه اللحظة أن يسمع منه.

واستشار هيكل عبد الحكيم عامر في إعطاء رقم الهاتف، ولكنه رفض بعنف، في حين تحرك جمال عبد الناصر وقال "لم لا؟ ... أعطه الرقم". وقال جمال عبد الناصر "أتصور أنهم يريدون أن يعرفوا كيف نفكر نحن هنا... ولكننا من خلال أسئلتهم سوف نعرف كيف يفكرون هم هناك".

ويعترف هيكل، أنه أعجب بسرعة بديهة جمال عبد الناصر وقدرته على التصرف والحسم في طرفة البصر.[8]

ومرة أخرى، تتعلق الحكومة والقصر بهيكل، باعتباره همزة وصل بينهم وبين (مجلس قيادة الثورة) فيتصل نجيب الهلالي (باشا) على نفس الرقم ويقول لهيكل:

"هيكل... أنا أعرف أنك في وضع صعب وربما كنا نحملك أكثر مما تحتمل، ولكن بما أن الظروف قضت بأن تكون حيث أنت الآن في هذه اللحظة فليس أمامنا ولا أمامك إلا أن نتحمل مسؤولياتنا. وأنا أكلمك من أجل (البلد) وأرجو أن يكون ذلك واضحاً (للجماعة) عندك.

---

8 ـــ المصدر السابق، ص ص 53-54.

واستطرد الهلالي (باشا) يسأله: "ماذا يريد الجماعة عندك، إنني أريد منك أن تسأل من تعتقد أنه يستطيع الرد منهم، ولن أسالك من هو؟ ..." وأضاف بأنه مستعد لتقديم استقالة الوزارة[9]، وفوجئ هيكل عندما طلب منه عبد الناصر أن يقول للهلالي (باشا) "عليك بتقديم استقالة الوزارة". فقال لعبد الناصر "ولكنه رجل وطني وأمين". فرد عبد الناصر "ليس هذا هو المهم الآن... قل له أن يستقيل". ونقل هيكل الطلب، ووافق الهلالي بسرعة. ووقف، بعد انتهاء المكالمة مع جمال عبد الناصر لحظات يستوضحه في بعض ما دار وقال له عبد الناصر: "لم يكن موضوع تغيير الوزارة قد خطر على بالي، ولكن عندما اقترحه صاحبك طلبته على الفور لأن حدوثه إشارة واضحة إلى أن قيام وسقوط الوزارة في مصر لم يعد في يد الملك".

ورأى هيكل أن "فيما قاله تلك اللحظات لمحات ملفتة للنظر في قدرته على التصور والتصرف".[10]

ومنذ بداية العلاقة، حرص هيكل على أن تكون هذه العلاقة شخصية وبخاصة مع عبد الناصر دون غيره. فمجدي حسنين، أمين صندوق الضباط الأحرار، ومدير مكتب محمد نجيب ثم مدير مكتب عبد الناصر، يقول عن طبيعة علاقة هيكل بعبد الناصر في الأيام الأولى للثورة: "كان هيكل مراهناً على عبد الناصر كقائد للثورة، فهو رجل ذكي جداً، وكان عبد الناصر يحبه، يأخذ منه المعلومات ويعطيها له أيضاً... ولم يحاول هيكل أن يتقرب إلى محمد نجيب، كما لم تكن له علاقة خاصة مع أي من بقية الضباط الأحرار، لقد اقتصر في علاقته على عبد الناصر، ولم يرد أن يحشر نفسه في صراعات، فلم يتدخل في سير الإدارة أو أجهزة الدولة ...".[11]

لقد شهدت العلاقة بين هيكل وعبد الناصر بعداً شخصياً متميزاً.

---

9 ــ المصدر السابق، ص 54.

10 ــ المصدر السابق، ص ص 56- 57.

11 ــ مجدي حسنين، مقابلة خاصة، مرجع سابق.

2 – هيكل ـــ عبد الناصر:

العلاقة في أبعادها الشخصية

يعتقد أحمد حمروش[12] أنه "عندما قامت ثورة 23 يوليو لم يكن محمد حسنين هيكل هو أقرب الصحفيين إلى جمال عبد الناصر. فقد كان هناك صحفيون آخرون أقرب مثل إحسان عبد القدوس ومصطفى أمين وحسين فهمي وأحمد عبد الفتوح وحلمي سلام. وكلهم كانوا أصدقاء لعبد الناصر. والنقطة الثانية أن هيكل عندما تعرف على عبد الناصر لم يكن صحفياً مبتدئاً أو ناشئاً، بل كان رئيس تحرير "آخر ساعة". والنقطة الثالثة أن هيكل كان أكثر الصحفيين حرصاً وفهماً لطبيعة المرحلة، وأيضاً رغبة في الاستفادة من وجوده قريباً من زعيم هذه الثورة. فإذا كان يقال أن هيكل أثر على عبد الناصر لكي يجعل منه (الصحفي الأوحد) فأنا أقول أن هذا مستحيل وغير ممكن لأنه ضد طبيعة عبد الناصر شخصياً، وإذا حاولت أنت مثلاً عند عبد الناصر لكي تصبح (الصحفي الأوحد) فلن تنجح، ولكن إذا وجد عبد الناصر أن رغباته وأفكاره وأحلامه يتم ترجمتها جيداً من خلال قلمك فهو الذي سيقربك إليه، لأنه المحتاج إلى قلمك وفكرك. لذلك أقول أن عبد الناصر كان محتاجاً لهيكل وكان يتبادل معه الأفكار والحوار، ولكن في النهاية كان هناك رأي لعبد الناصر ورأي لهيكل، وكثيراً ما اختلفوا، وظهر هذا الخلاف واضحاً".[13]

ويـــؤكد هذا الرأي، وزير الإعلام السابق محمد فائق، حينما يقول: "في رأيي أن هيكل هو أحسن من يفهم عبد الناصر وما يريده، وكيف

---

12 ـــ من الضباط الاحرار، يساري الاتجاه.

13 ـــ أحمد حمروش، من حديث صحفي لإرشاد كامل، مجلة "صباح الخير" المصرية.

يصيغ أفكاره... حقيقة كانت توجد علاقة صداقة شخصية بينه وبين الرئيس...".[14]

كما يذهب في نفس الاتجاه، وزير الشؤون الاجتماعية وعضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي، ضياء الدين داوود حينما يشرح: "أنا كنت قريبا من جمال عبد الناصر بحكم وضعي في السلطة، ولا أعتقد أن هناك مبالغات من هيكل في ما يكتبه عن حجم علاقته بعبد الناصر، على عكس ما يكتبه البعض اليوم هنا وهناك... لقد ذكر لي عبد الناصر شخصياً أن أكفأ من ارتبط به في دقة التعبير عن أفكاره هو محمد حسنين هيكل".[15]

وحاول هيكل طيلة عهد عبد الناصر أن لا يكشف للآخرين حجم ونوع هذه العلاقة. ويرى صلاح منتصر، أحد تلامذة هيكل، أن هذا الأخير "عرف ببراعة بالغة حدوده (كمدني) خارج مجموعة العسكريين الذين خرج منهم عبد الناصر وينتمي إليهم.

وبذكاء أكبر استطاع هيكل أن يضع غشاوة على تلك العلاقة أمام كثيرين... واحد غيره كان سهلاً أن يعلن: عبد الناصر قال لي، وأنا قلت لعبد الناصر... ولكن هيكل تحاشى تماماً طوال حكم عبد الناصر أن يشير إلى هذه العلاقة، خصوصاً في كتاباته، إلى درجة حيرت بعض القراء، وأثارت لديهم الشكوك في حجم هذه العلاقة. وهكذا فبالنسبة لهيكل لم يكن هو الشخص الذي يتفاخر بصداقته للحاكم ويعلن عنها ولا الإنسان الذي له أي مطامع أو مطالب ويطلب من الحاكم تحقيقها له".[16]

---

14 ــ محمد فائق، مقابلة خاصة، مرجع سابق.

15 ــ ضياء الدين داوود، مقابلة خاصة، مرجع سابق.

16 ــ صلاح منتصر، من مقدمة حديث طويل مع هيكل، مجلة "**أكتوبر**" المصرية، عدد 606، مرجع سابق. ويلاحظ أنه بعد وفاة عبد الناصر أصبح هيكل يعلن بصراحة عن حجم وطبيعة علاقته بجمال عبد الناصر.

هذه الصداقة القوية بين الرجلين، كثيراً ما اعتراها الخلاف، "فحقيقة الأمر أنه كان لجمال عبد الناصر رأي... ولمحمد حسنين هيكل رأي آخر... وهما ــ أحياناً ــ لا يتطابقان... وليس صدقاً ما كان يدعيه البعض من أن مقالات هيكل كانت "بالونات اختبار" يطلقها عبد الناصر ليتعرف على خبايا الرأي العام.

ومحمد حسنين هيكل لم يكن يوحي له في التعبير عن رأيه... جميع الكتاب لم يكن يوحي لهم... والرقابة لم تعرف طريقها للصحف إلا بعد عدوان إسرائيل عام 1967.

القضية كانت... أن محمد حسنين هيكل اكتسب ثقة جمال عبد الناصر".[17]

أما هيكل، وهو الطرف المعني في هذه العلاقة فيقول: "وأحسن ما كان في علاقتي بعبد الناصر هو ما كان فيها من تلقائية بمعنى أنني لم أكن أقصد ولا هو كان يقصد... الصداقات لا تنشأ بتصميم سابق ولا بقصد سابق.

الصداقات تنشأ بصلات إنسانية يشعر بها الناس وتتوثق لحظة بعد لحظة ويوما بعد يوم...

الذي حدث أن هذا الرجل كان لديه استعداد تاريخي خارق وأنا كصحفي أعرف المنطقة بشكل أو بآخر، وأسوأ شيء تفعله لأي إنسان في السلطة أن تحاول أن تتقرب إليه أو تفرض نفسك عليه... لأنه بطبيعته يشك... ليس فقط عبد الناصر وإنما كل إنسان في موقع السلطة... ولو أنني حاولت بناء على تصميم مسبق لأثرت الشكوك... لكن علاقتنا نمت... إننا دون أن نلتقي كنا نتكلم في آراء واحدة... ثم بعد ذلك

---

17 ــ أحمد حمروش، "زيارة جديدة لهيكل"، مجموعة مقالات على حلقات، مجلة "روز اليوسف" المصرية، عدد 24 ــ 11 ــ 1986.

الصداقات تأتي عندما يجد اثنان نفسيهما منجذبين سواء بحكم تلاقيهما الفكري أو بحكم عناصر الكيمياء الإنسانية... لا هو هيأ ولا أنا هيأت... ولكن العلاقة نشأت كما تنشأ أي صداقة بطريقة طبيعية...".[18]

هذه العلاقات المتميزة شكلت درعاً يحمي هيكل من خصومه المتربصين به. وهي الخط الحديدي الذي تتحطم عليه كل أمواج الرافضين لدور هيكل الصحفي السياسي. وقام الرئيس عبد الناصر في أكثر من مرة بدور الحامي المباشر لهيكل عندما يقع في مأزق. فهو مثلاً عندما وفر غطاء أو حماية كبيرين لصديقيه مصطفى وعلي أمين، وبعد أن اكتشفت أجهزة الأمن عمالتهما للمخابرات الأمريكية، شعر هيكل بمأزق كبير، خفف من حدته عبد الناصر عندما قال له: "ليس هنالك ما يدعوك إلى أن تفكر على هذا النحو، صحيح أنك توسطت لهما عندي أكثر من مرة لكن أنا الذي استجبت لك ولم يكن في استطاعتك أن تفرض علي شيئا لولا قبولي به. فإذا كانت هناك مسؤولية فأنا المسئول، لا داعي الآن لفرط الحساسية وأنا أطلب إليك من الآن أن تمسك أعصابك لأني أعرف أن هناك من هم على استعداد لاستغلال ما حدث ضدك، ولا يصح لك أن تعطي أحداً وسيلة النيل منك دون وجه حق".[19]

وتكررت عملية الحماية مرة أخرى، وفي نفس القضية، عندما دفعت دار "أخبار اليوم" بقرار من هيكل تكاليف الدفاع عن مصطفى أمين، فقد سأله عبد الناصر عن حقيقة الأمر فكان رده: "إنني تصرفت على نحو أثق أنك كنت ستتصرف به لو أنك مكاني".

---

18 ــ من حوار طويل مع صلاح منتصر لمجلة "**أكتوبر**" المصرية، عدد 606، مرجع سابق.
19 ــ محمد حسنين هيكل، **بين الصحافة والسياسة**، مصدر سابق، ص 144.

فعلق عبد الناصر قائلا: "إنني أستطيع أن أفهمك لكن ما أخشاه أن لا يفهمك غيري"، فرد هيكل "إنه يهمني أن يفهمني هو، وأما الآخرون ممن لا يفهمون فأمرهم لا يعنيني".[20]

إجابة هيكل تلخص حقيقة وطبيعة علاقته بعهد كامل. فالرجل لم ينزلق في لعبة السلطة والتحالفات والصراعات، واكتفي بمد الجسور مع عبد الناصر وحاول أن تكون هذه العلاقة شخصية ـ إنسانية، لا يعلم حجمها وعمقها أحد غيرهما. وهذه العلاقة جعلت هيكل يرفض أكثر من مرة منصب الوزارة أو أي موقع سياسي آخر. فقط كان يعتمد على موقعه في "الأهرام" وهو عمله الصحفي، وموقعه في (قلب) عبد الناصر، وهي العلاقة الشخصية التي حرص طوال الوقت على تواصلها ونموها وحمايتها من الدخلاء.

كان هيكل متفطناً إلى طبيعة شخصية (صديقه) فهي شخصية (كارزماتية) لها إشعاع محلي وعربي وعالمي هائل وهذا النوع من الشخصيات عادة ما يتجاوز بنفوذه وسلطاته الكارزمتية حدود صلاحياته الدستورية والمؤسسات التي يعمل من خلالها، حيث تصبح (للكاريزما) سحر خاص يخاطب الجماهير رأساً بدون المرور بأجهزة الحكم. وهذا النوع من الشخصيات نادر عبر التاريخ فالقرن العشرين مثلا لم يعرف إلا مجموعة محدودة من شخصيات (الكاريزما) مثل ماوتسي تونغ، لينين، تيتو، ديغول، وعبد الناصر...[21]

هيكل استوعب منذ البداية هذه النوعية الخاصة من الزعامات وتكيف معها منذ انطلاق الثورة... وتواصلت علاقتهما إنسانية عميقة حتى وفاة

---

20 ـ المصدر السابق، ص 267.

21 ـ لمزيد من التوسع في مسالة "الكاريزما"، يرجى الرجوع إلى كتاب الدكتور نديم البيطار، **من التجزئة... إلى الوحدة**، وبخاصة الفصل المتعلق بالسلطة المشخصنة.

جمال عبد الناصر في 28 سبتمبر 1970، عندها لم يبك هيكل على (صديقه)، وتمالك أعصابه حتى تمر الأزمة وجاء يوم الجنازة وبكى... وصف ذلك قائلاً: "أنا أذكر جيداً يوم الجنازة وكان تحرك الجنازة من مجلس قيادة الثورة القديم على النيل (قرب فندق شيراتون الجزيرة الجديد) فلقد بدأنا الجنازة صفوفاً متماسكة ولكن ما أن شاهدت النعش وبدت لي حقيقة أنه في داخل هذا الصندوق يوجد جمال عبد الناصر، فإنني لم أستطع أن أسيطر على نفسي... خلاص... وبكيت... وابتعدت خارج الصفوف رغم أنني كنت يومها مرافقاً رسميا لـــ"كوسيجين" حتى لا يراني أحد... ولكن في وقت الأزمات مهما كانت أحزانك فهذا ليس وقت البكاء..."(22)

ورغم هذه العلاقة الإنسانية التي ربطت الزعيم بالصحفي، فإن هذا الأخير حذر مبكراً من خطر الانحراف وتأليه عبد الناصر. كتب هيكل مقالا أثار ضجة كبيرة لدى القيادات الناصرية سماه "عبد الناصر ليس أسطورة" ونشره في ركن بصراحة في الأهرام في 6 نوفمبر 1970 قال فيه "إن اليوم يوافق ذكرى الأربعين بعد رحيله... ويخطر ببالي أن هناك أشياء يجب أن تقال في هذه المناسبة، بعضها موصول بذكراه نفسها، وجلالها، وكمالها، والبعض الآخر موصول بما بعد الذكرى من ضرورات وضمانات.

وأبدأ الآن بالنصف الأول مما يجب أن يقال، وما هو موصول بالذكرى نفسها، وجلالتها، وكمالها، على أن يجيء في حديث آخر، ما هو موصول بما بعد الذكرى من ضرورات وضمانات.

وأريد أن أقول الآن ما يلي:

---

22 ـــ من حوار طويل بين هيكل وصلاح منتصر، مجلة "أكتوبر" المصرية، عدد 608، السنة الثانية عشر، 19 يونيو 1988.

- أولاً: إنه ليس من حق أحد بيننا، أن تراوده ـ على نحو أو آخر، بقصد أو بغير قصد ـ فكرة تحويل جمال عبد الناصر إلى أسطورة...

إن الحب الزائد له، والحزن الزائد عليه ـ وكلاهما في موضعه ـ يمكن لهما أن يدفعا بالذكرى دون أن نشعر إلى صلب الأساطير.

كما إن بعضنا قد يتصور لأسباب شتى أن ذلك متطلب أو مطلوب...

والحقيقة أن هذا كله مهما كانت دوافعه يضع جمال عبد الناصر في غير مكانه الصحيح.

إن الأسطورة تشتمل على إيحاء غيبي، كما إنها تحمل لمسة مما وراء الطبيعة، وليس من ذلك كله أثر في جمال عبد الناصر.

ولقد كان أعظم شيء في جمال عبد الناصر، أنه كان حياة إنسانية زاخرة، عاشت على الأرض، وبين الناس، وتحت أشعة شمس مصر الباهرة.

وكان أكثر ما ينفر منه جمال عبد الناصر في حياته، هو عبادة الفرد، ولهذا فإنه ليس من حق أحد بعد الرحيل أن يجعل منه إلهاً معبوداً في هرم آخر على أرض مصر.

إن جمال عبد الناصر لا يسعده أبداً أن يجد نفسه تمثالاً شاهقاً من الحجر، وإنما يسعده أن يظل دائماً مثالاً نابضاً للإنسان...

لحم ودم... إرادة وأمل... عقل وعاطفة... قرارات فيها الصواب وفيها الخطأ، وأحسب أن جمال عبد الناصر هو واحد من القلائل الكبار في عالمنا وعصرنا الذين واتتهم الشجاعة لكي يقفوا أمام الملايين يتحدثون بأمانة ورجولة عن التجربة والخطأ.

ولو أردت أن أستعمل أسلوب المجاز، لقلت:

"لا يجب أن تصبح ذكرى جمال عبد الناصر جداراً نقف أمامه في خشوع ورهبة، وإنما يجب أن تصبح ذكرى جمال عبد الناصر أجمل المروج الخضراء في حياتنا، نذهب إليها بالحنين والمحبة، ونحس فيها بالصفاء الروحي والذهني، شاعرين أننا في جوها النظيف والطاهر على صلة وجدانية بالضمير الوطني والقومي لشعبنا وأمتنا."

أقصد أن ذكرى جمال عبد الناصر لا يجب أن تتحول إلى تراث ــ أو إرث ــ نعيش عليه، ولكنها يجب أن تبقى قيمة نعيش معها...

قيمة لا نقف أمامها بالصمت ولكن ندخل معها في حوار مستمر... لا نصلي لها، ولكن نفكر فيها.

وأعتقد مخلصاً أن جمال عبد الناصر كان يقول بذلك، لو كان قد أتيح له أن يبدي رأيه فيه.

كان ــ كما قلت ــ ينفر من عبادة الفرد، أو على الأقل لا يستسيغ المنطق الذي تستند إليه، مهما كانت مبرراته، وأذكر في ذلك وقائع كثيرة، تشير كلها إلى ذلك اليقين لديه.

كانت هناك تجارب يقدرها حق قدرها، ويعجب بما حققت أشد الإعجاب، لكنه كان يصل إلى نقطة تقديس الزعيم فيها، ويقول :

ــ لا أعرف لماذا تورطوا في مثل ذلك، إنه ليس خطأً في فهم دور الفرد فحسب، ولكنه يمكن أن يشكل عقبة أمام التطور أيضاً، لأنه يعطي للأموات وصاية على الأحياء... وليس ذلك إنصافاً، لا للأموات، ولا للأحياء".

وفي الذكرى السنوية الأولى لوفاة عبد الناصر تصدى هيكل لكل من حاول النيل من الزعيم الراحل وكتب مقاله بصراحة تحت عنوان (عبد الناصر الرجل... والرمز) ونشره في الأهرام في عدد 28 سبتمبر 1972 وقال فيه :

"لا أعتقد أن هناك شيئاً يشهد لجمال عبد الناصر ولدوره التاريخي، بمثل ما تشهد به هذه الحملة عليه وعلى فكره وعلى عمله ــ وهى حملة ما تزال عنيفة، وما تزال ضارية، وما تزال مستمرة!

...الرجل هناك في رحاب الله منذ عامين، ومع ذلك فهو ما يزال حتى هذه اللحظة ــ وإلى زمان طويل ــ رأياً في كل حادث، وموقفاً في كل قضية، والتزاماً حيال أي مبدأ.

ومن هنا الحملة عليه.

هو الغائب الحاضر، هو البعيد ولكن ظله يملأ الساحة كلها، وهذا هو سره، كما هو سر غيره من الذين تجاوزت حياتهم حدود أشخاصهم؛ فإذا هم يصبحون تعبيراً تاريخياً عن شعوب وأمم، وفترات بعينها ومراحل على مسيرة التقدم الوطني والقومي والإنساني العام.

مثل هؤلاء تصبح حياتهم في التاريخ ومضات صدق لا يخبو ولا يشحب ضوؤها، ويصبح اسم أي واحد فيهم ــ مجرد اسمه ــ رمزاً يشير إلى كثير، بعضه محقق وظاهر وبعضه مستتر في الضمائر، بعضه خرج إلى الوجود، وبعضه يبحث عن طريق للخروج.

مزيج غريب من الأحلام والرؤى، والمنجزات والمعجزات، والآمال التي تجيش في الصدور وتحرك الهمم وتفجر الطاقات.

وهكذا فإن الحملة على واحد من هؤلاء لا تتوقف مع توقف دقات قلبه، وإنما هي تستمر بعد ذلك ولا تسكت؛ لأنها تطارد ما هو أكبر من فرد باسمه...

تطارد الرمز.

القيمة الكبرى لجمال عبد الناصر ــ والتفسير الحقيقي لحجم الحملة الضارية عليه بعد رحيله ــ أنه كان واحداً من هؤلاء.

كانت حياته تعبيراً عن صدق هذه الأمة العربية مع نفسها، ومع تاريخها، مع عالمها المعاصر، ومع التطور الإنساني العام.

لذلك أصبح في حياته دوراً، وتحول بعد رحيله إلى رمز، وفي الحالتين ـ الحياة والرحيل ـ كان خطراً لابد من وقفه ولا بد من رده، ولا بد من حصره تمهيداً لتصفيته.

وهذه هي المحاولة التي نراها على الأرض العربية الآن، ومنذ 28 سبتمبر سنة 1970 وحتى اليوم! ".

الفصل الثاني

هيكل – العهد الناصري:

الموقع السياسي

لم يعرف عن هيكل، طيلة حكم عبد الناصر، أنه تولى منصباً خطيراً في أي من الوزارات المتعاقبة، حيث لم تتجاوز المسألة بضعة أشهر عين فيها وزيراً للإعلام مرة ووزيرا للخارجية مرة أخرى، وكان طوال الفترة مهتماً بموقعه في مؤسسة "الأهرام" مدعماً له، مطوراً لمؤسسته... لكن رغم ما يبدو على السطح من أن الرجل عازف عن العمل السياسي، فإن عمق الأحداث والوقائع يبين أن هيكل كان في قلب العمل السياسي، يؤثر في القرار تارة من بعيد وينفذ القرار أو يتولى مسؤوليته تارة أخرى من قريب... وفي كل الحالات كان له أكثر من دور سياسي.

1 ـ أدوار سياسية

ربما أهم دور قام به هيكل في حياة عبد الناصر السياسية يتمثل في كتابة خطب الرئيس التي يلقيها في المناسبات العامة أو الخاصة.

وحقيقة، تعد دراسة خطب عبد الناصر موضوعاً مستقلاً بحد ذاته، لكن بدون التعمق في هذا المنحى، فإن المميز الأول لها هو ذلك السحر في اللغة والتركيب والأسلوب، في تلك المهارة الفائقة في تصفيف الكلمات، وفي اختيار عبارات شاعت من مصر إلى الوطن العربي، وكان لهيكل الفضل والمسؤولية الأولى في صياغتها.[1] ويعترف عبد الناصر نفسه بهذا الدور فقد قال مرة لضياء الدين داوود "إن هيكل هو أكفأ من ارتبط بي في دقة التعبير عن أفكاري، فهو حين يصوغ أفكاري، يكون قد التزم التزاماً كبيراً وأميناً بها".[2]

وكان عبد الناصر "يسجل أفكاره كتابة ويناقشها مع هيكل الذي يأخذها بدوره ويكتبها، فيصححها عبد الناصر بخطه وتأخذ صورتها النهائية".[3]

ويؤكد هذا الرأي سامي شرف، مدير مكتب عبد الناصر للمعلومات، قائلا: "صياغة الخطب كانت تتم على النحو التالي: الرئيس يفكر، ويضع نقاطاً للخطاب، ثم يستدعي هيكل، ويجلسان مع بعض يناقشان فيها، ثم يصيغها هيكل... وهذا شيء طبيعي لأنه لم يوجد رئيس يكتب خطبه دائماً بنفسه".[4]

وبالتأكيد لم تكن كتابة خطابات الرئيس هي الدور السياسي الوحيد الذي قام به هيكل، ذلك لأنه لعب أدواراً أساسية أخرى مبكراً منذ بداية الثورة، فهو مثلاً، عندما كان في طريقه إلى الولايات المتحدة لتغطية انتخابات الرئاسة الأمريكية في شهر نوفمبر 1952 بين الجنرال "دوايت إيزنهاور"

---

1 ــ يمكن تقديم بعض هذه الامثلة من هذه الصياغات "خسرنا معركة ولم نخسر الحرب"، "ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة"، "النكسة، وليس الهزيمة"، "سقوط مراكز القوى"، إن الدارس لخطب عبد الناصر سيكتشف الكثير من هذه العبارات وما شابهها.

2 ــ ضياء الدين داوود، مقابلة خاصة مع الباحث، مرجع سابق.

3 ــ المرجع السابق.

4 ــ سامي شرف، مقابلة خاصة مع الباحث، مرجع سابق.

مرشحاً عن الحزب الجمهوري والمستر "ادلاي ستيفنسون" مرشحاً عن الحزب الديمقراطي... قابل عبد الناصر قبل سفره وقال له: "وأنت في واشنطن أريدك أن تتابع من الناحية السياسية عملية صفقة الأسلحة الموعودة لمصر... إن علي صبري سوف يتولى من الناحية العسكرية وأريدك أن تتابع الناحية السياسية في المسألة.

إنك سوف تقابل كثيرين بحكم عملك الصحفي، كما أن كثيرين سوف يحاولون الاتصال بك بحكم معرفتهم بالصداقة بيننا، ثم إنك تعرف هناك كثيرين من الصحفيين والساسة".[5]

ولم يكن عبد الناصر وحده الذي يطلب من هيكل أداء بعض المهمات السياسية، وإنما هناك أطراف أخرى تطلب منه بعض المهمات لمعرفتهم بعلاقته الوطيدة مع عبد الناصر. فمثلا "في صباح الثلاثاء 27 سبتمبر 1955، تحديدا في الساعة الواحدة والثلث صباحاً رن جرس هاتف هيكل، وكان المتكلم هو "إيكلبرجر" الوزير المفوض في السفارة الأمريكية.

سأله هيكل لماذا يوقظه في هذه الساعة فماذا حدث؟ فقال له الأمر جد خطير، هل عقدتم صفقة أسلحة مع الاتحاد السوفيتي؟

فقال هيكل: وما يهمه في الأمر، وهو يخص بالدرجة الأولى العسكريين.

وقال إيكلبرجر: محمد... الموضوع جد... الموضوع خطير... وهو بالغ الخطورة وهو لا يتصل بالعسكريين كما تقول ولكنه قرار سياسي، وطلب منه أن يتصل فوراً بالرئيس وينصحه بالانتظار لأن هناك رسولاً موفداً من الرئيس الأمريكي".[6]

---

5 ـــ محمد حسنين هيكل، **قصة السويس، آخر المعارك في عصر العمالقة**، مصدر سابق، ص 71.

6 ـــ المصدر السابق، ص 82.

وكان عبد الناصر قد استشار هيكل في رأيه بتأميم قناة السويس، فرد هيكل "مسألة كبيرة وخطيرة... كبيرة جداً وخطيرة جداً".[7]

كذلك، اتصل عبد الناصر بهيكل يوم 30 أكتوبر 1956، وطلب منه أن يتوجه إلى مقابلة السفير الأمريكي "ريموندهير" وينقل إليه على لسان الرئيس أن "طائرة بريطانية من طراز "كانبيرا" حلقت قبل ساعة فوق منطقة بحيرة (البردويل)، ومن الواضح أنها كانت تحاول القيام بعملية استطلاع فوق أرض المعركة، وأن مثل هذا التصرف مثير للشكوك والريب".[8]

وفيما بعد، سافر الدكتور محمود فوزي (وزير الخارجية) إلى نيويورك، ولحق به هيكل بعد أيام قليلة يتابع عرض قضية قناة السويس على مجلس الأمن. وعاش أيامه ولياليه كلها لأكثر من أسبوعين في أروقة وكواليس وقاعات الأمم المتحدة.[9]

وهذه ليست إلا مجموعة من النماذج التي قام فيها هيكل بأدوار سياسية خاصة بين عبد الناصر والطرف الأمريكي، ورغم بعض الإشارات التي ظهرت هنا وهناك تتساءل عن حقيقة علاقة هيكل بالمصالح الأمريكية، فإن أحد الكتاب يرد على هذه الإشارات بقوله: "كان هيكل مخلصاً لعبد الناصر، وكان ولاءه له لا لأمريكا، لأنه لعب دوره بمهارة وأمانة وأنه نجح في خداع أمريكا وهذا ما ثبت لعبد الناصر..."[10]

---

7 ــ المصدر السابق، 121.

8 ــ المصدر السابق، ص 229.

9 ــ المصدر السابق، ص 174.

10 ــ حسنين كروم، **عبد الناصر بين هيكل ومصطفى أمين**، مرجع سابق، ص ص 65-66.

كما قام هيكل بوساطة بين اليسار الماركسي والرئيس عبد الناصر. حيث يقول لطفي الخولي: "وكان عبد الناصر قد شرع بالفعل منذ أواخر العام 1960 بالإفراج تباعا عن عدد من الشخصيات الماركسية وفي إطار تجربة (الحوار والتعاون) أنشئت صفحة "الرأي" في جريدة "الأهرام" التي كان يتولى رئاسة تحريرها محمد حسنين هيكل الذي لعب دوراً في مد الجسور بين عبد الناصر واليسار الماركسي".[11]

وفي مرات قليلة، يتولى هيكل مهمة وزير. فقد قال عبد الناصر ذات مرة لهيكل: "أنت تفلسف هذه المسائل وأنت صحافي خارج الدائرة، امسك الوزارة وفلسفها من الداخل وأنت وزير". ومن ثمة، أمر عبد الناصر مدير مكتبه سامي شرف بأن يذيع قرار تعيين محمد حسنين هيكل في الوزارة (الإرشاد القومي)، وفوجئ هيكل بالقرار..."[12]. كما قام هيكل في يوليو – أغسطس 1970 بمهام وزارة الخارجية.[13]

كما يعتقد البعض أن هيكل بذل "جهداً مباشراً في إقناع الرئيس بتسليم أنور السادات منصب نائب الرئيس".[14] وإذا كان ذلك صحيحا، فإنه يصبح أهم الأدوار السياسية التي قام بها هيكل طيلة فترة حكم عبد الناصر... ورغم هذه الأدوار، فإن ما يتضح هو أن الرجل كان غالباً ما يرفض المنصب التنفيذي المباشر، وفي الآن نفسه يقبل على لعب أدوار سياسية خاصة يكلفه بها عبد الناصر، ولا تلزمه بمسؤولية دائمة. ويؤكد

---

11 – لطفي الخولي، "مدرسة السادات السياسية... واليسار المصري"، نقلا عن مجلة **"الوطن العربي"** الباريسية، السنة الخامسة، عدد245، من 22 إلى 29 أكتوبر 1981.

12 – سامي شرف، مقابلة خاصة، مرجع سابق.

13 – محمد حسنين هيكل، **وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي**، مصدر سابق، ص 214.

14 – محمد باقر شري، "عبد الناصر مات أو أميت"، مجلة، **"الشراع"**، اللبنانية، الحلقة الرابعة، السنة الخامسة، العدد 251، 5 يناير 1987.

هذا المعنى وزير الإعلام السابق الأستاذ محمد فائق في قوله: "الذي أعرفه أن هيكل كان قاطعاً في هذا الموضوع، فهو لا يريد الموقع التنفيذي. ويعتقد أن تأثيره كصحفي أكبر من تأثيره كسياسي في موقع، وأنا أول من أبلغه بتعينه وزير الإعلام، ولم يكن سعيداً بهذا الخبر... رغم أنه عمل أيام عبد الناصر من أجل أن يكون قريباً منه. ولكن لا أعتقد أن ذلك كان من أجل السلطة".[15]

وربما يكون هذا الأمر، من أهم الأسباب التي دفعته إلى الصدام مع أجهزة الحكم.

3 ــ العلاقة مع أجهزة الحكم

تميزت علاقة هيكل بأجهزة الحكم في (الجمهورية العربية المتحدة) بالتوتر حيناً والصراع المباشر أحياناً أخرى. وطفح الصراع أكثر من مرة وبقوة على مستوى العلاقة بأجهزة الأمن والمخابرات، والعلاقة مع الاتحاد الاشتراكي (التنظيم السياسي الحاكم) وتنظيمه الطليعي.

لقد "وقع خلاف بين "الأهرام" وهيئة المخابرات العامة عندما صدرت "الأهرام" يوم 13 أكتوبر 1968 وفيها مقال افتتاحي في الصفحة الأولى تحت عنوان (واقعة خطيرة) يتحدث عن اعتقال نيابة أمن الدولة والمخابرات لمدير مركز الدراسات الاجتماعية والاقتصادية بالأهرام نتيجة بلاغ من اللواء جمال عسكر مدير الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء الذي اعتبر أن مدير مركز الأهرام قد خالف القانون بتبليغه معلومات محظورة إلى إحدى الشركات اليابانية.

---

15 ــ محمد فائق، مقابلة خاصة، مرجع سابق.

وقد أثارت "الأهرام" اعتراضات شتى على سلطة الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء وعلى أسلوب الاعتقال و(زوار الفجر) وعلى عدم وجود حدود مرسومة لجهاز المخابرات، مطالبة بأن يكون الحبس الاحتياطي والاعتقال في أضيق نطاق ومحاط بكافة الضمانات.

وكانت هذه أول مقالة تهاجم علنا وصراحة جهاز المخابرات... وهو أمر ما كان يمكن أن يحدث بهذه الصورة قبل الهزيمة".[16]

وفي مناسبة أخرى، سجلت أجهزة الأمن حديثاً دار في شقة لطفي الخولي، رئيس تحرير "الطليعة" ونوال المحلاوي، السكرتيرة الشخصية لهيكل، وهما يتبادلان مع بعض الأصدقاء حديثاً منسوجاً ببعض السباب... وأصدر عبد الناصر أوامر باعتقال لطفي الخولي وزوجته ونوال المحلاوي... واستمر الاعتقال عدة شهور...

وكان ذلك الإجراء صدمة لهيكل، وإضعافاً لمركزه. فهو لم يستطع أن يفعل شيئاً للمعتقلين وهم من أقرب الناس إليه..."[17]

كذلك كان الصراع عنيفاً بينه وبين قيادة (الاتحاد الاشتراكي) فهيكل "لم يكن مقتنعاً فيما يبدو بالالتزام الحزبي... وربما كان راضياً عن صيغة الاتحاد الاشتراكي دون أن يكون له فيها دور. لم يكن يؤرق هيكل سوى أن يكون بعيداً عن تدخلات الجهاز السياسي... وألا يكون لأفراد من الخارج نفوذ على بعض العاملين فيه حتى ولو كان نفوذاً سياسياً.

ونتيجة لهذا الموقف... فإنه عندما تقرر دمج الفروع التي بدأ بها تنظيم طليعة الاشتراكيين، فإن محمد حسنين هيكل لم يكن في قيادة هذا الجهاز...

---

16 ــ احمد حمروش، "زيارة جديدة لهيكل"، الحلقة الثالثة، مجلة، "**روزاليوسف**"، المصرية، عدد 8 -12- 1986.

17 ــ احمد حمروش، "زيارة جديدة لهيكل"، الحلقة الرابعة، مجلة، "**روزاليوسف**"، المصرية، عدد 22-12-1986.

هل كان هذا الموقف تعالياً من محمد حسنين هيكل... أم اعتماداً زائداً على الزعيم... أو فقدان ثقة بالتنظيم... أو ضيق وقت للعطاء السياسي... أو رغبة جارفة في أن يظل حراً طليقاً يكتب ما يشاء دون ضغط أو إلزام".[18]

لقد "كان هناك تنافر ـــ أكيد ـــ في وجهات النظر بين هيكل وقيادات الاتحاد الاشتراكي. برز ذلك أولاً في فكرة إنشاء (المجلس الأعلى للصحافة) التي اقترحها علي صبري لتكون (جميع) الصحف تابعة لتنظيم خاص يطلق عليه هذا الاسم في الاتحاد الاشتراكي.

اعترض هيكل على ذلك اعتراضاً شديداً فلم يكن يريد للأهرام أن يذوب في تنظيم يضم صحفاً أخرى تكون تابعة للجهاز السياسي... واقترح بدلاً من ذلك أن يكون هناك ما يشبه الاتحاد لمناقشة مشاكل الصحافة الإدارية من ناحية الورق والتوزيع. لم يظهر هذا الخلاف على مسرح الأحداث... بقي موضوع حوار في الكواليس وانتهى الأمر إلى مواجهة في حضور جمال عبد الناصر الذي لمس عناد هيكل وإصرار علي صبري، فاقترح أن تبدأ التجربة في جريدة "الجمهورية"، فإذا نجحت عمت في بقية الصحف الأخرى.

وبدا علي صبري يكتب تعليقات يومية في جريدة "الجمهورية" اعتبرها البعض جانحة لليسار إلى حد بعيد".[19]

وانتهت "خلافات هيكل مع الاتحاد الاشتراكي إلى قرار تعيين محمود أمين العالم رئيساً لمجلس إدارة أخبار اليوم. وعادت بذلك إلى علي

______

18 ـــ احمد حمروش، "زيارة جديدة لهيكل"، مجلة، "**روزاليوسف**"، المصرية، عدد 1-12-1986.

19 ـــ احمد حمروش، "زيارة جديدة لهيكل"، الحلقة الرابعة، مجلة، "روز **اليوسف**"، المصرية، عدد 22-12-1986.

صبري مسؤولية الإشراف على الصحف وتوجيهها بصفته أميناً عاماً للاتحاد الاشتراكي.

وبدأت الخلافات تظهر على خشبة المسرح في هذه الصراعات الفكرية التي ظهرت على صفحات الصحف".[20]

وأصبح "عدد من السياسيين مثل ضياء الدين داوود والدكتور محمد أنيس وعبد الهادي ناصيف، يكتبون في جريدة "الجمهورية" مقالات مضادة للآراء التي ينشرها هيكل في الأهرام".

تراشق الآراء كان يعتبر أمراً جديداً في حياة الثورة... ومظهر من مظاهر الانفتاح النسبي الذي فرضته الهزيمة.

كان محمد حسنين هيكل قد أصبح الآن معرضاً لكلمات ومقالات النقد... بل أن لجان الاتحاد الاشتراكي لم تكن تتورع عن مناقشة مقالات هيكل أسبوعياً ومعارضة ما فيها من اتجاهات اعتبرها البعض مؤامرة على صلابة الجبهة الداخلية، ومضعفة للروح المعنوية، وباعثة على ممالأة حكومة الولايات المتحدة تحت شعار (محاولة تحييد أمريكا).

ولم يكن هذا الصراع العلني أمراً يمكن أن يمضي بغير دلالة... فمحمد حسنين هيكل قريب من جمال عبد الناصر إلى الحد الذي لم يكن خافياً على أحد. ومقالاته في مضمونها إن لم تكن معبرة عن عبد الناصر شخصيا فهي بمثابة مجس يتعرف على حقيقة نبض المجتمع وردود الفعل فيه.

ولذا طفا الخلاف بين الاتحاد الاشتراكي ومسئوله القوى علي صبري وبين محمد حسنين هيكل على السطح... وأصبح بينهما مشهداً تتابعه الجماهير المرتبطة بالسياسة وتعلق عليه".[21]

---

20 ــ احمد حمروش، "زيارة جديدة لهيكل"، الحلقة الثانية، مجلة، "**روزاليوسف**"، عدد 8-12-1986.

ويعلق ضياء الدين داوود على هذا الصراع قائلا: "إن المجموعة القريبة من جمال عبد الناصر والتي كانت تتولى تسيير الاتحاد الاشتراكي ومنظمة الشباب والمنظمات السياسية، كانت تسبب لها مقالات هيكل بعض المشاكل فكانوا يختلفون معه.

وكانت تقع اجتماعات للاتحاد الاشتراكي تهاجم مقالات هيكل ومناقشاته... في نهاية الأمر خلق هذا الجو ما يمكن تسميته بالصراع بين هيكل وهذه المجموعة وخاصة المجموعة العسكرية".[22]

وربما كانت أهم الأسباب لهذا الصراع رفض هيكل الدائم الانضمام إلى التنظيم السياسي الحاكم. فهو يقول: "اعتذرت عن الانضمام إلى التنظيم الطليعي باستمرار، ليس عن عدم إيمان بأهمية التنظيم، وإنما عن اعتقادي بأن أي صحفي أو كاتب لا يستطيع أن يخضع فكره لضوابط تنظيم وإلا فقد استقلالية رأيه إلى أقصى حد ممكن. وقد سبب لي هذا الموقف مشاكل لا حدود لها مع كل مستويات التنظيم في الاتحاد الاشتراكي وقتها".[23]

ولكن الدكتور إبراهيم سعد الدين يقول: "...وانضممت بعد ذلك لمجموعة التنظيم الطليعي بالأهرام بجوار هيكل مع لطفي الخولي ودكتور إبراهيم الشربيني، ودكتور عبد الرازق حسن ودكتور محمد الخفيف".[24]

ويوضح احمد حمروش المسألة قائلاً: "ولكنه لم يكن يحتل موقعاً رئيساً في التنظيم السياسي، حيث كانت تدور بعض الأحداث، وتطبخ بعض القرارات.

---

21 ــ احمد حمروش، "زيارة جديدة لهيكل"، المرجع السابق.

22 ــ ضياء الدين داوود، مقابلة خاصة، مرجع سابق.

23 ــ محمد حسنين هيكل، **بين الصحافة و السياسة**، مصدر سابق، ص 288.

24 ــ من شهادة الدكتور ابراهيم سعد الدين ، نقلا عن أحمد حمروش، **شهود ثورة يوليو**، الجزء الرابع، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية، القاهرة 1984، ص 22.

وكان موقف محمد حسنين هيكل من الاتحاد الاشتراكي معروفاً... لم تكن عنده حرارة الالتزام بالتنظيم السياسي... هكذا لم يكن هيكل عضواً قيادياً في هيئة التحرير أو الاتحاد القومي... ولم يكن كذلك في الاتحاد الاشتراكي رغم أنه هو الذي صاغ الميثاق ولكن هيكل كان أحد الذين بادر جمال عبد الناصر بتكليفهم بتكوين عدد من الخلايا التنظيمية عندما فكر في تشكيل (طليعة الاشتراكيين) بعد عام من صدور الميثاق... كان واحداً من الذين انتقاهم جمال عبد الناصر وكلف كل واحد منهم ممن يثق في إخلاصه لبناء المجتمع الاشتراكي".[25]

وكانت خلفية نقد هيكل المتواصل لتنظيم "الاتحاد الاشتراكي" تعتمد حسب رأيه على "إيمانه بصيغة التحالف وإلحاح على أن مهمة التنظيم الشعبي هي أن يستولي على السلطة بقوة الجماهير وعملها الديمقراطي، وأن الخطر يجيء حين تقع التنظيمات في الخلط، فإذا هي بدل أن تستولي بالجماهير على السلطة تستولي بالسلطة على الجماهير".[26]

أيضا "إن الاتحاد الاشتراكي يحاول أن يكون حكومة فوق حكومة أو حكومة إلى جانب حكومة، وهذا يصنع ازدواجية في السلطة ".[27]

كذلك "إن الاتحاد الاشتراكي أغرق نفسه في متاهات فكرية تعبر عن أشخاص ولا تعبر عن فكر جماعي".[28]

ثم، "إن التنظيم السياسي يتعرض لمخاطر شديدة عندما يولد في أحضان سلطة الدولة ويتصور تلقائياً وفورياً أنه المعبر عن كل جماهير

---

25 ــ احمد حمروش، "زيارة جديدة لهيكل"، مجلة **"روز اليوسف"** المصرية، عدد 1- 12 .1986

26 – محمد حسنين هيكل، **وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي**، مصدر سابق، ص ص 262 –263.

27 ــ المصدر السابق، ص 263.

28 ــ المصدر السابق، ص 263.

الشعب، وبالتالي فهو قائدها بغير منازع، ومن هناك فهو يقع في خطأ لا يقل خطورة عن خطأ الحق الإلهي عند الملوك ".[29]

لقد كتب هيكل مقالات كثيرة تمس موضوعات التجربة الديمقراطية وضرورتها وضوابطها وقضايا حرية التعبير الديمقراطي والحراسات والمعتقلات... والدعوة إلى مجتمع مفتوح... والدعوة لإسقاط مراكز القوى.. وشرح لأهمية وضرورة المجتمع المفتوح... وشرح لخطورة تجاوزات التنظيم السياسي " الاتحاد الاشتراكي ".. وضرورة احترام أحكام القضاء.. وتأكيد حرية البحث العلمي في الجامعات.. وبعض هذه القضايا تناوله منذ سنة 1964[30].

كما حلل هيكل إشكالية الاتحاد الاشتراكي وعلاقته بالجماهير في مقاله بصراحة الذي جاء تحت عنوان (الحديث عن الاتحاد الاشتراكي الآن) ونشره في الأهرام في 1 نوفمبر 1968، وقال فيه: "إلى أي مدى يعبر الاتجاه والقرار عن الجماهير العريضة خارج مباني الاتحاد الاشتراكي ... في الحقول والمصانع، في البيوت والمكاتب، في الشوارع والحواري؟ هذه هي المسألة.

تستطيع الشعارات أن تدوي حتى يصل صداها إلى السماء، وتستطيع اللجان أن تواصل طحن الهواء كل ليلة حتى الفجر، وتستطيع الشلل أن تمضى في لعبة الاستغماية إلى ما لا نهاية، ولكن...

إلى أي مدى تعبر محصلة هذا كله عن الجماهير في مواقع عملها وعيشها؟ وبصورة أخرى فليس المهم ما يجري في مباني الاتحاد الاشتراكي نفسها، وإنما الأهم هو تأثير ما يجرى في هذه المباني على الناس خارجها وقدرته على أن يعبر عنها.

---

29 ـــ المصدر السابق، ص 263.

30 ـــ محمد حسنين هيكل، **وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي**، مصدر سابق، ص ص 253-254.

وإذا حصر الاتحاد الاشتراكي نقطة تركيزه داخل مبانيه فهو يعبر عن نفسه. وإذا اتسعت نقطة التركيز ومدت تأثيرها إلى الخارج فهو يعبر عن الجماهير.

ونلخص ذلك كله في عبارة واحدة :

ــ إذا استطاع الاتحاد الاشتراكي ــ أو أي تنظيم سياسي في أي بلد من البلدان ــ أن يعبر... إذن، فهو موجود... وإذن، فهو يقود.

وإذا لم يستطع أن يعبر... إذن، فهو لا يقود... بل هو غير موجود!

وتتفرع من هنا قضية خطيرة، هي قضية: من هي الجماهير؟

هل الجماهير هي مجموعة الناس الذين تتكون منهم لجان الاتحاد الاشتراكي على كل المستويات؟ هل الجماهير هي آلاف الناس الذين تصلهم بطاقات الدعوة إلى حضور اجتماعات الاتحاد الاشتراكي؟ أو هل الجماهير هي الملايين ممن يحملون بطاقة عضوية الاتحاد الاشتراكي ويخرجونها من جيوبهم لأي سائل عنها؟

إن الذين يحضرون اللجان قلة قليلة، والذين تصلهم بطاقات الدعوة عدد محدد، وبطاقات عضوية الاتحاد الاشتراكي في الجيوب ليست دليلاً على الاقتناع الكامل بقدر ما هي استيفاء لورقة، ظن كثيرون أنها مطلوبة للتسهيل أو التشغيل في غمرة الزحام.

وإنما الجماهير محيط أوسع من ذلك وأعرض وأعمق.

ولم يقم في التاريخ كله تنظيم سياسي يضم كل الجماهير في وطنه.

وفي العالم المعاصر أمام عيوننا فليس هناك تنظيم يدعى ــ حتى مجرد ادعاء ــ أنه يفعل ذلك.

...ولقد لمس جمال عبد الناصر قضية "الوسط العريض الصامت" لمساً دقيقاً ونفاذاً في مناقشة اشترك فيها أخيراً في اجتماع اللجنة المركزية.

كان يتحدث عن مسألة التفرغ وقال من بين ما قاله إن هذه المسألة أثارت في تنظيم الاتحاد الاشتراكي في ظروف سابقة حساسيات شديدة كما أنها أثارت أسباباً للنقد ليست بغير أساس.

وكان اتجاه جمال عبد الناصر إلى أنه مهما كانت الحاجة إلى التفرغ لأعمال التنظيم السياسي فإنه لابد من أن يظل مبدأ التفرغ في أضيق الحدود وحيث تكون الحاجة إليه ماسة وفى هذه الحالة فلا يكون للمتفرغ إلا مرتبه العادي من عمله الطبيعي قبل التفرغ.

واستطرد جمال عبد الناصر من هذا المدخل إلى قضية "الوسط العريض الصامت" فقال: "لابد أن تضعوا في اعتباركم دائماً وفي كل الظروف أن هناك طرفاً ثالثاً يرقب كل تصرفاتكم ويستنتج منها ما يشاء. أنتم هنا طرف... وأعداء النظام الاجتماعي والسياسي الذي تمثلونه، والمخالفون له والمتشككون فيه طرف آخر.

وأما الطرف الثالث فهو جبهة عريضة من الجماهير الواسعة.

وأنتم هنا أقلية... والآخرون أقلية، والصراع محتدم بين الأقليتين أيهما يحسن التعبير عن نفسه وأيهما ينجح في عرض وجهة نظره؟

من يحسن وينجح فإن حركة هذه الجماهير تنحاز إليه ومع أنكم الأصدق ولاءً والأخلص خدمة فإن هذه الجماهير قد تتجه إلى غيركم إذا لم تستطع أن تقتنع بكم ومن هنا فواجبكم أن تقنعوها دائماً وأن لا تملوا من محاولة الإقناع مهما كان في ذلك من عنت عليكم. لا يكفي أن تكونوا مؤمنين بما تقولون. وإنما من الضروري أن تنقلوا إلى هذه الجماهير الإحساس بأنكم تؤمنون بما تقولون وتتصرفون وفق ما يقتضيه".

... وهذه مجموعة أهم المقالات التي انتقد فيها مراكز القوى وضعف الجبهة الداخلية. ونشرت جميعا في صحيفة " الأهرام".

1 ـــ "علامات – إلى أين من هنا... وإلى أين بعد الآن ؟" بتاريخ 30-6 – 1967.

2 ـــ "علامات في الموقف الداخلي ـــ تفويض للتغيير.."، 28 – 7-1967.

3 ـــ "الجبهة الداخلية هي هدف الهجوم الأصلي للعدو، بقية للحديث عما تريده الولايات المتحدة الأمريكية منا الآن..."، 11 – 8 – 1967.

4 ـــ "الجبهة الداخلية"، 17 – 11 – 1967.

5 ـــ "ليس بالحسم وبالحزم.. ولكن بالعمل السياسي"، 19 – 4 – 1968.

6 ـــ "هل تحقق التغيير ؟"، 11 – 10 – 1968.

7 ـــ "واقعة خطيرة"، 13 – 10 – 1968.

8 ـــ "المجتمع المفتوح"، 18 – 10 – 1968.

9 ـــ "كيف تنشأ مراكز القوة ؟"، 25 – 10 – 1968.

10 ـــ "حديث عن الاتحاد الاشتراكي الآن"، 1 – 12 – 1968.

11 ـــ "قضايا للتفكير والمناقشة حول عمل الاتحاد الاشتراكي في هذه المرحلة، المعنى الحقيقي لكل ما تكشف بعد النكسة"، 8 – 11 – 1968.

12 ـــ " قضايا للتفكير والمناقشة حول عمل الاتحاد الاشتراكي عن التجربة... عن الديمقراطية في زماننا "، 15 – 11 – 1968.

13 ـــ "الثورة... والثورة المضادة "، 20 – 12 – 1968.

14 ـــ "أزمة الشك في الصحافة المصرية"، 20-12- 1968[31].

31 ـــ المصدر السابق، ص 264-265-266.

3 ـ الموقع من خريطة "التكتلات"

شهد الحكم "الناصري" في مصر، طيلة الستينات، استقطاباً بين "كتل سياسية" مختلفة، خاضت فيما بينها صراعاً خفياً تارة وعلنياً تارة أخرى. وهو صراع يؤكد حقيقة أساسية في علم السياسة، وهي أن أي مؤسسة سياسية ـ والدولة أقوى هذه المؤسسات ـ تعيش صراعاً مزدوجاً، صراعاً خارجياً مع خصوم تحددهم، وصراعاً داخلياً فيما بينها، وشهد التاريخ تجارب عديدة تؤكد هذا الرأي، مثل صراع ستالين ـ تروتسكي، صراع ماوتسي تونغ ـ دنغ هسياو بنغ... بل حتى صراع علي بن أبي طالب من جهة ومعاوية بن أبي سفيان من جهة ثانية.

وعلى حد تعبير أستاذ علم السياسة موريس دوفرجيه: "يجري الكفاح (الصراع) السياسي على مستويين: يجري من جهة بين أفراد وطبقات تتصارع للحصول على السلطة أو للمشاركة فيها أو التأثير عليها، ويجري من جهة أخرى بين السلطة التي تحكم والمواطنين الذين يقاومونها.

إن السلطة، في جميع الجماعات الإنسانية وحتى في المجتمعات الحيوانية، تهيئ للذين يملكونها منافع وامتيازات، أمجاداً وسمعة وفوائد ومتعا، لذلك تدور حولها معارك حامية.

وهذه المعارك تدور أولاً بين أفراد يصارعون من أجل مقعد...".[32]

كذلك "كثير من الناس يرون أن الصراع والتكامل ليسا وجهتين متعارضتين، بل هما عملية كلية واحدة، فالصراع يؤدي بطبيعته إلى

---

32 ـ موريس دوفرجيه، **مدخل إلى علم السياسة**، ترجمة الدروبي والدكتور جمال الاتاسي، مرجع سابق، ص 17.

التكامل، والتعارضات تتجه بتطورها نفسه إلى زوالها وإلى قيام "المدينة" التي يتحقق فيها الانسجام".[33]

إن مصر ــ عبد الناصر، طيلة الستينات، شهدت مثل هذا الصراع بين "الكتل"، وكان محمد حسنين هيكل، يتموقع في إحدى هذه الكتل، رغم محاولاته الدائمة ليكون خارج دوائر الصراع. ولتحديد موقعه، توجد مجموعة من الرؤى المختلفة ــ المتباينة.

فالدكتور فؤاد زكريا، أحد منتقدي هيكل بشدة، يقول: "هناك شواهد كثيرة وقوية على أن حكم عبد الناصر كان يضم، في سنواته الأخيرة على الأقل، "أجنحة" متنافسة ومتعارضة.

كان هناك الجناح العسكري الممسك بقوة الجيش، والملتصق بالمشير عامر (شمس بدران وقادة الأسلحة المختلفة قبل 1967).

وكان هناك الجناح التنفيذي الملتصق بعبد الناصر في عملية الحكم (سامي شرف، شعراوي جمعة، محمد فايق..). وكان يقود هذا الجناح علي صبري.

وكان هناك الجناح الهادئ، المتربص، الذي يحتفظ بعلاقاته بعبد الناصر بحذر شديد، دون التورط في ممارسات تثير المتاعب، أنور السادات، محمود فوزي، سيد مرعي، حافظ بدوي.

وأكاد أجزم بأن هيكل كان ينتمي إلى الجناح الأخير، فالشواهد قوية على أن هيكل كان من مجموعة أنور السادات قبل أن يتولى هذا الأخير الحكم بوقت غير قصير".[34]

---

33 ــ المرجع السابق، ص 13.

34 ــ الدكتور فؤاد زكريا، **كم عمر الغضب؟ أو هيكل وأزمة العقل العربي**، مرجع سابق، ص 81.

ثم يضيف الدكتور فؤاد زكريا: "ويكفي، كمثال واحد للتدليل على ذلك، أن استشهد بما قاله هيكل نفسه في مقاله "ما أكثر الشجاعة هذه الأيام على الغائبين" فهو في هذا المقال يروي قصة اعتقال عبد الناصر لأحد المثقفين المرتبطين بهيكل في جريدة "الأهرام" وكيف غضب هيكل ولازم بيته أياماً دون أن يفاتح عبد الناصر في الموضوع، والذي يهمنا في هذا أن أنور السادات كان هو الذي اتصل به قائلاً "ما هذا الذي تفعله؟ أنك تترك الجو هنا لكل من يريد أن يستثير ويحرض" ثم قال: "اتصل به (عبد الناصر) فوراً وتحدث معه بنفسك ولا تترك المجال مكشوفا لآخرين ". وبعد يومين عاود الاتصال به قائلاً: "يبدو أنك جننت، لماذا تترك الأمر بينك وبينه لكل من يريد أن يتبرع بكلمة؟". وهنا يظهر بوضوح أنه كانت هناك مجموعتان، واحدة يمكن أن تحرض عبد الناصر ضد هيكل، وأخرى حريصة على سلامة هيكل ضد المجموعة الأخرى وفيها أنور السادات. ولا شك أن تطوع السادات بكل هذه النصائح إلى هيكل يدل على أنهما كانا ينتميان إلى معسكر أو جناح واحد".[35]

وتختلف رؤية الأستاذ لطفي الخولي ــ أحد تلامذة هيكل ــ لخريطة التكتلات والتحالفات، ويقدم في كتابه "مدرسة السادات السياسية... واليسار المصري"، تحليلاً آخر يقول فيه " في مقدمة هذه المحاور المتصارعة في الأعماق، كان هناك ما سمي بـــ"اللجنة الاستشارية الرئاسية"، وهي اللجنة التي كان الرئيس قد شكلها بعد هزيمة 1967 وبعد إحباط المحاولة الانقلابية التي تزعمها المشير عبد الحكيم عامر، واعتمد عبد الناصر على هذه اللجنة في إدارة شؤون البلاد الداخلية، والإشراف على أعمال مجلس الوزراء الذي كان يتولى رئاسته...

35 ــ المرجع السابق، ص 81 –82.

وكانت هذه اللجنة، التي أحيط أمرها بالكتمان، تتكون من شعراوي جمعة وزير الداخلية، وأمين هويدي الذي تولى وزارة الحربية ورئاسة المخابرات العامة ووزارة الدولة، ومحمد فائق وزير الدولة للشؤون الخارجية وسامي شرف سكرتير الرئيس للمعلومات ووزير الدولة، وكان عبد الناصر يفاجئ اللجنة، بين آن وآخر، بطلب اشتراك محمد حسنين هيكل وزير الإعلام ورئيس تحرير "الأهرام" في أعمالها".[36]

ويضيف لطفي الخولي، أن "ثمة محوراً آخر كان يتبلور في قيادة الاتحاد الاشتراكي (6 ملايين عضو مسجل) وتنظيماته الرئيسية والمساعدة ... بزعامة علي صبري، واستمد هذا المحور أهميته من قوته الحاكمة فعليا في كل من اللجنة العليا واللجنة المركزية. وكان من بين الأعضاء البارزين فيه : شعراوي جمعه (الذي كان يشارك في اللجنة التنفيذية العليا بصفة استثنائية على الرغم من عدم تمتعه بعضويتها)، عبد المحسن أبو النور، ود. لبيب شقير، وضياء الدين داوود، عبد المجيد فريد، وحافظ بدوي. وكان هذا المحور يكرس قدراته من خلال تسييره "التظاهرات الجماهيرية تحت الشعارات التي يحددها واستصداره "القرارات المطلوبة" من دون عناء كبير، من الهيئات القيادية للتنظيم السياسي على مختلف المستويات.

وبالتوازي مع محور قيادة الاتحاد الاشتراكي، تكون محور آخر، ضم قيادة ما سمي بـــ"التنظيم الطليعي" وكان أقرب ما يكون إلى صيغة الحزب الاشتراكي ذي الخلايا السرية عهد إليه بالعمل على توجيه قيادة الاتحاد الاشتراكي من داخله بواسطة "كادر اشتراكي مدرب "...

---

36 ــ لطفي الخولي، "مدرسة السادات السياسية.. واليسار المصري "، نقلا عن مجلة **"الوطن العربي"** الباريسية، الحلقة الأولى، السنة الخامسة، العدد 244، من 16 إلى 22 أكتوبر 1981.

وظل عبد الناصر يشرف بنفسه على تكوين وإدارة التنظيم الطليعي بحماسته، يعاونه في ذلك كل من علي صبري واحمد فؤاد ومحمد حسنين هيكل...

وعند وفاة عبد الناصر، كان كل من علي صبري واحمد فؤاد ومحمد حسنين هيكل قد أقصوا أو تباعدوا عن قيادة التنظيم الطليعي، التي ركزت في أمانة مركزية أمسك بزمامها، أساسا، شعراوي جمعه، وسامي شرف ومحمد فائق وحلمي السعيد المستشار الاقتصادي لرئاسة الجمهورية، يعاونهم عنصران أو ثلاثة من الماركسيين مثل احمد حمروش ومحمود أمين العالم ".[37]

أما أخطر المحاور ـ لصبغته العسكرية ـ فكان "يتجسد في "اللجنة العسكرية الخاصة بإعادة بناء القوات المسلحة وإعدادها على المدى القصير الذي لا يتجاوز العام 1972... وكان عبد الناصر يركز طاقاته في هذه اللجنة، يعاونه الفريق محمد فوزي وزير الحربية، واللواء محمد صادق، بالإضافة إلى عدد محدود من قيادات القوات المسلحة.

وإلى جانب هذا المحور، قام محور "الحرس الجمهوري " الذي تدعمت قواته إلى حد القدرة على الهجوم القتالي متجاوزا خط الدفاع للحراسة التقليدية، وتولى عبد الناصر الإشراف على هذا المحور من خلال سامي شرف سكرتير الرئيس للمعلومات ووزير الدولة، واللواء الليثي ناصف قائد الحرس ".[38]

"ويمكن القول أن ثمة محورين آخرين، دار كل منهما، في الأساس، حول شخصية متميزة اكتسبت وزناً خاصاً نتيجة ما اتسمت به من ملكات خاصة وظفتها بذكاء، أو احتلالها لمواقع هامة داخل دائرة الثقة الضيقة

---

37 ـ المرجع السابق.

38 ـ المرجع السابق.

لجمال عبد الناصر، وبالتالي أمكنها التعرف إلى أسرار النظام ومشاركتها الجزئية أو الكلية في صنع القرارات السياسية. الشخصية الأولى تمثلت في "أنور السادات" الذي اصطفاه عبد الناصر من دون أعضاء مجلس قيادة الثورة نائباً وحيداً له في 20 ديسمبر 1969 وذلك بقرار غير متوقع كان له وقع الصاعقة على الجميع...

وهكذا انتقل السادات فجأة قبل أقل من عام من وفاة عبد الناصر من المواقع الخلفية المظلمة في النظام إلى مواقع الصدارة".[39]

"أما الشخصية الثانية فهي محمد حسنين هيكل الصحفي أو "الجرنالجي" كما يحب أن يصف نفسه دائماً، لكن جميع الذين اتصلوا اتصالاً وثيقاً بنظام عبد الناصر من المراقبين والسياسيين المصريين والعرب والأجانب، كانوا يجمعون على وصفه بأنه "الرجل الثاني في النظام" الذي لا يتولى مسؤوليات رسمية ولا يسعى إليها حتى لا يدخل طرفاً في دائرة الصراع، ويقلص حجمه على مقاس المنصب الرسمي الذي تولاه، وتتضارب الآراء والمواقف بنشأة محمد حسنين هيكل، بيد أن خصومه يتفقون مع أصدقائه على أنه " الأقدر والألمع" في حقل الصحافة المصرية والعربية وإذا كان استفاد من قربه لعبد الناصر، فإن عبد الناصر قد استفاد في المقابل من حرفية وذكاء هيكل الصحفي... ولم يعد هيكل أقرب المستشارين لجمال عبد الناصر وموضع سره وحسب، وإنما "المحاور اليومي" المقبول منه دون أي كلفة أو حساسية.

والمعادلة التي حكمت حركة هيكل وقبلها عبد الناصر، هي الالتزام بمساندة جمال عبد الناصر على نحو مطلق مع ممارسة الحرية النسبية في نقد النظام ومؤسساته وقياداته.

---

39 ـــ المرجع السابق.

ولقد رسبت ممارسة هذه المعادلة انطباعاً لدى كل القوى السياسية المحلية والعربية والدولية، أن محمد حسنين هيكل يمثل فعلاً مركز "الرجل الثاني" في النظام، من دون أن يتورط في تولي مسؤولية رسمية مكشوفة، ولعل هذا ما دفع عبد الناصر في بداية العام 1970 ــ وفقاً لكثير مما يروجه المراقبون ــ إلى تعيينه وزيراً مسئولاً عن الإعلام ــ على الرغم من اعتراضه ــ مع احتفاظه برئاسة تحرير "الأهرام".[40]

أما سامي شرف، فيعتقد "أن الصورة السياسية في الستينيات كانت تتميز بوجود جمال عبد الناصر بطلاً كاريزمياً، من جهة وعبد الحكيم عامر وصلاح نصر كتلة تعمل في الجيش والمخابرات من جهة ثانية، ومجموعة الاشتراكيين المتشددين متكونة من الراحل علي صبري والراحل شعراوي جمعه، وسامي شرف، وضياء الدين داوود... من جهة ثالثة، ومحمد حسنين هيكل الذي يعتبر على علاقة شخصية مع عبد الناصر أكثر منها علاقة عامة من جهة رابعة... فهيكل يبدو غريباً في هذه الصورة بدون علاقته مع الرئيس الراحل".[41]

إننا نستنتج من هذه الرؤى المختلفة أن هيكل كان يحافظ على خصوصية تميزه، حيث كان يشكل ما يمكن تسميته بـ"كتلة ــ فرد" فهو بمفرده يمثل جناحاً بأكمله. اعتمد على صداقة عبد الناصر الشخصية ليستطيع أن يعمل داخل النظام بدون أن يضرب من قبل الآخرين. وإذا استبعدنا موقف الدكتور فؤاد زكريا ــ الناقد بشدة ــ لهيكل وقلصنا من رؤية لطفي الخولي، وهو أحد تلاميذ هيكل، في محاولة الإيحاء بأن هيكل

---

40 ــ المرجع السابق.

41 ــ سامي شرف مقابلة خاصة، مرجع سابق.

هو الرجل الثاني[42]، فإن رؤية سامي شرف ـ رغم خلافه الكبير مع هيكل الذي أنحاز إلى السادات في مايو 1971 ـ تصبح الأقرب إلى رسم صورة حقيقية لموقع الصحفي داخل منظومة الدولة.

لقد كان هيكل، يمثل قطباً بمفرده، أو ربما بمؤسسة الإعلام الضخمة التي قادها، وكانت علاقته رأسا بعبد الناصر هي مصدر قوته.

بقي أن نلاحظ مع محمد فائق الذي قال: "إن الجميع كانوا وطنيين مخلصين لبلدهم، فلا مجال للقول أن زكريا محي الدين مثلا هو رجل أمريكا، أو كذلك هيكل، أو أن علي صبري هو رجل السوفيات... جميعهم كانوا وطنيين. فقط أن عبد الناصر كان يعطي بعض الأدوار لبعض الأفراد...".[43]

وأخيراً، يلخص أحمد حمروش الصورة قائلا: "ومهما بلغ الضيق والتوتر والخلاف بين هؤلاء الأعوان، فإن وجود عبد الناصر كان كفيلاً بتهدئة الأمور ولجوء الجميع إليه... وهو زعيم يجيد لعبة التوازن...".[44]

كان عبد الناصر يمثل صمام الأمان وبرحيله عن الدنيا، يكون صمام الأمان قد رحل معه. ويصبح انفجار الصراع وشيكاً.

---

42 ـ عادة في الأنظمة التي ترأسها شخصيات "كاريزماتية" من نوع عبد الناصر ما تتلاشى فيها مسألة الرجل الثاني. حيث تطغى شخصية الزعيم على الجميع وطغيانها يتجاوز المسألة الإدارية إلى بعد سيكولوجي معقد.

43 ـ محمد فائق، مقابلة خاصة، مرجع سابق.

44 ـ احمد حمروش، "زيارة جديدة لهيكل"، الحلقة الرابعة، مجلة "**روز اليوسف**" المصرية، عدد 22-12-1986.

الفصل الثالث

هيكل – العهد الساداتي :

التحالـــــــــف

يوم 28 سبتمبر 1970 يرحل الرئيس جمال عبد الناصر عن الدنيا تاركا وراءه دولة في حالة حرب، تمر بأدق مراحل وجودها. وكان أنور السادات يشغل خطة نائب رئيس الجمهورية، وهي تخول له رئاسة الدولة مباشرة بمجرد رحيل رئيسها السابق. وكان على عملية الانتقال هذه أن تمر "بسلام"... ويصف سامي شرف ليلة الوفاة قائلاً:

1 ـ الانحياز إلى السادات

"بعد الوفاة وإقرارها من قبل الأطباء، حصل اجتماع في بيت الرئيس الراحل عبد الناصر، تحديداً في الصالون التحتي، وحضره أنور السادات وحسين الشافعي وعلي صبري وشعراوي جمعه، والفريق محمد فوزي ومحمد حسنين هيكل وأنا. ولا أذكر إن كان أمين هويدي معنا أم لا. وتم نقاش سريع، حيث كنا جميعا في حالة ارتباك. وما وقع تناوله كان مجرد

رأس موضوع حول " ماذا بعد؟" وبدون أي تردد وبدون أي نقاش أحادي أو مزايدة، اتفقنا جميعاً على سيادة الشرعية، حتى يضرب المثل للشعب المصري وللأمة العربية وللعالم، أن هناك مؤسسات تركها عبد الناصر قادرة في غيابه أن تسير الأمور وفق ما كان يريد.

وبعد ذلك اتفق على عقد اجتماع مشترك بين اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي ومجلس الوزراء".[1]

وتتفق هذه الرواية تقريباً مع ما قاله هيكل، حيث ذكر: "وكنا في غرفة الصالون الصغير مجموعة متباينة المواقف والأهداف، لكن مفاجأة ومأساة الرحيل رفعت الكل ــ إنصافا للتاريخ ــ إلى مستوى يستحق التسجيل.

كان هناك السادة أنور السادات وحسين الشافعي وعلي صبري وشعراوي جمعه وسامي شرف ومحمد أحمد واللواء الليثي ناصف وأنا.

وكانت هناك فترة صمت ثقيل، وأحسست أنني أستطيع أن أتكلم. فقد كنت أمام الكل من أقرب الناس إلى جمال عبد الناصر ثم أنني كنت من أبعد الناس عن صراعات السلطة، فالكل يعرف أنني أحصر طموحي كله في إطار مهنتي... وقلت "إن أهم شيء الآن هو الاستمرار وأن نحاول قدر ما نستطيع ملء الفراغ بعده". ثم قلت : "لابد أن نختار رئيساً يتولى السلطة ــ ولو مؤقتا ــ على الفور. ولابد في اختيار الرئيس أن نتبع قاعدة موضوعة سلفا. فليس الوقت ملائماً لوضع قواعد جديدة ولا هو وقت فتح الباب لصراعات بين الأفراد.

وإذا اتفقنا على ذلك، فإن القاعدة الوحيدة التي اعتقد أنها تحكم موقفنا هي الاحتكام إلى الدستور، والشيء الآخر الذي أراه ضرورياً بعد أن نتصرف خطوة خطوة حتى لا نفتح الباب لمساومات وصفقات قد تكون خطيرة في أثرها، أن جمال عبد الناصر كان يشغل ثلاث مناصب

---

1 ــ سامي شرف، مقابلة خاصة، مرجع سابق.

رئيسية: رئاسة الجمهورية، ورئاسة الاتحاد الاشتراكي، ورئاسة الوزارة. وإذا فتحنا ثلاثة أبواب الآن فقد نجد أنفسنا أمام مآزق متشابكة، ولذلك فإنني اقترح أن تكون هناك "خطوة واحدة في الوقت الواحد" وقلت بالإنجليزية "one step at a time".

وإذن ننتهي من انتخابات رئيس الجمهورية، ثم يجيء دور اختيار رئيس الوزراء، ثم يختار التنظيم السياسي رئيسه ".[2]

وعن رد فعل السادات، لما قاله، يؤكد هيكل "إن أنور السادات استراح لما قلت، وللإنصاف فإن أحداً لم يعارض، كان الكل على مستوى المسؤولية في تلك اللحظة الحرجة".[3]

وواصل هيكل كلامه باقتراح أن ينتقلوا إلى مكان آخر وأن يعقدوا اجتماعاً مشتركاً للجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي العربي ولمجلس الوزراء، ومن هنا يعلن نبأ رحيل عبد الناصر على الأمة ثم تتخذ القرارات المطلوبة.

وكان قد أعد بيان إعلان الرحيل، واتصل ــ كوزير للإرشاد ــ بأحد كبار المسئولين معه في وزارة الإرشاد ــ وهو الدكتور عبد الملك عودة ــ وطلب إليه أن يوقف إذاعة البرامج العادية في الراديو والتلفزيون وأن تتحول جميع المحطات إلى إذاعة القرآن الكريم.

وقرأ البيان على المجلس المشترك وأقره من فيه، واقترح أنور السادات أن يتوجه هيكل إلى مبنى التلفزيون لإذاعته... لكن هذا الأخير

---

2 ــ محمد حسنين هيكل، **بين الصحافة والسياسة**، مصدر سابق، ص ص 34 - 350 - 351.

3 ــ المصدر السابق، ص 351.

رد قائلا "إنني اقترح أن يتولى أنور السادات بنفسه إذاعة البيان لكي يعرف الناس أن انتقال السلطة قد تم بسلام".[4]

ووافق الجميع، وقام الرئيس السادات مع هيكل وتركا الاجتماع مستمراً يناقش قضية هامة طرحت من أجل كفالة الاستمرار وهي: "هل يتولى الرئيس المؤقت سلطته لستين يوماً أم نختاره مرشحاً على الفور ونعرض اسمه للاستفتاء العام؟" وكان واضحاً أن الاتجاه الراجح يميل إلى الرأي الثاني من منطق تأكيد الاستمرار. وربما كانت هناك تصورات أخرى.[5]

ويوم الثالث من أكتوبر 1970 كتب للرئيس السادات استقالته من الوزارة، وبعث بها إليه، وحاول السادات ملحا إقناعه بالعدول عنها، وسهرا ليلة حتى قرب الفجر.

كانت وجهة نظره أنه في حاجة إلى هيكل، ثم من ناحية أخرى قال له: "ماذا يقول الرأي العام إذا عرف أن أقرب الناس إلى جمال عبد الناصر استقال بعد ثلاثة أيام من رئاسة السادات". وكانت وجهة نظر هيكل، أنه موجود تحت تصرفه، وأنه لا يستقيل إلا من الوزارة ولكنه باق في الأهرام، وهناك في حقيقة الأمر مكانه الطبيعي، وأضاف له: " إنني ألمح من بعيد صراعات سلطة، فإن الكل بدأ يفيق من الصدمة، وفي الأهرام أستطيع أن أكون بعيداً عن الصراعات، ثم إنني من هناك أستطيع ــ أكثر مما أستطيع في الوزارة ــ أن أشارك في حوار الحوادث والتطورات طليق اليد ومتحررا"[6].

وبعد مناقشات امتدت معه ست ساعات طلب منه ــ مادام مصراً على الاستقالة ــ أن يبقى معه حتى يتم الاستفتاء على رئاسته، وهو ما حدث

---

4 ــ المصدر السابق، ص 352.

5 ــ المصدر السابق، ص 352.

6 ــ المصدر السابق، ص 353.

فعلا[7]، حيث بقي في الوزارة إلى ما بعد أيام الاستفتاء على السادات لكي يكون "مشرفاً على إدارة الحملة الانتخابية لرئاسته في وجه تيارات كان لها في ذلك الوقت آراء معاكسة".[8]

ويعتقد هيكل أنه لعب "دوراً مؤثراً ـــ سواء كوزير للإرشاد أو كعضو في مجلس الأمن القومي وقتها، أو كرئيس لتحرير الأهرام ـــ في المداولات والمشاورات السياسية التي أدت إلى اختيار السادات رئيساً للجمهورية بعد رحيل جمال عبد الناصر".[9]

ويعلل هيكل فيما بعد مساندته للرئيس السادات قائلا: "وأظن أيضاً أنني لم أكن غافلاً عن بعض أسباب القصور فيه لكني تصورت أن أعباء المنصب ووقر المسؤولية سوف تقوى كل العناصر الإيجابية في شخصيته، وسوف تساعده في التغلب على جوانب الضعف فيها، كان في ذهني باستمرار نموذج الرئيس الأمريكي هاري ترومان...".[10]

ثم دفعت هذه المساندة هيكل إلى الانحياز نهائياً إلى صف الرئيس السادات في مواجهة المجموعة " الاشتراكية " الأخرى.

---

7 ـــ محمد حسنين هيكل، **وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي**، مصدر سابق، ص 138.

8 ـــ المصدر السابق، ص 257.

9 ـــ محمد حسنين هيكل، **خريف الغضب، قصة بداية ونهاية عصر السادات**، مصدر سابق، ص 6.

10 ـــ نقلا عن فؤاد زكريا، **كم عمر الغضب ؟ أو هيكل وأزمة العقل العربي**، مرجع سابق، ص 79.

2- دوره في أحداث مايو 1971 [11]

لم تكن أحداث مايو 1971 أزمة عادية في تاريخ مصر والوطن العربي، وإنما شكلت منعرجاً حاسماً في تاريخ المنطقة، حيث تحولت مصر من "أقصى اليسار" إلى "أقصى اليمين" ومن معسكر "قوى التحرر والاشتراكية" إلى معسكر "التبعية إلى الولايات المتحدة الأمريكية".

وحقيقة، يبدو أن لهذه الأحداث جذوراً أكيدة ممتدة في العهد الناصري نفسه، فالصراع بين الكتل تطور بعد رحيل عبد الناصر "صمام الأمان" وانفجر بين خطين أساسيين، الخط الأول يمثله أنور السادات، أما الخط الثاني فتمثله مجموعة "الاشتراكيين" في الحكم.

وفيما يتعلق بحقيقة ما حدث في هذا الشهر (مايو) المصيري، فإن روايات كثيرة تحاول أن تجيب على السؤال، وسنعرض بعضاً منها، مع ضرورة تأكيد ملاحظة جوهرية، وهي أن الشهادات التي جمعناها من رجال عبد الناصر، تمت مؤخرا (أغسطس 1991)، وفي هذا الظرف تصالح هيكل معهم، واقتربوا منه متجاوزين خلافات الماضي، وهو ما سيؤثر بشكل أو بآخر على ما سيقولونه.

يذكر محمد فائق[12]: "إن القول بأن أحداث مايو 1971 هي انقسام بين مجموعتين قول خاطئ؛ لأن هذه المجموعة لم تكن مجموعة واحدة، في

---

11 - أحداث 15 مايو 1971، يلاحظ الباحث أن هذا التعبير يستخدم بأشكال مختلفة. فالسادات وأنصاره يسمونها "ثورة مايو التصحيحية"، ورجال عبد الناصر الذين دخلوا السجن أثناءها يسمونها "انقلاب مايو"، ورأينا نحن استخدام تعبير "أحداث مايو" محافظة منا على موضوعية التحليل.

12 ـــ حكم عليه بالسجن لمدة عشر سنوات أشغال شاقة قضاها كاملة في السجن، وخرج سنة 1981. ثم اعتقل في أحداث سبتمبر 1981 قبل اغتيال السادات بشهر.

حين كان السادات يخطط للابتعاد عن الثورة والانقلاب عليها، وكان يدرك أن هذه المجموعة ستواجهه... وعندما اصطدمت عناصرها به، كانت فرادى، فالبعض معترض على الوحدة مع ليبيا وكانوا ضد توقيتها... إن انقلاب مايو هو انقلاب قصر، فالسادات سجن كل معارضيه، وادعى محاولة انقلابهم، وذلك غير صحيح، لأن الذي حدث، هو أننا عارضنا السادات في توجهاته:

ـ **أولا:** في الاعتقاد بأن أمريكا في يدها الحل،

ـ **ثانيا:** في تأجيل المعركة، فالسادات كان يرى بإمكانية تحرير الأرض عن طريق المفاوضات، وكنا نعلم أن هذا أمر مستحيل.

ـ **ثالثا:** كان يريد حل الاتحاد الاشتراكي، ووضع عناصر جديدة موالية له فيه.

... ويجب أن نلاحظ أن هذه المجموعة لم تكن تعمل في انسجام، أما السادات فهو رجل مناور وقبل أن يقوم بانقلابه حاول كسب بعض الحلفاء مثل محمد حسنين هيكل، الذي أوهمه بأن المجموعة تريد به شراً، وأوهم كل واحد فينا بأن الآخر يتآمر عليه... والمتأكد منه أن هيكل لم يكن يعلم أن السادات سينحرف كل هذا الانحراف، ولا اعتقد أن هيكل كان يتصور إمكانية حدوث ثورة مضادة ضد عبد الناصر والناصرية".[13]

أما ضياء الدين داوود[14] فيشرح الأحداث كالتالي: "ولما جاءت أحداث مايو 1971، بدأت هذه الخلافات تطفح على السطح، فإذا انتصرت مجموعة مايو وسيطرت على السادات، فذلك كان سيشكل خطراً بالنسبة لهيكل، ومن ثمة كان أقرب إلى السادات، وقال البعض، أو هو قال أنه

---

13 ـ محمد فائق، مقابلة خاصة مع الباحث، مرجع سابق.

14 ـ حكم عليه بالسجن لمدة عشر سنوات أشغال شاقة.

مهندس هذه الأحداث، تقديراً منه أن هذا قد يفتح له باباً أوسع للتأثير على الرئيس.

وفي رأيي، وقعنا في خطأ مشترك، وهو تصور المدى الذي قد يصل إليه السادات. وطبعاً هيكل رجل ذكي، وبالضرورة كان لديه بعض الملامح من شخصية السادات، لكن لا أعتقد أنه ظن أن السادات سيصل إلى ما وصل إليه في الانقلاب على عبد الناصر ومنجزات الثورة".[15]

متى وكيف انحاز هيكل إلى السادات في أحداث مايو 1971؟

سامي شرف[16] يشرح هذه النقطة قائلا: "حتى آخر لحظة كان من الصعب أن نحدد موقع محمد حسنين هيكل، لغاية الفترة الممتدة من 20 ابريل إلى 15 مايو 1971، حيث تأكد لي شخصياً ذلك. ففي يوم 19 أو 20 ابريل كنت والراحل شعراوي جمعة (وزير الداخلية) في مكتب هيكل، الذي طرح موضوعاً قال في آخره "أنت رئيس الوزراء القادم يا شعراوي". أنا فوجئت بهذا الخبر، بينما سعد به شعراوي، وعندما خرجنا من عند هيكل قلت له "إيه الكلام ده يا شعراوي، هو هيكل حيعينك أنت رئيس الوزراء!" لكنه سكت، وفي اليوم الموالي قابلته وقلت له " لقد فكرت طوال البارحة، واستنتجت أن هناك عملية "تخدير" لك، ذلك أن هيكل رشح الدكتور فوزي لرئاسة الوزارة وأصر على تعيينه بعد وفاة عبد الناصر، علما أن الدكتور فوزي ليس كما قدمه هيكل من خلال كتاباته. كما استخدم هيكل أحد الصحفيين في جريدة "الأهرام" واسمه عبدو مباشر، وكان مراسلاً حربياً ومندوب "الأهرام" في الدوائر العسكرية.

---

15 ـــ ضياء الدين داوود، مقابلة خاصة، مرجع سابق.

16 ـــ سامي شرف حكم عليه بالإعدام ثم خففه السادات إلى الأشغال الشاقة المؤبدة وخرج من السجن سنة 1981.

وكان له مكتباً في مبنى المخابرات العسكرية، وكانت علاقته بالفريق محمد صادق قوية، حيث كان يقوم له بدعاية صحفية...

ولما انتقل الفريق صادق إلى رئاسة الأركان، انتقل معه عبدو مباشر. ومن خلال هذه العلاقة ربطت الخيوط بين هيكل والفريق صادق، ولم نكن نتابعها، وبعدما دخلنا السجن عرفنا أن علاقة قوية كانت بينهما...

واعتقد، أن أهم دور قام به هيكل في انقلاب مايو 1971 تمثل في تخدير شعراوي جمعه، حيث لم يكن على المسرح سواه، فعلاقته بعلي صبري كانت سيئة، وحسين الشافعي والفريق محمد فوزي كان أمرهما محسوماً كخصوم لهيكل والسادات، وهو يعلم أن شعراوي وسامي قريبان من بعض، وإلى حد وفاته رفض شعراوي الحديث في هذه النقطة الغامضة، ولم أكن أقدر أن أجبره على الكلام...".[17]

وكان الصراع بين هيكل ومجموعة " الاشتراكيين " بدأ منذ كتب مقاليه في الأهرام. الأول "تحية إلى الرجال" والثاني "عبد الناصر ليس أسطورة". وحول المقال الأول يعتقد سامي شرف أن هيكل كان "في داخله متخوفاً من الحرب، هذا الخوف قاده أن يترجم هذا الإحساس إلى تعبير قدمه للرأي العام. والرجل صحفي يكتب، وكان دائما يحذر وينبه إلى عدم الاستعداد الكامل، وإلى صعوبة المعركة، ونحن كمؤسسة رئاسة ومؤسسة عسكرية قررنا الحرب، ولا يهمنا أن نترك مثل هذا الحديث ينشر، فربما يضلل العدو، لكن ما يهمنا هو أن لا تهتز الروح المعنوية للمقاتل، هنا نقول له: قف، لا تتجاوز حدودك وهذا باختصار ما كان عليه تفكيرنا".

أما المقال الثاني المتعلق "بعبد الناصر ليس أسطورة "، فاعتقد أن هيكل له حق في جانب من القضية وليس له حق في الجانب الآخر.

---

17 ــ سامي شرف، مقابلة خاصة، مرجع سابق.

له حق عندما يقول أن عبد الناصر ليس أسطورة، بمعنى أنه لم يكن إلآهاً أو شيئاً يعبد، ونحن نسيء إلى عبد الناصر إذا اعتبرناه صنماً معبوداً... فالرجل كان إنسان يخطئ ويصيب... ولكن بعض الأخوة أخذوا الموضوع من زاوية عاطفية فاعتبروا أن هيكل يريد أن "يغير جلده"، وحقيقة لم يكن ذلك صحيحاً، وهذا ليس دفاعاً عن هيكل ".[18]

والمتأكد منه، أن هذين المقالين كانا لهما دور كبير في "فرز قوى الصراع " ويروي عبد الله إمام[19] ما حدث من ردود أفعال قائلا: "كان هذا المقال "عبد الناصر ليس أسطورة" موضع مناقشة في أول اجتماع للجنة العليا بعد الأربعين عندما أعد الدكتور لبيب شقير مذكرة عرضها على اللجنة برأيه فيما كتبه هيكل وناقشها أعضاء اللجنة ووافقوا على ما جاء فيها... فيما عدا الدكتور محمود فوزي الذي آثر الصمت ولم يبد رأياً لا مع هيكل ولا ضده. وأجل السادات المناقشة إلى جلسة تالية، وهي الجلسة التي حضرها هيكل وواجهه د. لبيب شقير برأي اللجنة وقال هيكل: هل تعني أنني خائن... وقال د. لبيب شقير: لماذا تصل الأمور إلى هذا الحد، لا أحد يتهمك بالخيانة، ولكننا نرى أن في المقال إشارة للبدء في الهجوم على تجربة عبد الناصر في وقت نحتاج فيه إلى تضافر كل الجهود وعدم جذب الناس إلى معارك جانبية... إننا في مجال تحديد المواقف.

وخرج هيكل، وتكلم حسين شافعي (نائب الرئيس) فهاجم هيكل هجوماً شديداً.

وسأل ضياء الدين داوود، هل يعتبر هيكل المتحدث الرسمي باسم الدولة وأن ما يكتبه يعبر عنها...

---

18 ـــ المرجع السابق.

19 ـــ عبد الله إمام، صحفي وكاتب ناصري مشهور. الف كتابا بعنوان "انقلاب 15 مايو، القصة الكاملة"، لمزيد من التوسع في هذا الفصل يرجى العودة اليه. وقد تضمن تقريبا كل وجهات النظر المختلفة.

ورد السادات بأن الأهرام جريدة واسعة الانتشار ويمكن أن نوحي إليها بما نريد، أما ما يكتبه هيكل فهو اجتهاد شخصي...".[20]

كما كتب مقالاً في مارس 1971 بعنوان "تحية إلى الرجال" وعدد فيه المخاطر التي يمكن أن يواجهها المقاتل المصري أثناء عبور السويس.

ويقول ضياء الدين داوود، "إنني عندما قرأت مقال هيكل وجدته دعوة إلى اليأس في وقت نطلب فيه رفع الروح المعنوية ونحن نستعد للحرب... وذهبت إلى أنور السادات وقلت له رأيي، فقال أنه قرأ المقال ولم يأخذ منه هذا الانطباع، وأنه لذلك سوف يعيد قراءة المقال.

ورأينا أن نرد على المقال في جريدة "الجمهورية" التي كان يشرف عليها فتحي غانم أحد المسئولين في التنظيم الطليعي، وكتب عبد الهادي ناصف عضو اللجنة المركزية ومسئول في التثقيف فيها مقالا تحت عنوان "تحية مردودة من الرجال إلى الأستاذ هيكل"..."[21].

ويرد هيكل على هذا الاتهام بقوله: "إنني كتبت هذا المقال في أعقاب رحلة إلى أوروبا تكشف لي خلالها معلومات وثيقة عن خطة العدو في مقابلة أي هجوم نقوم به نحن، وكانت هذه الخطة هي موضوع المقال في الواقع. لقد اعتقدت – ومازلت اعتقد – أن نشر هذا المقال كان خدمة وطنية، فأي شيء أنفع لجيش وشعب يقفان على أبواب معركة من أن تكون أمامهما صورة واضحة لأوضاع الطرف الآخر في مواجهة السلاح...

إن الادعاء بأن ما جاء في المقال مثبط للروح المعنوية لا يمكن أن يكون صحيحاً لأن الشعوب المناضلة تحتاج إلى الحقيقة أكثر مما تحتاج

---

20 ــ عبد الله إمام، **انقلاب 15 مايو، القصة الكاملة**، دار الموقف العربي، القاهرة، 1983، ص 132-133

21 ــ المرجع السابق، ص 133 – 134.

إلى شيء آخر لأن معرفتها بالحقيقة هي التي تمكنها من حشد الطاقات اللازمة لمواجهتها".(22)

أما تفاصيل أحداث مايو 1971، فإن راوية هيكل لها تقول: "لقد تفجر ذلك الصراع على السلطة في جلسة عقدتها اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي يوم 21 ابريل. ويومها شن علي صبري، (نائب رئيس الجمهورية) ــ وهو واحد من أعنف مهاجمي السادات ــ هجوماً عنيفاً على مشروع وحدة مقترح بين مصر وسوريا وليبيا، ولم يكن الخلاف على مشروع الوحدة ــ في الواقع ــ إلا غطاء للخلافات الحقيقية حول السلطة. كان السادات يبدو متحمساً للمشروع، وفي نيته أن تغيير شكل الدولة سوف يعطيه الفرصة لإعادة تكوين مؤسسات السلطة، كاللجنة المركزية ومجلس الأمة.

وكانت الأغلبية الساحقة في هاتين المؤسستين لمجموعة مراكز القوى التي تسيطر على الاتحاد الاشتراكي.

ومن جانبهم، فإنهم استطاعوا استكشاف نواياه الدفينة، وبالتالي فقد عارضوا المشروع، ليس كرهاً في الوحدة، ولكن إبقاءاً على ما هو قائم في مؤسسات الحكم.

وهكذا تفجر الصراع في تلك الجلسة من جلسات اللجنة المركزية، وكانت الأغلبية كلها على الجانب الآخر.

ولقد ارتفعت ثلاثة أيدي فقط عند الاقتراع على المشروع، بينما كان باقي الأعضاء - أكثر من ثلاثمائة يقفون مع الجانب الآخر، وبدا أن انقساماً عميقاً قد وقع، وجاء اقتراح برفع جلسة اللجنة المركزية وعقد اجتماع طارئ وعاجل للجنة التنفيذية العليا لم يسفر هو الآخر عن شيء

---

22 ــ محمد حسنين هيكل، **وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي**، مصدر سابق، ص 153.

إلا تكريس الانقسام. وكان معروفاً أن الفريق "محمد فوزي" وزير الحربية يقف مع الجانب الآخر، أي مع المعسكر الذي يضم خصوم السادات".[23]

ويضيف هيكل: "ولكن الليلة التي كانت حاسمة في الصراع كله هي ليلة 11 مايو 1971. ففي تلك الليلة وصل إلى بيت أنور السادات بعد منتصف الليل ضابط بوليس يعمل في إدارة الرقابة على التليفونات بوزارة الداخلية، وكان يحمل معه مجموعة من الأشرطة المسجلة تكشف بوضوح أن كل تليفونات الرئيس كانت مراقبة... ولم يكن تليفونه هو تحت الرقابة، ولكن الرقابة وضعت تليفونات جميع الذين يتصل بهم بغير استثناء، وبالتالي فقد كان هو تحت الرقابة الكاملة وإن لم يوضع تليفونه هو بالتحديد في كشف المراقبات.

وفي صباح يوم 11 مايو أرسل إلي ابنته الكبرى في بيتي القريب من بيته يستدعيني لأمر هام.

ودهشت أنه لم يستعمل التليفون في دعوتي وأنه أرسل ابنته الكبرى لاستدعائي في هذا الوقت الباكر من الصباح، وذهبت إليه... وسألته مندهشاً عما يجري، وكان رده: "اجلس واسمع" وجلست وسمعت وأحسست بخطورة الموقف، واقترحت عليه أن يشرك معنا في السر الدكتور محمود فوزي رئيس الوزراء في ذلك الوقت...

ولم يكن هناك وقت، فقد كان مقرراً في ذلك اليوم أن يمر الفريق "فوزي" على الرئيس "السادات" لكي يصحبه إلى اجتماع مع قيادة القوات المسلحة... ونصحته بأن يذهب إلى اجتماعه مع الفريق فوزي، وأن يحضر اجتماع قادة القوات المسلحة كما كان مقرراً، كما نصحته أيضا أن ينتهز فرصة يتأكد فيها من موقف الفريق محمد صادق رئيس أركان

---

23 ـــ محمد حسنين هيكل، **خريف الغضب، قصة بداية ونهاية عصر السادات**، مصدر سابق، ص 107.

حرب القوات المسلحة، واتفقنا على لقاء مساء ذلك اليوم نعاود فيه بحث الأمر على أن يشترك معنا في البحث الدكتور فوزي".[24]

وحول دور القوات المسلحة في أي أحداث قد تقع، ذكر هيكل: "كان واضحاً لي، كما كان واضحاً للكل، أن موقف القوات المسلحة في هذا الصراع سوف يكون هو الموقف الحاسم، وكنت أتصور أنه لو أرادت مجموعة مراكز القوى أن تتحرك ضد رئيس الجمهورية، فليس أمامها إلا القوات المسلحة تستغلها، أما باستعمالها مباشرة أو تحييدها تماماً من الصراع".[25]

ويضيف: "ولقد أحسست بأول نذير ينبئ بالاحتمالات القادمة حينما همس الفريق محمد صادق في أذني مرة أثناء لقائي معه " قل لهذا الرجل أن يصحو من نومه وأن يأخذ حذره، وعلى اثر هذه الملاحظة العابرة فإن نصيحتي للرئيس السادات كانت أن يبقي خطوطه مع الفريق صادق مفتوحة وأن يحاول شخصياً أن يتأكد من موقف اللواء الليثي ناصف قائد الحرس الجمهوري... وهكذا فإن اتصالاً مباشراً بين رئيس الجمهورية وقائد الحرس بدا لي ضرورياً وهكذا كانت نصيحتي له، وهكذا فعل ".[26]

"كان أنور السادات – وإلى اللحظة الأخيرة – تحت الانطباع بأن الفريق صادق أقرب إلى مجموعة مراكز القوى منه إليه، وكانت تأكيداتي له تلك الليلة بناء على ما كنت أسمعه من الفريق صادق في عدة لقاءات سابقة، أن الأمر ليس كذلك وفي تلك اللحظات الحرجة مساء يوم 13 مايو، لم يكن للسادات وقت طويل للتردد وهكذا فإنه اتصل بالفريق صادق

---

24 ــ المصدر السابق، ص 108.

25 ــ المصدر السابق، ص 108.

26 ــ المصدر السابق، ص 112 – 113.

تلفونياً وسأله عن الموقف وطمأنه الفريق صادق وأخطره السادات بالتلفون بأنه عينه وزيرا للحربية".[27]

وسبق هذا الإجراء بساعات حدوث استقالة جماعية قدمتها مجموعة مايو (شعراوي جمعة، سامي شرف، ضياء الدين داوود، محمد فائق والفريق أول محمد فوزي)، وتحركت قوات الحرس الجمهوري بقيادة الليثي ناصف والمخابرات العسكرية واعتقلتهم جميعاً وحوكموا.

وعندما أراد السادات أن يقدم خطاباً للمواطنين يشرح فيها ظروف الأحداث وطبيعتها، قال له هيكل: "إنني أتصور أن القضية المركزية فيما يتعلق بهذا الصراع هي قضية الديمقراطية، فهي القضية التي تهم الناس مباشرة في هذه الظروف، إن الناس يريدون أن يسمعوه وهو يؤكد لهم ضمانات حرياتهم. لقد افلتوا بالكاد من شبح دكتاتورية كان يمكن أن تصل في تجاوزاتها إلى بعيد".[28]

ويرى أحمد حمروش، أن "هيكل كان في الصدام المنتظر بين أنور السادات ومجموعة مايو يزن الأمور بميزان خاص... فهو لم يكن يعلم ــ عن يقين ــ من الذي سينتصر في الصراع... ولم يكن واثقاً أي من الطرفين يمكن أن يكون أكثر تعبيراً عن أفكاره... وكانت حركته ــ فيما فهمت ــ مرتبطة بأمنه وحريته وقدرته على التعبير، ويخطئ من يتصور أن العلاقة بين هيكل وأفراد هذه المجموعة كانت سيئة إلى حد الصدام... شعراوي جمعة وزير الداخلية وأمين التنظيم كان يتصل به كل صباح.

وكان أفراد المجموعة يريدون أن يكون هيكل أكثر ارتباطاً بهم.

يقول محمد حسنين هيكل: "إنه بعد الاجتماع الذي عقد في الليلة السابقة لتشييع جنازة جمال عبد الناصر لما يمكن أن يحدثه ذلك من ردود فعل عنيفة

---

27 ــ المصدر السابق، ص 115.
28 ــ المصدر السابق، ص 116.

حول السعي من أجل السلطة... ولنفعل وقتها سامي شرف وقال محتجاً على رغبة هيكل في الاستقالة " أما أن نبقى جميعاً أو نخرج جميعاً "...

فلم تكن مجموعة مايو ــ إن صحت التسمية ــ على عداء مع هيكل في ذلك الوقت".[29]

ويستنتج سامي شرف من أحداث مايو 1971، "أن محمد حسنين هيكل كان يخاف من الرجال الأقوياء القريبين من عبد الناصر مثل علي صبري وشعراوي جمعة وسامي شرف، فحاول أن يبرز آخرين، شخصياتهم باهتة من نوع الدكتور محمود فوزي".[30]

ورغم ذلك "لا اعتقد أنه مهندس أحداث مايو 1971 كما أعلن"[31].

بعد الاطلاع على هذه الروايات المختلفة، بما فيها رواية هيكل لأحداث مايو 1971 يمكن أن نصل إلى بعض الاستنتاجات :

أولاً : لم يكن هيكل في قطيعة حادة مع رجال مايو، وإنما كان أمنه الشخصي من الدوافع التي جعلته لا يتحالف معها، خاصة وقد وصلته مؤشرات ــ وهو رجل معلومات متقدم ــ تقول أنهم في خانة الخسارة.

ثانياً: اقترب وتحالف مع السادات، لأن المجموعة الأخرى كانت له خلافات معها ترجع إلى عهد عبد الناصر نفسه.

ثالثاً: تعود هيكل طيلة ثمانية عشر عاماً أن يكون في موقع القريب من الرئيس، بدون وزارة، وهو اليوم لا يستطيع إلا أن يكون كذلك.

رابعاً: دوره في أحداث مايو تمثل في "تخدير" شعراوي جمعة حسب رواية سامي شرف.

---

29 ــ احمد حمروش، "زيارة جديدة لهيكل"، الحلقة الرابعة، مجلة "**روز اليوسف**" المصرية، عدد 22-12-1986، مرجع سابق.

30 ــ سامي شرف، مقابلة خاصة، مرجع سابق.

31 ــ المرجع السابق.

خامساً: وتمثل أيضاً في ربط علاقة مع الفريق محمد صادق رئيس أركان حرب القوات المسلحة، وهي رواية هيكل نفسه وكذلك رواية سامي شرف.

سادساً: كان له دور في إعطاء فلسفة خاصة للأحداث، وهي الدفاع عن الديمقراطية ضد دكتاتورية "مجموعة مايو".

3- تغطية أحداث مايو صحفياً

بعد أن أدى هيكل أدواره التي حددها لنفسه في أحداث مايو 1971. شن حملة صحفية دعائية ضد مجموعة مايو لصالح الرئيس "المنتصر" أنور السادات، قال فيها ومنذ الأسبوع الأول من الأحداث:

"والغريب أنني كنت آخر واحد يحق له أن يفاجأ، ذلك أنني تعرضت، منذ 28 سبتمبر الماضي، و حتى 15 مايو الأخير، إلى تجربة عنيفة، أرد نفسي عن الكلام في تفاصيلها الآن.

كانت المحاولة معي، تستهدف إلى خنق صوتي، وإلى تشويه ما أقول، وإلى حصاري، ثم أسري بعد ذلك، أو ما هو أشد من الأسر.

كانت الظروف قد أتاحت لي أن أعرف قسطاً أكبر من الحقيقة. وكانت الحقيقة هي المستهدفة... والحق بعدها.

ولقد حاولت كل جهدي أن أقف، وأن لا ألتفت ورائي، رغم أنني كنت أعرف ــ وذلك أكدته الأدلة فيما بعد ــ أن كل شيء من حولي كان مراقباً... تليفوني، وبيتي، ومكتبي ومقابلاتي، وتحركاتي.

والغريب أنني كنت أحاول، مع ذلك كله، أن أقوم بدوري في المسئولية الوطنية، في ظرف يجعل من كل وطني... مسئولاً مهما قلت حيلته وزاد عذابه".

ثم أضاف "ولقد عشت لحظة التفجير... ومن حسن الحظ أن التدمير لم يقع، وتلك شهادة تاريخية لأنور السادات، وشجاعته الأدبية والمادية، في لحظات بالغة الصعوبة والخطر، كما أنها شهادة حضارية لشعب مصر الذي استوعب كل ما جرى وسار عليه، وانتصر بغير طلقة رصاص واحدة وبغير نقطة دم واحدة. وفي غير مصر، فإن ما حدث، كان يمكن له أن يتحول إلى حريق، وإلى حمام دم! ولقد كنت أول من دعاه الرئيس أنور السادات إلى بيته صباح يوم الأربعاء 12 مايو.

ولم يستدعني الرئيس بالتليفون، كما تعود أن يفعل ولكنه بعث إلى بكريمته تدق باب بيتي في الصباح الباكر، وتقول أن والدها يريدني للقائه فوراً. لم يكن رئيس الجمهورية واثقاً أنه يستطيع الحديث بأمان في التليفون مع صديق يدعوه إلى بيته.

وأحسست بأن شيئاً وقع.... أو هو على وشك أن يقع، خصوصاً، وقد كنت على وعي بأن العاصفة تتجمع، وأنها على وشك الهبوب كرياح الخماسين المقبضة والخانقة والمظلمة.

وذهبت إلى بيت أنور السادات في تلك الساعة من الصباح الباكر، وإذا بي أسمع القصة المذهلة لزائره المجهول في الليل، حامل الأشرطة، من غرفة التسجيلات في وزارة الداخلية. واستمعت، واستمعت، واستمعـــــت، حتى أصبت بالغثيان!

كان يجب أن لا أفاجأ... ومع ذلك فوجئت. ليس إلى هذه الدرجة..... وليس بهذا الثمن!

تلك كلها في الأعماق كانت صرخات أسى، لكنها الآن بلا فائدة، لا تدفع شراً، ولا تقي من خطر.

ولم يهتز أنور السادات كقائد، ولكنه كان متأثراً كإنسان، وكان قوله في تلك اللحظات، وهو بعد على مقعده الذي استمع فيه إلى القصة المذهلة، التي تتحدث بها الشرائط المسجلة، التي جاءته بالصدفة المحضة، وبوازع الضمير وحده، في قلب إنسان وطني، أحس في موقعه أنه مسئول.

كان في مقعده لم يبرحه منذ ساعات... مضى الليل، وطلع الفجر، وظهر الصبح، وهو جالس يتأمل و يفكر.

وكان قوله وأنا جالس أمامه:

- "إنك تعرف كل ما فعلت معهم.

لقد أعطيتهم ثقتي، ولم أسمع فيهم أحداً، وتركت لهم الفرصة كاملـــة، وكنت أحاول تقديمهم للصدارة، في إطار الشرعية، لكي يكبروا بطريقة طبيعية.

لقد جاء البعض ولامني لأني تركت في يدهم كل مفاتيح القوة. وزارة الحربية، وزارة الداخلية، وزارة شئون رياسة الجمهورية، وزارة الإعلام، المخابرات العامة، التنظيم السياسي. كل شيء كان في يدهم. لقد قلت للذين لاموني: إنني لا أبدأ بتخوين أحد.... وأنا أعطي ثقتي كاملة، أو أسحبها كاملة.

كانوا في خدمة جمال عبد الناصر، وكان ذلك يكفيني، رغم علمي برأيه في بعض تصرفاتهم، لكنه كان دائماً يضعهم في حجم معين لا يتجاوزونه. كانوا في خدمة جمال عبد الناصر، وأردتهم للاستمرار على طريقه.

وكانوا في حياته مجرد أدوات و إن كانوا في فترة انشغاله بالمعركة، وفى ظروف مرضه، قد تجاوزوا دور مجرد الأدوات.

قلت ليكن... سوف أفتح صفحة جديدة، وسوف أعطيهم الثقة والفرصة، لكي يتقدموا، ويثبتوا أنفسهم أمام الناس.

واستطرد الرئيس السادات، وأنا جالس أمامه صامت بالكلمات، ممزق بالانفعالات:

" ــ أنت كنت تتابع ما يجري، و أنت حضرت موضوع الاتحاد بين مصر وليبيا وسوريا منذ بدايته مع جمال عبد الناصر، ولقد جئت بوثائقك معك في اجتماع اللجنة التنفيذية العليا، وحاولت أن تشرح أمامهم وقائع التاريخ، ولكنهم لم يسمعوك.

إن الموضوع لم يكن موضوع الاتحاد.

إن الاتحاد كان مجرد فرصة أرادوا انتهازها لصراع السلطة ولفرض الوصاية، وللاستبداد بمصير الوطن.

جاءوا إلى اللجنة المركزية بربطة الرفض أولاً... ثم جاءوا بعد ذلك بربطة القبول بغير مناقشة، وكان الهدف مجرد استعراض قوة.

لماذا ؟.. ومن أجل ماذا ؟

قلت لهم إنني سأذهب إلى الشعب مباشرة وأحتكم إليه، وهذه الأشرطة أمامنا، تروى كيف حوصرت الإذاعة، وكيف رتبت أمورها من الخارج والداخل، لمنعي من الوصول إلى حيث أستطيع أن أتحدث إلى الشعب."

واستطرد الرئيس السادات :

" - تذكر أنك جئتني مرة وأنا في القناطر، وسألتني متحيراً: على أي شيء أقيم حساباتي في الموقف المبدئي الذي قررته لنفسي.

قلت لي يومها: إن بينهم وزير الحربية، وبينهم وزير الداخلية، وبينهم وزير شئون رياسة الجمهورية، وبينهم وزير الإرشاد، وبينهم مدير المخابرات العامة، وبينهم القائمون على شئون التنظيم..

يومها سألتني:

" - من معك أنت، وعلى أي أساس تجرى حساباتك فيما يدفعون إليه من مواجهة." يومها قلت لك:

" - معي الله، ومعي الشعب."

إنني أحسست يومها أنك نظرت إلى بدهشة، مع أنك حاولت أن تخفيها، و لعلك لو لا الحياء، كنت على وشك أن تسألني:

" - أليس هناك شيء آخر؟." إنني أحسست بدهشتك، لعلك تذكر أنني قلت لك:

" - ليس معي شيء آخر... وما معي يكفي، وكنت أدعو من قلبي أن تعود العقول إلى الرؤوس".[32]

ثم دافع عن السادات مستنجدا بذكرى عبد الناصر في هجومه على رجال مايو قائلا : " واستطرد الرئيس أنور السادات:

"هل تذكر مرة أخرى تحدثت إليك بالتليفون في بيتك، وأنا أعلم أن تليفونك وتليفوني تحت الرقابة، وقلت لك وقصدت أن يسمعوا وأن يعرفوا وأن يتدبروا:

ـ إن آخر وصية تركها لي جمال عبد الناصر هي قوله مرة قبل رحيله بأسابيع قليلة وكان قوله مفاجأة لم أتوقعها:

"أنور... كل ما أخشاه أن يجيء بعدي من يذل هذا الشعب، إن هناك تركيزاً في السلطة فرضته ظروف الحرب ظروف التطور، و كان أملي بعد بيان 30 مارس أن تتغير الأوضاع ولكن الأحوال يومها لم تهيأ لي ما كنت أتمنى.. كنا خارجين من أزمة سلطة في أعقاب حرب سنة 1967 وما كشفت بعدها من مخبآت ولم يكن في وسعي أن أمشى الشوط كله وإلا

---

32 ـ مقال بعنوان "ماذا أقول؟"، "الأهرام" عدد 21 – 5 – 1971.

لأحدثت في البلد هزة كبيرة في أيام عصيبة وعلى أي حال، فإنني قلت لنفسي بعد الحرب لابد من ثورة ثقافية عميقة في مصر وقد لا أعيش حتى أرى هذا اليوم ولكن وصيتي لك أن لا تجعل أحداً يذل هذا البلد." يومها قلت لجمال عبد الناصر :

ــ كيف تقول لي هذا الكلام... إنك سوف تعيش بإذن الله بعدي وسوف تضعني بيدك في قبري وترعى أولادي بعدي وأنا لهذا مطمئن مستريح ... ثم إنك سوف تفعل كل ما تشعر أنه واجب عليك أن تفعله."

والغريب بعد ذلك أن جمال عبد الناصر لم يسكت وإنما عاد يقول:

- لا أريد لأحد أن يذل هذا البلد من بعدي... هذا ما يؤرقني." واستطرد أنور السادات وهو يتنهد من أعماق الأعماق:

"قلت لك في التليفون يومها بعد أن رويت لك حديث عبد الناصر أو قصته إنهم برغم كل ما أعطيت وتركت لهم ما يريدون أن يكونوا ولاة يتصرفون في كل الأقدار وهذا ما لن أسمح به ".[33]

كذلك كتب هيكل مضيفاً: "وعاد أنور السادات من المواقع الأمامية. ولقيته بعد عودته ثم ظللت على اتصال به حتى رأيته خلال الساعة الحاسمة في تاريخ مصر الحديث، ما بين الحادية عشرة من مساء يوم الخميس إلى الساعة الثانية عشرة، وبعدها إلى الصباح.

كانت الاستقالات الجماعية قد أعلنت في الإذاعة قبل أن تصل إليه بهدف إحداث انهيار دستوري وكانت الأوامر قد صدرت إلى بعض عناصر التنظيم السري أن تخرج إلى الشارع، وكان تصور وزير الحربية السابق أنه في هذه الحالة يستطيع أن يتذرع بانفجار في الجبهة الداخلية.

---

33 ــ المصدر السابق.

كان أنور السادات في هذه الساعة الحاسمة من التاريخ هائلاً بأكثر مما يستطيع أن يتصور أو يصف أحد. كانت قراراته لمواجهة التطورات المفاجئة... مزيجاً مدهشاً من الهدوء والحسم ".[34]

وختم مقاله الشهير هذا بانتقاد حاد لرفاق عبد الناصر الذين يعتقدون أنهم سيكتسبون شرعية فقط من خلال ذكراه أو علاقتهم به ذات يوم : "إن جمال عبد الناصر ليس له خلفاء ولا صحابة، يتقدمون باسمه أو يفسرون نيابة عنه. لقد كان له زملاء وأصدقاء، وقيمة ما تعلموه عنه، مرهونة بما يظهر من تصرفاتهم على أن تكون محسوبة عليهم، دون أن يرتد حسابهم عليه.

إن خلفاء جمال عبد الناصر وصحابته الحقيقيين هم كل الشعب، وليسوا بعض الأفراد وهم كل قوى التطور والتقدم، وليسوا بعض المجموعات، وهم كل المستعدين لأن يعطوا باسم عبد الناصر، وليسوا كل الذين يمكن أن يأخذوا باسمه.

وأكاد أقول أن تأثير جمال عبد الناصر فيمن لا يعرفهم شخصياً، أعمق منه فيمن عرفهم شخصياً، ذلك لأن الذين لم يعرفهم كان استيعابهم لفكره خالصاً، وأما الذين عرفهم، فإن استيعابهم لفكره ربما كان مشوباً ــ في بعض الأوقات وفي بعض الظروف ــ بمطامعهم الذاتية، وهذا مفهوم، لأن الطبيعة البشرية لها أحوالها ونزعاتها.

ولقد يستطيع زملاء وأصدقاء جمال عبد الناصر إن يرووا عنه، ولكن ذلك كله يدخل من باب التاريخ، دون أن يكون جوازاً إلى باب المستقبل.

وأريد أن أكون واضحاً.

إنني مع الذين يؤمنون بأن علم التاريخ هو علم فهم المستقبل، باعتبار أن التاريخ هو وعاء التجربة الإنسانية.

---

34 ــ المصدر السابق.

ولكن هناك فارقاً كبيراً بين حالتين :

حالة التاريخ كعلم لفهم المستقبل.

وحالة التاريخ كفن للتحكم في المستقبل!

الحالة الأولى مقبولة، بل ومطلوبة، على أن لا تكون امتيازاً لأحد، وإنما يشارك فيها كل الذين رأوا منه وسمعوا عنه، حتى ولو كان لقاؤهم معه دقائق و ثواني.

والحالة الثانية غير مقبولة، بل وهي مرفوضة لأنها تحمل شبهة تحويل ذكرى جمال عبد الناصر إلى كهنوت، والكهنوت له كهنة، والكهنة لهم حجاب، والحجاب لهم حراس، والحراس وراء أسوار، والشعب خارج الأسوار ينتظر الوحي... وهذا كله أبعد الأشياء عن جمال عبد الناصر وشخصيته وطبيعته ثم هو أكثر ما يكون تصادماً مع معتقداته الأساسية".[35]

وبعد أسبوع آخر، كتب مقالا جديدا تحت عنوان (السؤال الأول والسؤال الأكبر) كرر فيه نفس أطروحته من أحداث مايو وقال فيه: "كيف نستطيع أن نخلق الظروف التي يمكن أن تحول دون تكرار الكابوس المخيف الذي رزح على كاهل مصر طوال الشهور الأخيرة الماضية، حتى استفاق منه شعبها وقلبه يدق بعنف وأنور السادات يهزه برفق ليقول له:

ــ لقد سقط سلاطين الظلام، وتبددت أشباح الخوف، ونحن الآن على الطريق، وعلى المسيرة، وأمامنا المعركة، والبناء الاجتماعي والاقتصادي، والأمل، والنصر". هذا هو السؤال! ".[36]

---

35 ــ المصدر السابق.

36 ــ مقال بعنوان "السؤال الأول والأكبر"، **الأهرام**، عدد 28 – 5 – 1971.

ثم كتب أيضاً: "وكان أنور السادات يتصرف على سجيته... سجية مصري أصيل مفتوح القلب والعقل معاً ولم يكن ــ للإنصاف ــ يشعر بالتراكمات التي تحدثها تصرفاته على السجية.

كان مطلوباً وضعه تحت الوصاية.

ولم يكن الرجل مستعداً لذلك... بل أغرب من ذلك أنه لم يشعر من جانبه بأية حساسية وكان لا يزال يعطي ثقته لم يسحب منها شيئاً.

ومع بداية سنة 1971 دخلت المسائل في طور كان محققاً أن يؤدي إلى كارثة. بدأت عناصر في الاتحاد الاشتراكي تعبئ ضده، وكان ذلك سهلاً بسبب سرية التنظيم الطليعي الذي أقيم في قلب الاتحاد الاشتراكي وبسبب الشلل التي تكومت في وسط السرية. كانت السرية تسمح لثلاثة أو أربعة على قمة التنظيم بأن يوجهوا على النحو الذي يريدون. كانت "الشلل" المكومة والمسربلة بغموض السرية تحدث خلطاً بين الحركة العامة للتنظيم السياسي وبين المخطط المقصود والمدبر والمتناقض في الحقيقة مع أهداف هذا التنظيم السياسي".[37]

كذلك ختم مقاله بالحديث عن معجزة: "ولقد حدثت المعجزة في المرة الثانية التي استفقنا الآن من هولها بسبب أن مواطناً تحرك ضميره فذهب بأشرطته في الليل إلى رئيس الجمهورية يضع الحقيقة تحت تصرفه. ثم كانت بعد ذلك شجاعة رجل في موقع المسئولية الأولى تصرف بجرأة نادرة في لحظات خطر محيق. ليكن... وليكن أن مصر هي كنانة الله يحميها من كل سوء. ولكن السؤال :

ــ كيف نستطيع نحن أيضاً أن نحمي مصر؟.. كيف تستطيع جماهير مصر أن تحمي مصر باعتبارها صاحبة مصر؟

---

37 ــ المصدر السابق.

هذا هو السؤال. ولقد أجاب عليه أنور السادات بإشارات هامة إلى: بناء الدولة الحديثة، بمؤسساتها السياسية والدستورية والعلمية والفكرية، بسلطة تحالف قوى الشعب العامل، بالحوار المفتوح على أساس كل القيم العظيمة التي تتمثل في وثائق الثورة الأساسية. وهى ميثاق سنة 1962 وبيان 30 مارس 1968، وبجهد كل الرجال والنساء والشباب وحتى الأطفال في هذا الوطن الذي يقف اليوم على الخط الأول لجبهة أمته العربية في مشهد من المشاهد الحاسمة في التاريخ. هذا هو التحدي... بعد السؤال".[38]

وبعد مدة من الزمن عاد وكتب مقاله (الخطوة الضرورية) حيث جاء فيه: "ثم جاءت بعد ذلك ولاية أنور السادات التي مرت خلال أربعة عشر شهراً بثلاث مراحل:

ــ مرحلة انتقال في موقع السلطة بين 28 سبتمبر 1970 و14 مايو 1971 وكان أنور السادات فيها رئيساً شرعياً.

ــ ومرحلة تأكيد لموضع السلطة بين 14 مايو 1971 و11 نوفمبر الأخير حين ألقى خطابه في افتتاح مجلس الشعب الجديد وكان أنور السادات فيها رئيساً شرعياً وفعلياً.

ــ ثم بدأت المرحلة الثالثة بقرار الحسم وبكل السلطة والمسئولية معاً، وهذه المرحلة هي التي ستجعل من أنور السادات ــ بإذن الله ــ قائداً تاريخياً لشعبه وأمته...

لأن القيادة التاريخية مرتبة أعلى بكثير من الرئاسة مهما كان وصفها. الأمة والرجل إذن أمام التحدي الأكبر والأخطر معاً. الأمة بكل المخزون من طاقتها... والرجل بكل سلطة ومسئولية اتخاذ القرار...".[39]

---

38 ــ المصدر السابق.

39 ــ مقال بعنوان "الخطوة الضرورية"، **الأهرام**، عدد 26 – 11 – 1972.

40ــ مقال بعنوان "علامات على طريق طويل"، **الأهرام**، عدد 11 – 2 – 1972.

وعاد مرة أخرى، وكتب "إن قيادة أنور السادات، على طريق جمال عبد الناصر، هي الممثل الشرعي لحركة الثورة الوطنية والقومية في المرحلة الراهنة، وظني أن هذه القيادة، وتأييدها إلى آخر المدى هو العاصم الحقيقي في هذه الظروف من جاهلية اليمين المتخلف وجهل اليسار المغامر".[40]

وأضاف: "وعندما يكون هناك اتساق بين السلطة والجماهير... أي عندما تكون السلطة تعبيراً عن الجماهير وتكون الجماهير واثقة في السلطة فإن الجبهة الداخلية تصبح أقوى مما تكون وأكثر استعداداً.

والتعبير والثقة كلاهما ينشأ عن الحوار. والحوار بدوره هو الذي يمهد الأرض للمشاركة وهي جوهر الديمقراطية. وتستطيع أي سلطة أن تقمع وأن تضرب، لكنها حين تفعل ذلك تكون قد عزلت نفسها عن قاعدتها، وتصبح معلقة في الهواء، ذروة ليس تحتها هرم، قمة ليس تحتها جبل.

ولقد أثبت أنور السادات ذلك عملياً في معركته ضد مراكز القوى.

كان أمامها أعزل من أي سلاح، ليس في يده ــ كما قلت مرة ــ غير عصا من فرع شجرة جميز يتوكأ عليها أحياناً. وكانوا أمامه ومعهم كل أدوات السلطة في مصر. وكنسهم من فوق الأرض كنساً لأن الجماهير كانت معه".[41]

واستمرت العلاقة قوية بين هيكل والسادات حتى حرب 6 أكتوبر 1973 عندما أعلمه الأخير بالموعد التقريبي للمعركة، وبأنه يريد منه أن يشارك في بعض نواحيها السياسية والإعلامية.

---

41 ــ المصدر السابق.

وأنه يفكر في أن يتفرغ لهذا العمل بجانبه في رئاسة الجمهورية ويترك عمله الصحفي في "الأهرام" وقال له هيكل أنه يستطيع أن يؤدي ما يطلبه منه وفي نفس الوقت يواصل عمله الصحفي... ودخلا في تفاصيل الإعداد للعملية العسكرية على جبهة القتال.[42] وكلفه يوم 27 سبتمبر 1973 بأن يكتب توجيهه الإستراتيجي إلى القائد العام للقوات المسلحة الفريق أول احمد إسماعيل علي، لتحديد الأهداف الإستراتيجية للحرب.[43]

وأثناء الحرب كان ضيفاً شبه مقيم في "قصر الطاهرة" الذي اتخذه الرئيس مقر القيادة في أيام الحرب... كان هناك ليلاً ونهاراً في كل ما يطلبه الرئيس منه في تلك الظروف، وأهداه الرئيس مرة علماً إسرائيلياً ممزقاً كان مرفوعاً على مقر القيادة الإسرائيلية لخط بارليف إلى جانب لفائف مخطوطة من التوارة من سفر الخروج كانت موجودة في هذه القيادة... وقال له ضاحكاً: إني أعرف غرامك بجميع مثل هذه الشظايا التاريخية.[44]

ومع انتهاء الحرب، وبداية المفاوضات بين السادات والولايات المتحدة الأمريكية و"إسرائيل"، بدأ الخلاف يدب شيئاً فشيئاً بين هيكل والرئيس حتى وصل حد القطيعة.

---

42 ــ محمد حسنين هيكل، **وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي**، مصدر سابق، ص 141.

43 ــ المصدر السابق، ص 142.

44 ــ المصدر السابق، ص 142.

الفصل الرابع

هيكل – العهد الساداتي :

الاختلاف

بعد أن تحالف هيكل مع السادات ضد مجموعة مايو وساهم بأسلوبه في توطيد حكم الرئيس الجديد، فإن غيوماً كثيرة بدأت تتجمع في سماء العلاقة بين الرجلين، وخلافات عميقة بدأت تتراكم شيئاً فشيئاً حتى وصلت بالعلاقة إلى حد القطيعة النهائية.

1 ــ أسباب الاختلاف

يعتقد هيكل أن مجموعة الخلافات التي حدثت بينه وبين الرئيس أنور السادات تتحصر أسبابها في :

ــ اختلاف فيما قاله السادات عن سنة 1971 باعتبارها "سنة الحسم"، ولم يرها هيكل كذلك لأكثر من سبب. "وحتى إذا كانت كذلك فلم يكن ينبغي الإعلان".[1]

---

1 ــ محمد حسنين هيكل، **بين الصحافة والسياسة**، مصدر سابق، ص 357.

ـ اختلاف في الطريقة التي عالج بها مظاهرات الطلبة في أواخر سنة 1971، ولم يكن يرى أن العنف هو وسيلة الحوار مع الشباب.[2]

ـ اختلاف في علاج موضوع الفتنة الطائفية، فقد كان السادات يرى تفجير المشكلة، أما هيكل فيراها مشكلة لا تصلح فيها سياسة الصدمات الكهربائية، وإنما لابد من علاج حذر لأسبابها وعوارضها، ولجذورها قبل الفروع.[3]

ـ اختلاف في موضوع الوحدة مع ليبيا، وكان هيكل من أنصارها، ويراها مختلفة عن تجربة الوحدة مع سوريا بسبب عنصر الاتصال الجغرافي والسكاني، فهي تشكل عمقا للمعركة بثلاثة آلاف ميل على شاطئ البحر الأبيض، كذلك فإن الثروة السائلة الليبية تتكامل مع الإمكانيات البشرية والطاقة الإنتاجية المصرية ـ وكان السادات يتهمه بالانحياز لمعمر القذافي وهو يعلم أنه لم يضع قدما في ليبيا منذ سنة 1970 حين زارها لآخر مرة في صحبة جمال عبد الناصر.[4]

ـ اختلاف في الطريقة التي راح السادات يجري بها اتصالات خفية مع الولايات المتحدة الأمريكية عن طريق قناة اتصال خلفية.[5]

ـ اختلاف حول الصورة الجديدة لعلاقاته مع بعض العناصر في المملكة العربية السعودية.[6]

ـ اختلاف حول الطريقة التي جرى بها إخراج الخبراء السوفيات من مصر.[7]

---

2 ـ المصدر السابق، ص 357.
3 ـ المصدر السابق، ص 357.
4 ـ المصدر السابق، ص 358.
5 ـ المصدر السابق، ص 358.
6 ـ المصدر السابق، ص 358.

ـ اختلاف حين اعتذر هيكل عن إجراء مفاوضات سرية مع كيسنجر، لأن موقفهم التفاوضي وقتها لم يكن قوياً في تقديره، وكذلك لأن هدفه من التفاوض لم يكن واضحاً أمامه.[8]

ـ اختلاف في قرار السادات بنقل ثمانين صحفياً إلى وظائف في مصلحة الاستعلامات، وبينهم بعض أبرز أصحاب القلم (وبينهم من أسرة الأهرام الأستاذ احمد بهاء الدين والدكتور يوسف إدريس والدكتور لويس عوض والأستاذ مكرم محمد احمد والأستاذ زكريا نبيل والسيدة أمينة شفيق، إلى جانب رئيس قسم المعلومات في الأهرام الأستاذ محمد حمدي)، واعتذر عن تنفيذ القرار فيما يتعلق بالأهرام ووضع أمام السادات استقالته.

في هذا كله، كان حريصاً على أن يظل الخلاف في حدوده... "فهو رئيس الدولة وصاحب القرار ـ ولي الحق أن أبدي رأيي ـ ولكنه المسئول وحده أولاً وأخيراً ".[9]

ـ ثم جاء الخلاف الأكبر حول الإدارة السياسية لحرب أكتوبر وكان يرى نتائج الحرب تضيع واحدة بعد واحدة، وراح يكتب رأيه بصراحة لا لبس فيها في مجموعة مقالات امتدت من أكتوبر 1973 إلى أول فبراير 1974، وصدرت هذه المقالات في مجموعة واحدة على شكل كتاب فيما بعد تحت عنوان "عند مفترق الطرق".[10]

وفي أواخر شهر ديسمبر 1973 طلب السادات من هيكل أن يلتقيا في نادي الرماة عند سفح الأهرامات وهناك قال له "إن مقالاتك تحدث بلبلة في الرأي العام كله". وكان السادات قد غضب أشد الغضب من مقال كتبه هيكل

---

7 ـ المصدر السابق، ص 358.
8 ـ المصدر السابق، ص 358.
9 ـ المصدر السابق، ص 358.
10 ـ المصدر السابق، ص 359.

بعنوان "أسلوب التفاوض المصري"، وقرأه في طائرة كانت تقله إلى السعودية، وعاد من رحلته وقد بلغت ثورته مداها. وذكر أيضاً أنه لم يعد صحفياً وإنما أصبح سياسياً ولابد أن يترك الصحافة إلى السياسة، وكان من رأيه أنه ليس من حق الصحفي أن يناقش القرار السياسي فتلك مسؤولية الرئاسة. وكان رأي هيكل أن حرية الصحافة في صميمها هي مناقشة طريقة صنع القرارات إلى جانب نتائج القرار... ثم خيره بين العمل في الوزارة (نائبا لرئيس الوزراء) أو في الرئاسة (مستشارا للرئيس لشؤون الأمن القومي).

وكان رد هيكل: "إنه يستطيع أن يقرر أنه لم يعد يريد بقائي في الأهرام، ولكني وحدي أقرر ماذا أفعل بعد ذلك".

واعتبر أن هيكل يريد أن يملي عليه آراءه ويفرض تصوراته. ثم انتهيا من مشادة حامية وقد ترك له "الفرصة للتفكير".[11]

هذه مجموعة أسباب الاختلاف التي أوردها هيكل. بقي أنه يمكن لنا إضافة مجموعة من الأسباب الأخرى المتعلقة برؤية السادات للعلاقة.

بدأ الرئيس أنور السادات مبكراً في التخلص من حلفائه الذين ساندوه في توطيد حكمه، وضرب مجموعة مايو، حيث لم تمر سنة على الأحداث حتى قام بإزاحة الفريق محمد صادق من قيادة القوات المسلحة، وهو أهم شريك له في انتصاره في صراع مايو 1971، كما وجد اللواء الليثي ناصف، القائد السابق للحرس الجمهوري والذي اعتقل مجموعة مايو، منتحراً من شقته في لندن، حيث ألقى بنفسه من النافذة في ظروف غامضة، كما سجن حليف السادات محمد عبد السلام الزيات... وكان طبيعياً أن يصل الدور إلى محمد حسنين هيكل، فالسادات اتبع خطة ذكية، وهي التخلص من الذين ساعدوه في إقامة حكمه حتى لا يمنون عليه في

11 ـــ المصدر السابق، ص 359.

أي يوم من الأيام بأنهم شركاؤه، وحتى لا يمارسون صلاحياتهم القوية التي استمدوها من أدوارهم في أحداث مايو 1971... ومهما حاول هيكل أن يتفادى الصراع، فإن الصدام كان سيحدث حتماً لأن السادات لم يكن في حاجة إلى شركاء في السلطة... وكان يسير منذ البداية نحو الانفراد بكل شيء...

2 ـ محاولة صلح

واجه هيكل الحملة الشرسة التي شنت عليه في الصحافة المصرية بهدوء كبير، متفادياً كل رد فعل متشنج، ومحافظاً على بعض الجسور بينه وبين الرئيس أنور السادات.

وهو ما جعل الحملة الموجهة ضده تتوقف في أواخر سنة 1974 والنصف الأول من 1975، وعادت الصلات بينه وبين الرئيس و"أمسك الآخرون أعصابهم".

ففي خريف 1974، اتصل به السادات فجأة وبغير مقدمات يقول له أنه يريد أن يراه، وحدد له موعداً في استراحة الهرم وذهب إليه... وأعاد طلبه في تولي منصباً رسمياً، ورفض هيكل ثم قال "... لقد ابتعدنا ستة شهور لم نلتق فيها، وكان لي موقف من بعض ما حدث، وكان لك موقف، فإذا سمحت لي بمكان ومكانة الصديق فإنني أستطيع أن أعود للتعرف على مجرى الأحداث وقد نستطيع أن نصل إلى تفاهم أعمق". وكان الرئيس ودوداً في قبوله رأيه. وهكذا عاد إلى الاقتراب منه وأصبح يراه بانتظام ويتحدثان في كل شيء.[12]

---

12 ـ المصدر السابق، ص 390 – 391.

وفي تلك الفترة تابع عن قرب محادثاته مع "هنري كيسنجر" في أسوان، وكانت المحاولة الأولى في المرحلة الثانية من فك الاشتباك، ولم تنجح ويتصور هيكل أن مناقشاته مع السادات في مخاطر ما كانت تعرضه إسرائيل في ذلك الوقت كان لها أثر في موقفه، وكان رأيه أنه أقوى بغير اتفاق منه باتفاق سيء، وتفهم الرئيس رؤيته وتقبلها.(13)

كما تولى كتابة خطابه في مجلس الشعب الذي شرح فيه أسباب فشل الاتفاق.

وقدم له في إطار مشروع هذا الخطاب اقتراح فتح قناة السويس بقرار مصري وإرادة مصرية، وكان يتصور أن ذلك يقلل من تلهفه على الوصول إلى اتفاق، فقد كان يريد دخل قناة السويس ودخل بترول سيناء.

وقال له هيكل: "بهذا الاقتراح تستطيع بغير اتفاق أن تحصل على نصف ما تريد دون حاجة إلى شروط مجحفة ".

وقبل رأيه كاملاً، وحين رأى أثر فتح قناة السويس على العالم كله كان بالغ السعادة، وكانا يلتقيان كل يوم.(14)

ثم كتب خطابه أمام مجلس الشعب عن إعادة تنظيم العمل الداخلي، وكان يريد إسناد رئاسة الوزارة لممدوح سالم".(15)

ومما يدل على أنه مازال قريباً من الرئيس، ومازال موضعاً للثقة، أن الرئيس السادات قام وطلبه للقاء في "استراحة القناطر" مساء يوم 11 ابريل 1975، وهناك عرض عليه منصب نائب رئيس الوزراء للإعلام في وزارة ممدوح سالم التي كان يجري تشكيلها في ذلك الوقت... ووجد أنه مناسب ولائق أن يذهب إلى الرئيس ظهر يوم 14 ابريل ليرجوه نهائياً

---

13 ــ المصدر السابق، ص 391.

14 ــ المصدر السابق، ص 392.

15 ــ المصدر السابق، ص 392.

إعفاءه من قبول هذا المنصب لعدة أسباب... وتصور السادات أنه لا يريد العمل في الوزارة فعرض عليه أن يكون مديراً لمكتب رئيس الجمهورية بدرجة نائب رئيس الوزراء، ومرة أخرى اعتذر.[16]

لكن لم يستطع هيكل أن يبقى على علاقة جيدة مع السادات، فأصبحت علاقتهما تزداد توتراً كل يوم.

3 – القطيعة

عندما ظهر كتاب هيكل "الطريق إلى رمضان"، اعتبر السادات أن الكتاب لم يعطه حقه وكان هذا حكماً بناه على بعض ما نشرته الصحف من أجزاء الكتاب.[17]

وبعد نشره في لندن في شهر مايو 1975، شنت عليه الصحف المصرية حملة عنيفة وكان ذلك بمقولة أنه زيف التاريخ.[18] وذلك بعد أن اتهمه الرئيس السادات في كل خطبه بهذه التهمة، ثم اتهمته هذه الصحف بالعمالة للمخابرات المركزية الأمريكية مستشهدة "بخروتشوف" وبعميل المخابرات الأمريكية " مايلز كوبلاند" من خلال ما كتبه.[19]

وبدأ منذ سنة 1975 يكتب عن مصر مقالات منظمة تنشرها مجموعة من الصحف العربية خارج بلاده.

---

16 ــ محمد حسنين هيكل، **وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي**، مصدر سابق، ص 261.

17 ــ محمد حسنين هيكل، **بين الصحافة والسياسة**، مصدر سابق، ص 394.

18 ــ محمد حسنين هيكل، **وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي**، مصدر سابق، ص 261.

19 ــ محمد حسنين هيكل، **بين الصحافة والسياسة**، مصدر سابق، ص 394 – 395.

وكانت أولها سلسلة ظهرت في كتاب عنوانه "لمصر لا لعبد الناصر" ثم تبعتها سلاسل أخرى كان من بينها مجموعة مقالات عن المبادرة (مبادرة الصلح مع "إسرائيل") صدرت في شكل كتاب تحت عنوان "حديث المبادرة".

وبدأ السادات يعد "قانون العيب" وبدأ بعض مستشاري مجلس الدولة المكلفين بمراجعة صياغة القانون يسمونه "قانون هيكل".[20]

وحاول في هذه الفترة أن يدفعه إلى الهجرة من مصر. وخاف كثير من أصدقائه ولم يهاجر بل ولسنة كاملة لم يسافر من مصر على الإطلاق حتى يكون تحت تصرف أي قانون ولو كان مفصلاً من أجله.[21]

وذكر في أحد مقالاته، أنه أجهش بالبكاء عندما سمع إذاعة القاهرة تقول في وصفها لترتيبات زيارة السادات إلى القدس، أن سربا من مقاتلات السلاح الجوي الإسرائيلي سوف يخرج لاستقبال طائرة الرئيس السادات عندما تدخل الأجواء الإسرائيلية... وكان تعبيراً عن مشاعر حزينة تعلقت به.[22]

وحينما زار "مناحيم بيغن" مصر، وصف مشاعره وانفعالاته قائلا:

"... كان موكبه أمام نافذة مكتبي يعبر جسر النيل.

لحظتها ــ ولدقائق ــ راودني إحساس طاغ بأنه لم يبق أمامي غير أن أحزم حقائبي وأرحل، لكني بعد قليل ساءلت نفسي:

ــ وهل أترك له جسر النيل ؟

جاءني الرد من أعماقي :

---

20 ــ المصدر السابق، ص 398.

21 ــ المصدر السابق، ص 399.

22 ــ محمد حسنين هيكل، **وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي**، مصدر سابق، ص 220.

ـ ولا جسر الأردن ولا جسر ينبوع ماء صغير على تراب أي أرض عربية، وأحسست أنني انفعلت بأكثر مما تسمح به موازين القوة وموازين المواقع، ولكن الانفعال أراحني ولو حتى كحلم اليقظة".[23]

وقرر الرئيس السادات سنة 1978 أن الفرصة قد واتته ليضرب هيكل، فأحاله إلى المدعي الاشتراكي الوزير أنور حبيب، ومنعه من السفر، وجرى التحقيق معه صيفاً بأكمله والصحف تكتب قبل كل جلسة أنه يحقق معه "لأنه أساء إلى مصر فيما كتب خارجها"، ويعتقد هيكل أنه لم يسيء إلى مصر.

وانتهى التحقيق، وانتظر التصرف فيه، ولكنهم تركوه معلقا[24]، ثم شملته اعتقالات 5 سبتمبر الشهيرة سنة 1981[25]، عندما شن الرئيس حملة ضارية على كل المعارضين السياسيين من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، ووضع الآلاف في السجن، ومرت أيام معدودة، حتى جاء يوم 6 أكتوبر، وأثناء استعراض يقوم به الجيش المصري، قام ضابط يدعى خالد الإسلامبولي ومعه مجموعة من التنظيم (الجهاد الإسلامي) الذي ينتمي إليه، بهجوم مباغت عنيف بالأسلحة النارية والقنابل على منصة الرئيس السادات الذي لقي مصرعه فوراً...

وتولى محمد حسني مبارك رئاسة الجمهورية، وقام بالإفراج عن المعتقلين السياسيين، ومن بينهم محمد حسنين هيكل، الذي استقبله في قصر الرئاسة، وطلب منه أن يبدؤوا جميعا صفحة جديدة في تاريخ مصر

23 ـ محمد حسنين هيكل، **السلام المستحيل والديمقراطية الغائبة**، مصدر سابق، ص 22 - 23.

24 ـ محمد حسنين هيكل، **بين الصحافة والسياسة**، مصدر سابق، ص 399.

25 ـ المصدر السابق، ص 400.

وقال له: "أريد أن ننسى ما حدث، وأريد صفحة جديدة، وأريد تعاون كل القوى في مصر".[26]

وكتب "خريف الغضب" وقال عنه هيكل: "لم يكن غضباً على أنور السادات لأنه وضعني في السجن، ولكن كنت أريد أن أشرح للعالم ما حدث في مصر خلال خريف عاصف سنة 1981. وكيف تطورت قضايا اجتماعية وفكرية واقتصادية وسياسية ودينية لكي تصنع صاعقة البرق التي رأتها الدنيا على شاشات التلفزيون ظهر يوم 6 أكتوبر. ولم تكن في الكتاب إساءة واحدة إلى إنسان، وإنما كان عرضاً وتحليلاً لشخصيات وتيارات وسياسات واتجاهات وقوى الداخل والخارج. لكن البعض تصوروا أن ظهور الكتاب فرصة سنحت أخيراً لتصفية كل الحسابات مرة واحدة، واستغلت عبارات في الكتاب مبتورة، ومحاولات للغوص في أعماق النفس أخرجت من سياقها ومضمونها وبعيداً عن هدفها، ثم راحت الطاحونة تدور.

لثلاثة أشهر أو أربعة عاصفة لا تهدأ، بالكلمات والرسوم، حلقات بعد حلقات، يوماً بعد يوم، كأن صواعق السماء كلها انتفضت مرة واحدة".[27]

ونشر كتاب كامل، ينتقد "خريف الغضب" وهيكل بشدة، للدكتور فؤاد زكريا بعنوان "كم عمر الغضب؟ هيكل وأزمة العقل العربي"[28]، جاء فيه مثلا "أن هيكل قد ارتكب في كتابه خطأ وهو إشاراته الطويلة إلى الجوانب الشديدة السلبية في تاريخ السادات قبل أن يتولى الحكم، هذه الإشارات لو كانت قد صدرت من كاتب محايد لم يرتبط بالسادات في أي وقت ارتباطاً عضوياً وثيقاً، لكانت مصدراً عظيم القيمة للمعلومات عن عادات وممارسات

26 ــ المصدر السابق، ص 403.

27 ــ المصدر السابق، ص 403.

28 ــ هذا الكتاب سبق أن ذكر كمرجع.

حاكم مثير الجدل، ولكن صدورها عن هيكل بالذات يلحق به أفدح الأضرار".[29]

وكتب كذلك "... وحسبنا أن نقول أن الصفات المعنوية والأخلاقية للشخص الواحد لا يمكن أن تتغير في مرحلة واحدة من حياته، ولكننا عند هيكل نجد أنفسنا إزاء ساداتين، لا سادات واحد. أحدهما كان بطلاً عندما كان هيكل راضيا عنه وشريكا له، والآخر كان منحرفاً عندما حل "خريف الغضب" ويظل السؤال الأهم بعد هذا كله هو: إذا كان لدينا "ساداتان" فكم هيكل هناك؟".[30]

الإجابة واضحة، هناك هيكل واحد، ولو كان اثنان لما اختلف مع "السادات الثاني" واتفق مع "السادات الأول" فالذي تغير تغيراً كاملاً هو السادات وليس هيكل. هيكل بقى في مكانه لم يتغير، محافظاً على أفكاره... أما سادات 1971 فهو يقيناً ليس بسادات 1981، في حين هيكل 1971 هو تقريباً هيكل 1981، مع بعض إضافات أضافتها قوة الزمن...

ورغم هذه الحملة نجح كتابه نجاحاً ضخماً، وبيعت منه كميات فلكية وصلت إلى المليون ونصف المليون نسخة بأكثر من لغة، وقبل ذلك نشرته أشهر الصحف العربية اليومية، ثم أذاعت فصولاً كثيرة منه كل من إذاعة دمشق وإذاعة طرابلس...

لقد تميزت علاقة السادات بهيكل بمرحلتين: الأولى كانت تحالفاً بينهما والثانية كانت اختلافاً فادحاً.

وكان السادات ذكياً، يعرف جيداً ماذا كان يريد هيكل من جهاز الدولة. كان يريد دور الرجل الصحفي المؤثر كلية في الساحة الإعلامية في مصر – وهي من أقوى الساحات وربما توازي قوة المؤسسة العسكرية نفسها –

---

29 ـــ فؤاد زكريا، **كم عمر الغضب ؟ هيكل وأزمة العقل العربي**، مرجع سابق، ص 78.
30 ـــ المرجع السابق، ص 88.

إضافة إلى قرب شديد من هرم السلطة (الرئيس)، يؤثر من خلاله على مجرى الأحداث دون أن يحاسبه أحد... رافضا كل المواقع التنفيذية...

وفي المقابل كان هيكل لا يقل ذكاء عن السادات. فكان يعرف ماذا يريد هذا الأخير، وكان متفطنا إلى نواياه. فهو يعرف موقع القوة الذي يحتله هيكل، وكانت صحيفة "الأهرام" هي هذا الموقع، فعمل هيكل بكل جهوده على عدم ترك الآخرين يزيحونه منه. وكان يعتذر للرئيس السادات عن كل المناصب والمواقع الذي عرضها عليه لأنها كانت تعني له ضرب نفوذه الحقيقي في "الأهرام". ووصلت المسألة في النهاية بالسادات إلى أن أعلن عن نواياه صراحة وأزاح هيكل من موقعه القوي، وكانت له بمثابة الضربة القاضية.

وهذه النتيجة التي وصل إليها هيكل تؤكد أنه والسادات لم يكونا في عهد عبد الناصر حليفين إستراتيجيين يجمع بينهما خط فكري أو سياسي مشترك في صراع مع خطوط أخرى، وذلك على عكس ما ذهب البعض.

كما كان انحياز هيكل المؤقت للسادات يعبر عن "أمنه الشخصي" وعن تلك العادة الطويلة التي اكتسبها من علاقته بعبد الناصر وهي أن يكون قريبا من الرئيس، مؤثراً في القرار بالمعرفة أو بالمشاركة، بدون أن يتولى أي منصب رسمي...

كما نجح هيكل في علاقته مع عبد الناصر، لأنه يمثل زعامة "كاريزمية" تبحث عن الكفاءات ـ وهيكل أحدها ـ لتحيطها بنفسها... في حين أن السادات، كان يدرك أنه ليس بالزعيم الكاريزمي. وكان اتجاهه متناقضاً تماما مع اتجاه عبد الناصر والعهد الناصري، فلم يعد يحتاج إلى الكفاءات "الناصرية" القديمة، وإنما أصبح يبحث عن مجموعات شابة أخرى تتعلم في " مدرسته " الخاصة، ويكون ولاؤها له قبل أي شيء آخر...

من داخل هذه الصورة الواضحة، وجد هيكل نفسه آلياً وطبيعياً خارج إطارها.

الفصل الخامس

اتجاه الفكر السياسي عند هيكل

كل مقالات هيكل وكتبه تقريباً تتحدث عن قضايا سياسية هامة، تلك القضايا التي عكست طبيعة الصراع في منطقة الشرق الأوسط طيلة الخمسينات والستينات والسبعينات. لقد عالج هيكل في كتاباته أغلب هذه القضايا. واستنتاجاً من مقاربتنا لها نلاحظ أنها ركزت أساساً على مجموعة مسائل أساسية وهي: رؤيته للصراع، صورة الولايات المتحدة الأمريكية في كتاباته، صورة الاتحاد السوفيتي في ما كتبه، ثم استنتاج الباحث في صورة هيكل نفسه، وموقعه من خارطة التيارات السياسية ــ الأيديولوجية المتشابكة.

1 ــ رؤيته للصراع

يرتكز قسم كبير من كتابات هيكل حول مسألة إدارة الصراع بين الرئيس جمال عبد الناصر من جهة وإسرائيل وحلفائها (الإدارة الأمريكية، بريطانيا، فرنسا) والأنظمة العربية "المحافظة" من جهة أخرى.[1]

---

1 ــ ترصد هذه الكتابات خاصة في كتبه الأخيرة المتسلسلة تحت عنوان حرب الثلاثين سنة، وهي "قصة السويس 1956"، "سنوات الغليان 1967" ثم "الانفجار".

ويقول هيكل عن جذور هذا الصراع: "وجهة نظري في الصراع القائم في الشرق الأوسط، وكما شرحتها في كل ما كتبت، أن هناك صراعاً قائماً بين الحركة العربية القومية ككل وبين قوى الاستعمار العالمي وأن إسرائيل تلعب دور الطليعة المتقدمة لهذه القوى. كما أن مصر هي القوة الطليعية للعالم العربي ودورها في هذا دور أساسي لأنها القوة الوحيدة القادرة حالياً على إدارة الصراع على رأس الأمة العربية وبالتعاون مع كل شعوبها، فضلاً عن اعتقادي الراسخ بأن مصر على وجه التحديد مستهدفة أكثر حتى من فلسطين... بقصد عزلها عن المشرق".[2]

وتزداد أهمية مصر عند هيكل عندما يقول: "إن كل القوى الراغبة في السيطرة على المنطقة، وبالذات بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية، كانت تضع أمامها دوما مطلب عزل مصر عن المشرق باعتباره مطلباً أساسياً يحقق لها حرية الحركة والعمل في المشرق العربي".[3]

أما عن هدف الصراع، فكان الصراع كله على الجسر البري بين آسيا وإفريقيا ومن حوله، أي في فلسطين وحولها".[4]

وعن كيف يمكن حل هذا الصراع، فإن الالتجاء إلى "الحرب المحدودة" هي أحد ركائز فلسفة هيكل الإستراتيجية.

ومجمل فلسفته هذه، كانت متأثرة بالمؤرخ العسكري وعالم الإستراتيجيا الألماني "كلاوزفيتز".[5]

---

2 ــ محمد حسنين هيكل، **وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي**، مصدر سابق، ص 33.

3 ــ المصدر السابق، ص 33.

4 ــ المصدر السابق، ص 38.

5 ــ كارل فون كلاوزفيتز ولد في مدينة "ماغدبورغ" في ألمانيا عام 1870. هو من الاسماء البارزة في أوساط العسكريين أو المؤرخين العسكريين. وترجع شهرة هذا المؤلف إلى ما قدمه للفكر العسكري في القرن التاسع عشر عبر مؤلفه الشهير "في الحرب"، ولا يزال هذا

فهو يعلق على عبارة "كلاوزفيتز" الشهيرة "إن الحرب صراع بين إرادات، طرف يريد أن يفرض إرادته على طرف"، بأنها تعبير عن الحقيقة الأبدية الأزلية في قضية الحرب".[6]

ويضيف هيكل، "إن "كلاوزفيتز" حين قال عبارته الشهيرة الأخرى "إن الحرب هي ممارسة للسياسة بوسائل أخرى"، "فإن طبيعة هذه الحقيقة كانت تزداد جلاء".[7]

ولكن أي حرب كان يقصدها هيكل؟ إنها "الحرب المحدودة" التي يقول عنها: "كان رأيي طول الوقت بعد 1967، أنه ليس هناك سبيل أمامنا إلا سبيل المعركة. وقد أبديت رأيي في كل ما كتبت، وتعرضت لمشاكل بسببه من بعض المسئولين في الاتحاد الاشتراكي والصحف، وكانوا عاجزين عن الفهم، لذا ركزت على شرح نظرية الحرب المحدودة، أي عمل سياسي شامل يستهدف طول الوقت تغيير موازين القوة".[8]

ويشرح نظريته في الحرب المحدودة : "بأن الحرب المسموح بها الآن هي استعمال القوة المسلحة لهدف تتوفر له الشرعية الدولية... ويتوفر للطرف الذي سيحمل السلاح لتحقيق هذا الهدف تأييد إحدى القوتين الأعظم على الأقل ثم يتوفر لهذا الطرف بقوته الذاتية وبما يتلقاه من أصدقائه طاقة لا شك فيها لتحقيق هذا الهدف في إطار محدد أو محدود،

. ◄الكتاب ينتشر بأعداد كبيرة ويخضع للمراجعة والتحليل والجدال. إذ أنه يتجاوز الحدود الزمنية الضيقة التي تقلل من أهمية الكتابات العسكرية المعاصرة له... لمزيد التوسع أنظر عرض الأستاذ يزيد صايغ في دراسته "كلاوزفيتز كلمات شهيرة قرأها القلة"، عن **مجلة الفكر الإستراتيجي العربي**، العدد الثالث، يناير 1982.

6 ــ محمد حسنين هيكل، **سنوات الغليان**، مصدر سابق، ص 55.

7 ــ المصدر السابق، ص 55.

8 ــ محمد حسنين هيكل، **وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي**، مصدر سابق، ص 61.

ثم يكون القصد من تحقيقه هو التأثير في الوضع السياسي، معنى ذلك أنها حرب محدودة... محدودة الهدف".[9]

ويفرق بين طبيعة الحرب قديماً وطبيعتها في العصر الراهن، حيث "كانت الحرب طبقا لآراء "كلاوزفيتز" ـ أكبر أساتذة علوم الحرب وفلاسفتها ـ هي التجاء مجتمع إلى القوة المسلحة لكي يكسر إرادة مجتمع ويفرض عليه مشيئته كاملة".[10]

"وأما الحرب المحدودة، حتى طبقا لآراء هنري كيسنجر فهي "عمل سياسي شامل يلجأ إلى القوة المسلحة في مرحلة من مراحله لتحقيق هدف معين لا يستدعي بالضرورة كسر إرادة الخصم أو فرض مشيئة المنتصر عليه كاملة".[11]

إن تبني هيكل لهذه الفلسفة دفعته في النهاية إلى الصدام مع الرئيس أنور السادات والاختلاف معه حول كيفية استغلال نتائج حرب أكتوبر 1973، حينما اعتقد هيكل أن الإدارة السياسية للحرب فرطت في مكاسب ونجاحات الإدارة العسكرية، فما حققه الجنود بدمائهم فرط فيه الساسة (السادات) بمفاوضاتهم. ولخص رأيه في حديث موجه للسادات يقول فيه: "إنني أرجو أن يفهم الرئيس أن الحرب ليست معارك دبابات ومدافع وإنما صدام إرادات، ونتيجة الحرب معلقة بالهدف السياسي الذي من أجله دارت المعارك، إذا كان الهدف بعد توقف المعارك – مع طرف – فإنه

---

9 ـــ محمد حسنين هيكل، "نوع الحرب الممكنة والضرورية"، **الأهرام**، عدد 24 – 3 – 1972، أي قبل حرب اكتوبر 1973، وهي مجموعة مقالات كان هيكل يحضر فيها – إعلاميا – للحرب.

10 ـــ محمد حسنين هيكل، **قصة السويس، آخر المعارك في عصر العمالقة**، مصدر سابق، ص 8.

11 ـــ المصدر السابق، ص 8.

المنتصر، وإذا لم يكن معه فهو المهزوم.. قولوا للرئيس أن يعيد قراءة كتاب "كلاوزفيتز" المشهور "عن الحرب".."[12]

إن رؤية هيكل للصراع تعتمد على مجموعة ثوابت جغرافية، وهي أن مصر تقع في قلب الصراع بقيادتها للعالم العربي، وهدف الصراع هو الجسر البري الرابط بين آسيا وإفريقيا – أي فلسطين – وهذا الصراع يمكن حله عن طريق "الحرب المحدودة" لتحقيق أهداف محددة، وهو اختيار تاريخي محدد بالزمن والجغرافيا.

2 ـــ صورة الولايات المتحدة الأمريكية في كتابات هيكل

تعتبر الولايات المتحدة الأمريكية الطرف الرئيسي في الصراع الدائر في العالم، فمن جهة نجد "القطب الاشتراكي" بقيادة الاتحاد السوفيتي[13] ومن جهة مقابلة نجد الولايات المتحدة التي خاضت "حربا باردة" ضد "المعسكر الاشتراكي". ويصف هيكل المراحل التي حدث فيها هذا الصراع بقوله: "قرب نهاية السبعينات كانت علاقة القوة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط قد دارت دورة كاملة.

في بداية السبعينات كان الاتحاد السوفيتي في قلب المنطقة، وكانت الولايات المتحدة على حافتها، وقرب نهاية السبعينات كانت الولايات

---

12 ـــ محمد حسنين هيكل، **بين الصحافة والسياسة**، مصدر سابق، ص 378.

13 ـــ الحديث عن الولايات المتحدة الامريكية في هذا الموضع مرتبط بدورها في "الحرب الباردة " ضد الاتحاد السوفياتي، لأننا نغطي فترة الخمسينات والستينات وبداية السبعينات. أما التطورات اللاحقة التي حصلت في بداية التسعينات، فهي بالطبع خارجة عن مساحة البحث، وأهم مميزاتها انهيار الاتحاد السوفياتي وانفراد الولايات المتحدة بالعالم.

المتحدة هي التي تحتل قلب المنطقة، بينما أزيح الاتحاد السوفيتي إلى حافتها".[14]

ويمكن تقسيم مواقف هيكل من الولايات المتحدة الأمريكية إلى ثلاثة مواقف. الأول، كان يعتقد فيه أن أمريكا هي الحليف الطبيعي "لإسرائيل" والثاني دعا فيه إلى ضرورة "تحييد أمريكا" والثالث عاد مرة أخرى لانتقادها.

ــ **الموقف الأول:** تميز بمعاداة الولايات المتحدة الأمريكية واعتبار أنه "لم يعد في استطاعة أحد، ولم يعد في استطاعة شيء، أن يغطى جزئياً أو كلياً على طبيعة العلاقة بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية. والرؤية الصحيحة لهذه العلاقة بين الاثنتين وطبيعتها كانت دائماً ــ وهي الآن بدرجة أخطر ــ واحدة من أهم الحقائق في الصراع الذي تخوضه أمتنا العربية.

وأبسط ما يمكن أن يقال في تشخيص هذه العلاقة وطبيعتها، كما تبدو الآن من خلال كل التصرفات والتحركات هو :

"إن العلاقة بين إسرائيل والولايات المتحدة وصلت الآن إلى الحد الذي لم تعد فيه السياسة الأمريكية قادرة على أن تظهر أو تمارس أي قدر من الاستقلال عن الإرادة الإسرائيلية". ثم ختم في نفس المقال قائلاً: "لكن التآمر لا يحتاج إلى أوراق، خصوصاً عندما يصل التوافق في الغايات والوسائل مرحلة بعد التوافق، هي التطابق :

ثم تلفت النظر جملة وردت في صحيفة إسرائيلية أوردتها في معرض حديث طويل عن أن إسرائيل كان بوسعها أن تفعل أكثر مما فعلت.

قالت الجريدة :

---

14 ــ محمد حسنين هيكل، **آفاق الثمانينات**، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الثانية، بيروت 1982، ص ص 124 – 125.

ـ إن أصدقاءنا الأمريكيين يعاتبوننا... لقد قال مسئول أمريكي كبير لأحد رجالنا عندما التقى به أخيراً :

ـ لقد استجبنا لكل ما طلبتموه منا... ومع ذلك فإن عبد الناصر ما زال في مكانه!!" [15]

كما قامت أمريكا بدور "التعهد باستمرار تفوق إسرائيل في قوى النيران على كامل ما لدى العرب مجتمعين من قوة النيران (...)

إن مشهد جريمة إطلاق النار في يونيو سنة 1967، كان واقعة تلبس، ولم يعد ممكناً بعده أن تعود محاولة التواري أو التمويه.

وخرج بعده الموقف الأمريكي سافراً، لا أقنعة ولا براقع.

السلاح الذي ضرب... سلاح الولايات المتحدة الأمريكية، والضوء الأخضر إذناً بالبدء... مصدره واشنطن.

والمسدس أطلق كل ما كان مختزناً فيه، لكن المضروب سقط على الأرض ولم يمت... وأخطر من ذلك راح يستعيد صحته وقوته.

منذ ذلك الوقت، لم يعد أمام الولايات المتحدة الأمريكية سبيل إلى التراجع... ليس أمامها غير أن تمشى الشوط إلى نهايته، وذلك قد يحقق لها ما تريد، وفضلاً عن ذلك، فقد كان هناك التزامها إزاء اليد الإسرائيلية التي أمسكت مسدسها وأطلقت منه.!". [16]

ثم أصبحت حدة هذا الموقف تخف شيئاً فشيئاً حينما يقول هيكل: "... في اعتقادي أن هناك تناقضاً في المصالح بين الغرب عموماً وخصوصاً الولايات المتحدة وبين مصر، ولكن علينا أن نراعي المتغيرات... الدور

---

15 ــ محمد حسنين هيكل، "السياسة الأمريكية والإدارة الإسرائيلية"، **الأهرام**، عدد 20-2- 1970.

16 ــ محمد حسنين هيكل، "المسدس... وفي يد من هو؟"، **الأهرام**، عدد 6 – 3 – 1970.

الاستعماري... أمريكا أخذته بطريقة جديدة (الدولة الراغبة في السيطرة) – وكان رأيي أما وقد انتهت العلاقة الاستعمارية مع أوربا الغربية، فيجب أن نحاول إدارة التناقض بأسلوب جديد، نستطيع معه تضييق منطقة الخلاف، وتوسيع منطقة المصالح المشتركة قدر ما نستطيع".(17)

ومن هنا ينتقل إلى "ضرورة تحييد أمريكا".

ــ **الموقف الثاني**: برز عن طريق مقالات دعا فيها إلى "ضرورة تحييد أمريكا" وقد بدأت في العام 1965، وعاد إليها قبل حرب 1967، ثم عاد إليها بعد النكسة، وقد جرت عليه مشاكل مع الاتحاد الاشتراكي لا حدود لها، لدرجة اتهامه بالعمالة لأمريكا.(18)

إن تصعيد لهجة "تحييد أمريكا" بدأ يزداد طوال عام 1971، فكتب: "ومن المحتمل أيضا وبجهد متواصل وعاقل، أن الولايات المتحدة يمكن تحييدها بشكل ما ولو جزئياً أثناء تحقيقه وإن كان ذلك متداخلاً في أوضاع وظروف قد تقتضي شرحاً أوسع".(19)

ويضيف في مكان آخر: "إذا أردنا أن نصل بنتيجة ما حدث سنة 1967 إلى نجاح يماثل نجاحاً سنة 1956، فإننا يجب أن نحصل على عنصرين: أولهما تأييد إحدى القوتين العظميين وذلك متاح لنا بتعاطف وصداقة وتأييد الاتحاد السوفيتي، والثاني تحييد القوة العظمى الأخرى، وهي الولايات المتحدة، أو على الأقل منع تدخلها ضد مصلحتنا في

---

17 ــ محمد حسنين هيكل، **وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي**، مصدر سابق، ص 38.

18 ــ المصدر السابق، ص 38.

19 ــ محمد حسنين هيكل، "عن الاقتناع بإمكانية تحقيق هدف"، **الأهرام**، عدد 26 – 2 – 1971.

الأزمة، وغير ذلك مستحيل لأننا لا نستطيع إقناع الاتحاد السوفيتي بأن يخوض حرباً نووية من أجلنا.

فهذا انتحار محقق لا يقبل به أحد من أجل خاطر غيره.

والبديل الآخر عدا ذلك، أن تبقى الأزمة معلقة كما هي معلقة اليوم، مجمدة كما هي الآن وهذا معناه أن إسرائيل تحقق ما أرادته من العدوان بالإيقاع البطيء حتى يتعود العالم على سماع صوتها من الضفة الشرقية لقناة السويس!

من هنا، فلقد كنت ــ وما زلت ــ أختلف مع النغمة التي تقول : ــ إن الذي نواجهه أمامنا في ميدان القتال هو الولايات المتحدة الأمريكية وليست إسرائيل". ولقد يقال : ولكن السلاح الذي تمسك إسرائيل به في يدها معظمه أمريكي". وهذا صحيح، ولكن إسرائيل لا تستطيع أن تقنع أحداً بأنها في مصر تحارب الاتحاد السوفيتي، لأن السلاح الذي يمسك به الجيش المصري كله سوفيتي...

والغريب أن ذلك بالضبط ما تروج له إسرائيل أو تحاوله رغم عدم اقتناعها به، وهي تدعيه لا لكي تزج بنفسها في حرب مع الاتحاد السوفيتي ولكن لتزج بالولايات المتحدة معها في خنادق ميدان القتال.

مقصدها ــ أولاً وأخيراً ــ هو أن تحتفظ بكل ترسانة الولايات المتحدة الأمريكية، احتياطياً بلا نهاية، ومدداً لا ينفد لحربها المسلحة ضد مصر، وليس ضد الاتحاد السوفيتي. ولكن الاتحاد السوفيتي يجري إقحامه في الأمر، لأن ذلك هو ما يثير الولايات المتحدة. (...)

وهدف هذا الصراع هو الفصل ما بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية كحد أقصى، أو تحييد موقف الولايات المتحدة تجاه إسرائيل كحد أدنى، وذلك عن طريق توجيه ضغط دولي، وعربي، ومصري ضد الولايات المتحدة الأمريكية. على أن يكون هذا الضغط ذكياً وفعالاً

ومستمراً وذلك لا يتأتى إلا إذا كان هذا الضغط واعياً قادراً على تحليل الحقائق بأكثر من قدرته على ترديد الشعارات المعلبة في صفيح قديم من كثرة ما مرت الأيام عليه!".[20]

إزاء هذه المواقف، تعرض هيكل إلى حملة من قبل أعضاء "الاتحاد الاشتراكي" وبخاصة مجموعات "التنظيم الطليعي" التي رأت في حديثه نوعا من مغازلة أمريكا، فبرر هيكل منطقه قائلا: "لقد كان منطقي في الدعوة إلى ضرورة تحييد الولايات المتحدة الأمريكية أن "التحييد" يختلف عن "الحياد" فلم أتصور في أي وقت، ولا أزال إلى الآن أعجز عن تصور حياد الولايات المتحدة في هذا الصراع منحازة، وانحيازها لإسرائيل، ولكن "التحييد" هنا يختلف عن "الحياد" لأن "التحييد" وضع نفرضه نحن بوسائل القوة السياسية والاقتصادية الشاملة، وأما "الحياد" فموقف تختاره الولايات المتحدة بمحض إرادتها، وهذا مستحيل في ظروف الصراع العربي الإسرائيلي، ونوعية العلاقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل. كان رأيي أن نضغط على الولايات المتحدة لكي نشل أكبر مساحة ممكنة من انحيازها، ولنفرض عليها ـ ولو كرهاً ـ بعض التوازن في موقفها، مما يتيح لها أن تؤدي دوراً محكوماً في حل أزمة الشرق الأوسط".[21]

ـ **الموقف الثالث:** بعد حرب 6 أكتوبر 1973، اختلف هيكل مع السادات في أسلوب ونتائج مفاوضاته مع "أمريكا" ووصل الأمر إلى روايات تتناقلها برقيات وكالات الأنباء، بينها أن "كيسنجر" كان سبباً رئيسياً في أسباب خروجه من "الأهرام" لأنه احتج على معارضته العلنية

---

20 ـ محمد حسنين هيكل، "التضاريس في الطبيعة والسياسة"، **الأهرام**، عدد 5 – 3 – 1971.

21 ـ محمد حسنين هيكل، **وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي**، مصدر سابق، ص 244.

لاتفاق فك الارتباط وبالفعل فقد رأى رسالة احتجاج في برقيات شفرية بعث بها كيسنجر إلى الرئيس السادات واحدة من بكين وكان يزورها، والثانية من واشنطن بعد أن عاد إليها".[22]

وبعد خروج هيكل من "الأهرام" في أواخر سنة 1974، وقف ضد كل مشاريع "الارتماء" في "أحضان أمريكا" وإعطائها "أوراقا" كثيرة "تلعب" بها في "أزمة الشرق الأوسط" وصلت عند الرئيس السادات إلى 99 % ![23]

3 ــ صورة الاتحاد السوفيتي في كتابات هيكل

منذ هزيمة 5 يونيو 1967، أصبح للاتحاد السوفيتي دور يتزايد في أهميته. ووصل إلى أوجه في حرب الاستنزاف (1967 – 1970). وفي هذه المرحلة، كان لهيكل موقف إيجابي تجاه السوفيات. ثم انتقدهم بعد أحداث مايو 1971 حينما أزاح السادات الشق الاشتراكي الناصري من الحكم (أهم رموزه سامي شرف، شعراوي جمعه، علي صبري، ضياء الدين داوود، محمد فائق، محمد فوزي)، ليعود ويدافع عنهم بعد صلح السادات مع "إسرائيل".

ــ **المرحلة الأولى:** تحمس فيها هيكل لدور يقوم به السوفيات في المنطقة. وكتب في "الأهرام" : "إن دور الاتحاد السوفيتي الكبير والخطير ليس فقط في إعادة تسليح الجيش المصري ولكن أيضاً إرسال المئات من خبرائه للمشاركة في إعداد الجيش المصري للقتال على مستوى الحرب

---

22 ــ محمد حسنين هيكل، **بين الصحافة والسياسة**، مصدر سابق، ص 382.

23 ــ أعلن الرئيس أنور السادات أكثر من مرة أن 99 % من أوراق الشرق الأوسط في يد الولايات المتحدة الأمريكية.

الحديثة، وهو بهذا يسجل سابقة جديدة في التاريخ، لأن الاتحاد السوفيتي بهذه السابقة كان أول بلد أوروبي يبعث بالعسكريين من أبنائه إلى أرض آسيوية أفريقية. لا لكي يسيطروا ويستعمروا ــ وهو ما فعله كل بلد أوروبي حتى الآن ــ ولكن لكي يساعدوا هذه الأرض الآسيوية الأفريقية على محاربة السيطرة والاستعمار.

ونحن نستطيع أن نرى أثر هذه التغييرات أو نشعر بهذا الأثر في مواقف وتحركات كل الأطراف المتصلين بأزمة الشرق الأوسط، سواء كان اتصالهم بها مباشراً، أو كان هذا الاتصال غير مباشر(...). لماذا يتخذ الاتحاد السوفيتي هذا الموقف المؤيد لنا؟ الرد : إن الأمر بالنسبة للاتحاد السوفيتي مسألة مبدأ وهو عداء الاستعمار".[24]

ثم أضاف مؤكداً دور السوفيات في صمود مصر بعد هزيمة 5 يونيو 1967: " وبكسر احتكار السلاح المفروض على مصر والعرب، بواسطة الصفقة المصرية ــ السوفيتية فإن الاتحاد السوفيتي أصبح له في المنطقة دور مباشر وكان الأثر الأكبر لهذا الدور السوفيتي المباشر هو أنه مكن العرب لأول مرة من كسر الخط الطويل لفرض الأمر الواقع الاستعماري الصهيوني ــ ضد العرب.

هذا الدور السوفيتي المباشر في المنطقة، فضلاً عما أعطاه للعرب من إمكانية الدفاع عن النفس بالسلاح، فرض على الاستعمار الأنجلو أمريكي، ضرورة أن يراجع خطاه قبل أن يتقدم في المنطقة :

هكذا فشلت مغامرة السويس سنة 1956.

هكذا تراجعت خطط غزو سوريا بواسطة حلف بغداد سنة 1957.

---

24 ــ محمد حسنين هيكل، "ما هو الخلاف والاختلاف؟"، الأهرام، عدد 14 – 8 – 1970.

هكذا انحصر رد الفعل الاستعماري ضد ثورة العراق سنة 1958، في نطاق نزول جنود البحر الأمريكيين من الأسطول السادس على شواطئ لبنان.!

وهكذا... وهكذا.

ومنذ يونيو سنة 1967، وحين واجهت الأمة العربية صدمة من أعنف ما واجهت في تاريخها الطويل ــ فإن دور الاتحاد السوفيتي وأثر هذا الدور هو الذي ساعد الأمة العربية على تحقيق إرادتها بالصمود ضد الأمر الواقع الذي حاول تحالف الاستعمار والصهيونية فرضه علينا عسكريا".[25]

ونبه إلى ما يقوم به الأمريكان ضد العرب حينما كتب "ولأن كل ما فعله الاتحاد السوفيتي بدوره في المنطقة هو أنه أعطى للأمة العربية ولأول مرة الإمكانية المادية لرفض الأمر الواقع المفروض أو الذي يراد فرضه عليها.

ولأن المناورة الأمريكية واضحة أمام أي عربي فهي تريد عزل العرب عن الاتحاد السوفيتي ــ لا لكي يخرج الصراع العربي الإسرائيلي من نطاق الحرب الباردة بين القوى الكبرى كما يدعى...

ولكن لكي يبقى الطرف العربي في هذا الصراع تحت رحمة الأمر الواقع الذي يفرضه السلاح الأمريكي الذي تمسك به إسرائيل.

(...) إن العبارة الأساسية في خطاب كوسيجين إلى نيكسون وويلسون وبومبيدو تصدر عن هدف دفاعي محض إذ تقول هذه العبارة :

" إننا نريد أن نقول بكل صراحة: إنه ما لم تتوقف إسرائيل عن سياسة المغامرة وتكف عن ضرب أراضي الجمهورية العربية المتحدة والدول العربية الأخرى فإن الاتحاد السوفيتي سوف يجد نفسه ملزماً بأن يتأكد من أن الدول العربية لديها جميع الإمكانيات الكافية لطرد المعتدي الوقح.".[26]

---

25 ــ محمد حسنين هيكل، "أزمة الشرق الأوسط"، الأهرام، عدد 20 – 3 – 1970.

26 ــ المصدر السابق.

وتوجه باللوم إلى القوى القومية العربية التي تعادي الشيوعية قائلاً: "مازالت هناك بين قوى القومية العربية عناصر تنسى إسرائيل لكي تغرق نفسها في حرب مقدسة مع الشيوعية، بينما الدول الشيوعية هي التي وضعت سلاحها في يد العرب ولولاه لما كان هناك أمامهم بديل عن الاستسلام".(27)

هذه المرحلة من التقييم الإيجابي لدور الاتحاد السوفيتي في المنطقة امتدت حتى وفاة الرئيس جمال عبد الناصر في 28 سبتمبر 1970، وبعدها ببضعة أسابيع تطور الموقف.

ـ **المرحلة الثانية**: برز فيها موقف هيكل مجافياً للسوفيات وبخاصة بعد أحداث مايو 1971 حينما اتهمهم : "إنني واحد من الذين يدركون أن الاتحاد السوفيتي وقع في بعض أخطائنا نحن، وقد تابعت عن قرب أشياء من ذلك:

-ذهب إليه البعض منا بآراء واجتهادات أقل ما يمكن أن يقال فيها إنها متضاربة.

وربما أوحت إليه أحياناً بأننا لا نعرف ما نريد؛ وبالتالي فإنه لم يستطع أن يعرف ــ بدوره ــ ما نريد!

ــ ومن ناحية أخرى ذهب إليه البعض منا بالترامي والزلفى، متصورين عن جهل أن طريق السلطة في القاهرة يمر الآن عبر موسكو.

وهذه النقطة حساسة خصوصاً بعد رحيل جمال عبد الناصر وفي الفترة من 28 سبتمبر 1970 إلى 14 مايو 1971، وربما بعد هذا التاريخ الأخير أيضاً.

بعضهم – والوقائع كثيرة لا أريد أن أخوض فيها لأنها مزعجة – ذهبوا ومهمتهم أن يقنعوا الاتحاد السوفيتي أنهم رجاله في القاهرة.

---

27 ــ محمد حسنين هيكل، "إلى متى الضباب؟"، **الأهرام**، عدد 16 – 1 – 1970.

ومع كل العذر للاتحاد السوفيتي فيما كان يسمع – فقد كان عليه أن يدرك أولاً وأخيراً أن مصر الحقيقة لا تمثلها حفنة من الناس وإنما تمثلها كتل شعبية، وهذه الكتل لها مواثيقها التي تعبر عنها وتحدد خط سيرها، وإنه في النهاية ــ ومهما كانت الظروف ــ فإنه لن يبقى على أرض مصر إلا رجال مصر وليس رجال أحد غيرها مهما كانت درجة قربه من مصر ومهما كانت أهمية علاقة مصر معه".[28]

وأضاف متهماً ومقللاً من قيمة السلاح السوفيتي: " إن مصر كما تملك رصيد التجربة، ومفاتيح الفهم، ليست محرومة من العلم الحديث.

ولم تقصد مصر فيما ألحت به على الاتحاد السوفيتي من طلب سلاح متطور أن تضعه أمام المستحيل.

إن مصر، كثيرين في مصر، كانوا يعرفون أن الاتحاد السوفيتي ليست لديه في الوقت الحاضر طائرة في الخدمة العاملة توازى طائرة الفانتوم الأمريكية.

وكان البعض في مصر يلحون كثيراً في طلب طائرة توازى الفانتوم، ووصل الإلحاح إلى حد أن أصبح صداعاً للأصدقاء في موسكو حتى أن بريجنيف قال ذات مرة وبالحرف الواحد :

- أرجوكم... إنني لم أعد أريد أن أسمع شيئاً عن هذه الطائرة التي تطلبونها وتلحون في طلبها، لا تعودوا إلى هذا الموضوع، وحين يجيء وقته فإننا نحن سنفتحه معكم."

لكن البعض الآخر في مصر كان على استعداد لاستيعاب الحقائق.

والحقائق هي أن الاتحاد السوفيتي تأخر عن الولايات المتحدة في تطوير قاذفة مقاتلة بعيدة المدى كالفانتوم".[29]

---

28 ــ محمد حسنين هيكل، "وقفة موضوعية مع صديق"، الأهرام، عدد 18 – 8 1972

29 ــ المصدر السابق.

ويؤكد هيكل في أحد مقالاته واقعة أنه ليس بشيوعي من جهة وأن أوساطا في الاتحاد السوفيتي تعاديه من جهة أخرى. يقول : "أولهما أنني لست شيوعياً مع العلم بأنني أرفض منطق معاداة الشيوعية مهما كانت دوافعه، وبصفة عامة فإنني أعتبر نفسي منتمياً إلى تيار اليسار الوطني الذي كان جمال عبد الناصر أعظم دعاته وأبرز قادته.

وثانيهما أنه لا يمكن لأحد أن يتهمني بموالاة الاتحاد السوفيتي بل إن عناصر من داخل الاتحاد السوفيتي أو موالية له بالفعل أو بالادعاء رمتني مرات بممالأة أمريكا لأنني طالبت بعدم التصادم والتناطح بالقوة معها، مع التسليم بأن بيننا وبينها تناقضاً بالطبيعة وبالضرورة لأنه التناقض بين مركز من المراكز الثورية النشيطة في العالم من ناحية، وبين أعلى المراكز في النظام الاستعماري المعاصر من ناحية أخرى."[30]

ووصل الأمر إلى حد أن "ليونيد بريجنيف" طالب بإبعاده عن الصحافة المصرية وتأثيرها السياسي على الرأي العام المصري. وقد نقل طلب "بريجنيف" إلى القاهرة مع الوفد المصري الذي حضر المؤتمر الرابع والعشرين للحزب الشيوعي السوفيتي والتقى بسكرتيره العام "بريجنيف" قبل عودة هذا الوفد من موسكو إلى القاهرة، بل أن الرئيس "نيكولاي بادجورني" أعاد هذا الطلب إلى الرئيس أنور السادات في آخر زيارة له للقاهرة، وكان الرئيس السادات بنفسه هو الذي أخبره بما طلبه منه "بادجورني" بل وفوضه الرئيس السادات أن يناقش هذا الموضوع مع "بوريس باناماريوف"، عضو المكتب السياسي السوفيتي، وكان يزور القاهرة في صيف سنة 1971 في أعقاب زيارة "بادجورني" لها![31]

30 ــ محمد حسنين هيكل، " مرة أخرى العلاقات العربية السوفياتية "، **الأهرام**، عدد 27 - 8 - 1971.

31 ــ محمد حسنين هيكل، **لمصر لا لعبد الناصر**، مصدر سابق، ص 143.

ـ **المرحلة الثالثة:** عاد فيها هيكل إلى موقفه الإيجابي من الاتحاد السوفيتي مدافعا عنه وعن صداقته لمصر ضد الذين هاجموه وانتقدوه. وبعد أن تم التحالف بين الولايات المتحدة الأمريكية ومصر بقيادة أنور السادات، وبعد أن رفض هيكل أسلوب ونتائج استغلال حرب أكتوبر 1973، ذكر قائلا: ".. وقد دافعت وما زلت أدافع عن دور طبيعي ومشروع للاتحاد السوفيتي في الشرق الأوسط...".[32]

وكتب أيضا: "ولم تكن المساندة السوفيتية في مواجهة الأزمات وحدها، سواء بإمدادات السلاح أو بالمواقف السياسية، وإنما تحمل الأرض العربية على ظهرها شواهد لا يمكن إنكارها من رموز التعاون العربي السوفيتي. سد أسوان، سد الفرات، مجمعات الحديد والصلب، ترسانات بناء السفن، مصانع بالمئات وبالآلاف، مفاعلات ذرية، محطات كهرباء، إلى آخره".[33]

وتواصل موقف هيكل مؤيداً لدور يلعبه الاتحاد السوفيتي في المنطقة، ورافضاً لانفراد الولايات المتحدة الأمريكية بها... كان هيكل يدعو في مواقفه إلى ضرورة التوازن في علاقة مصر مع "العملاقين". أما التهم التي وجهت له فقد استنكرها رجال مايو 1971 الذين ألقى بهم السادات في السجن. وكانوا في الضفة المقابلة لموقع هيكل الذي انحاز إلى السادات، ورغم اختلافهم معه، فإن سامي شرف، مدير مكتب عبد الناصر للمعلومات ووزير شؤون الرئاسة[34]، يوضح المشكل قائلاً "... اعتباراً لتوجهات هيكل الليبرالية، فهي لم تعجب الاتحاد السوفيتي، وفي نفس الوقت كانت مقالاته الوطنية لا تعجب أمريكا...".

---

32 ـ محمد حسنين هيكل، **وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي**، مصدر سابق، ص 47.

33 ـ محمد حسنين هيكل، **وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي**، مصدر سابق، ص 47.

34 ـ سامي شرف، من مقابلة خاصة عن هيكل، مرجع سابق.

ويؤكد محمد فائق، وزير الإعلام ووزير الخارجية في عهد عبد الناصر وبداية عهد السادات[35]: "إن الحديث عن عمالة هيكل لأمريكا حديث سخيف. وثبت من التاريخ ومن مواقف هيكل، أنه لم يكن إلا مصرياً، مرتبطاً بعبد الناصر والناصرية ".

برغم هذه التوضيحات فإن السؤال عن "صورة" هيكل من التيارات الأيديولوجية المشتبكة يبقى قائماً.

4 ــ صورة هيكل

أ- هيكل الليبرالي

يعتقد بعض المقربين من الرئيس جمال عبد الناصر، أن هيكل يحمل في أعماقه توجها ليبرالياً، فسامي شرف[36] يقول: "أنا من معايشتي لهيكل أعتقد أن توجهه ليبرالي، ومن خلال علاقته الخاصة مع الرئيس استطاع أن يتعايش مع التحويل الاجتماعي، والدليل على توجهه الليبرالي هو امتلاكه مثلا لعزبة خاصة، وحياته "حياة طرية" أصدقائه الحميمين جداً من أمثال السيد مرعي، وفي نفس الوقت علاقته بعبد الناصر جعلته لا يتمادى في ذلك".

ويبدو أن عملية إثبات "ليبيرالية" هيكل مسألة صعبة بل ربما العكس أقرب إلى الصحة، رغم التقييم الإيجابي للطبقة البرجوازية التي يقول عنها: "وفي اعتقادي أن الحركة القومية العربية قد أخطأت في فهم دور الطبقة المتوسطة ومع تسليمي بأن هناك قطاعات جاهزة دائماً من البرجوازية لكي تصبح احتياطاً للرجعية إلا أنني أتصور أيضاً أن هناك

35 ــ محمد فائق ، من مقابلة خاصة عن هيكل، مرجع سابق.

36 ــ سامي شرف، مرجع سابق.

مجالاً مفتوحاً للتعامل مع هذه الطبقة، وللتعامل مع الخريطة الاجتماعية للوطن العربي كما هي في الواقع لأنني اعتقد أن الطبقة البرجوازية لها دور هام بالفعل"[37]

ب- هيكل الاشتراكي

لكنه في أغلب كتاباته، كثيراً ما يؤكد على دور القطاع العام كقائد لعملية التطور الاجتماعي، فهو يقول مثلا: "إنني أفهم تماما مشكلات رأس المال الخاص، ولكنني اعتقد في صورة قيام اقتصاد مشترك تحت قيادة القطاع العام".[38]

وينفي عن نفسه "الشيوعية" عندما يؤكد: "من الواضح أولا أنني لست شيوعياً، ومن الصعب أن أكون...".[39]

غير أنه كثيراً ما يستخدم بعض قوانين التحليل الماركسي، مثل استخدامه لقانون "التراكمات الكمية والانتقال الكيفي". فهو يكتب أن: "التحولات الكبرى في التاريخ لا تحدث بأسلوب الانقضاض من الهواء على غير انتظار، وإنما تحدث هذه التحولات بقوانين التطور ذاتها، تغيرات كمية، تتراكم بعضها مع بعض، ويحدث تراكمها تفاعلات تؤدي في لحظة من اللحظات إلى تغيير كيفي يبدو فورياً وليس هو كذلك في حقيقته".[40]

---

37 ـ مجلة "**المستقبل العربي**" عدد 29، بيروت، الشهر السابع،، 1981، مقابلة مع محمد حسنين هيكل.

38 ـ المصدر السابق.

39 ـ محمد حسنين هيكل، **وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي**، مصدر سابق، ص 252.

40 ـ محمد حسنين هيكل، **الزلزال السوفياتي**، دار الشروق، الطبعة الثالثة، القاهرة، يوليو 1990، ص 10.

وتـتضح الفكرة الماركسية في قوله أيضاً: "لاشك أن صراع المجتمعات حول أدوات وعلاقات الإنتاج قانون طبيعي وصحيح..."[41]

ويحدد مفهوم اليسار بقوله: "إن اليسار الوطني وكل حركات الثورة الوطنية بالطبيعة هي حركات يسار، لأن مقتضى مفهوم اليسار هو الانتقال بمواقع الثورة ــ وبالتالي السلطة ــ من سيطرة الأقلية إلى سيطرة أوسع الجماهير، فإذا كان مفهوم اليسار الوحيد إذن فإن كل حركة تحرير وطني ذات محتوى اجتماعي هي على نحو ما حركة يسار".[42]

ت- هيكل الناصري

ويعتبر هيكل أن الناصرية أيضا تمثل اليسار عندما يقول: "وفيما يتعلق بأن الناصريين حركة يسار وطني فلا أظن أن هناك خلافاً على ذلك "[43]

لكنه ينفي في مكان آخر وجود "الناصرية" كنظرية حيث يقول "أنني أولاً أبدي اعتراضي على حكاية الناصرية... هناك ناصريون باليقين، ولكن ليست هناك ناصرية بالتأكيد... عندما تنسب شيئاً إلى شيء، فأنت تتكلم عن قانون، وجمال عبد الناصر عبر عن مخزونات تاريخية للشعب المصري ولكنه لم يضع قانوناً، وهو أيضاً قد صنع تجربة ضخمة جدا وأرسى مبادئ

---

41 ــ محمد حسنين هيكل، **السلام المستحيل والديمقراطية الغائبة**، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الثانية، بيروت 1982، ص 28.

42 ــ محمد حسنين هيكل، **وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي**، مصدر سابق، ص 253.

43 ــ المصدر السابق، ص 252.

تاريخية هائلة وأجرى تحولاً تاريخياً ولكن هذا كله أسلوب في التنفيذ وليس نظرية في الفكر...".[44]

وأضاف هيكل في هذا المعنى "من الظلم لعبد الناصر أن يقال أن الناصرية نظرية. لأن النظرية تعني قوانين، والقانون له صفة الصرامة والاستمرار وقابلية التطبيق على الظواهر في مختلف الأمكنة والأزمنة... ظلم لأننا لو حاسبنا عبد الناصر على ممارساته بمعيار أن الناصرية قانون، لكان إخفاقه في كثير من المواقف أو الحالات غير مبرر ولا وارد".[45]

وبعد هذا النفي، يستطرد هيكل قائلا: "من الممكن أن اتفق على أن الناصرية منهج يتعامل مع التغيرات وفق ثوابت محددة لا تحتمل الخلاف، وفي مقدمتها ثوابت أو حقائق الجغرافيا والتاريخ التي تحكم مصر والوطن العربي".[46]

ويبدو أن قصد هيكل من هذا الكلام، هو أن " الناصرية " ليست نسقاً فكرياً مثل "الماركسية" وغيرها من النظريات التي تتميز بشمولية التحليل. ويبدو أنه أراد أن يضع "الناصرية" في إطار عملي حينما أكد على أنها "منهج يتعامل مع المتغيرات وفق ثوابت محددة لا تحتمل الخلاف". فهي بالأساس أسلوب في الصراع، وليست رؤية نظرية في التحليل.

ولم يحاول هيكل، بعد خلافه مع السادات، أن ينخرط في العمل الحزبي. وعندما أشار البعض إلى إمكانية حدوث مثل هذا الأمر، كان رده قاطعاً في نفيه. فهو قد احتج مثلاً على رئيس تحرير صحيفة "الدايلي تلجراف"

---

44 ــ احمد الجمال، "الناصرية محاولة للفهم"، من مناقشات وردت في كتاب "**أوراق عربية**"، العدد الثاني نقلا عن "**الشراع**" اللبنانية، عدد 19 – 1 – 1987.

45 ــ المرجع السابق.

46 ــ المرجع السابق.

اللندنية، وكذب خبراً نشرته يقول: "أنه مشغول في مصر بالمشاركة في تكوين حزب سياسي جديد يحمل اسم جمال عبد الناصر".[47]

وقال هيكل: "وهو يعرف، (رئيس التحرير) وأصدقاؤنا في العالم كله يعرفون أن تأسيس حزب سياسي أو المشاركة في تأسيس حزب سياسي هو أمر خارج عن نطاق ما أفكر فيه... إن هناك شيئاً واحداً أريده وهو أن أظل – كما كنت دائماً – صحفياً ".[48]

وأضاف: "أنت تعرف قدر جمال عبد الناصر عندي، وتعرف أنني لا اعتبر تجربته مجرد فعل ماضي في العالم العربي، ولكني اعتقد أن مبادئه ـــ بصرف النظر عن الماضي ـــ هي المستقبل في العالم العربي، غير أن ذلك لا يدعوني إلى تأسيس حزب يحمل اسم جمال عبد الناصر".[49]

ثم يستنتج قائلاً: "إنني أعتقد أن الجيل الذي سيحمل راية جمال عبد الناصر ليس هو مجموعة الرجال الذين عاشوا بقربه أو عرفوه في حياته، هذه المسؤولية أكبر من أكتاف هؤلاء الذين تقدمت بهم السنون أو الذين ساقتهم المطامع أو المطامح...".[50]

وفي النهاية، يعلل رفضه لمسألة الحزب بقوله: "إنني أظن أن الأحزاب في العالم الثالث ـــ وفي مرحلة الانتقال التي يعيشها هذا العالم الثالث ـــ مجرد أشكال.

حزب الأغلبية هو حزب السلطة دائماً... أي أن السلطة هي التي تصنع الأغلبية، وليست الأغلبية التي تصنع السلطة".[51]

---

47 ـــ محمد حسنين هيكل، **السلام المستحيل والديمقراطية الغائبة**، مصدر سابق، ص 13.

48 ـــ المصدر السابق، ص 14.

49 ـــ المصدر السابق، ص 14.

50 ـــ المصدر السابق، ص 14.

51 ـــ المصدر السابق، ص 17.

والظاهر أن هيكل يستمد رفضه للعمل الحزبي من رفضه السابق ومنذ كان في قمة السلطة مع عبد الناصر لتولي المناصب التنفيذية.

هذه المواقف، جعلت البعض يشكك في "ناصرية" هيكل. فالدكتور فؤاد زكريا يكتب: "المهم في الأمر أن كثيراً من الناصريين المتمسكين بمبادئهم يتشككون في ناصرية هيكل لأسباب عدة، فهو قد هاجم أهم رموز الناصرية بمجرد موت عبد الناصر، بحيث يمكن أن ينظر إلى هجوم هيكل عليهم بوصفه هجوماً على شيء في الناصرية ذاتها... والأهم من ذلك أنه كان من الدعائم الكبرى لحكم السادات، في الفترة الحرجة الأولى، على الرغم من كل ما يعرفه عن الاختلاف الهائل بين السادات وعبد الناصر في الشخصية والفكر والاتجاه".[52]

ويضيف: "وهكذا يتبرأ كثير من الناصريين المتمسكين بعقيدتهم من هيكل، بل ويناصبونه العداء، وعندما يستعرض المرء تطور مواقف هيكل منذ بدء ارتباطه بعبد الناصر حتى اعتقاله القصير الأمد في عهد السادات، لا يملك إلا أن يتساءل: هل كان هناك أي أساس حقيقي لتلك العلاقة التي ارتبط فيها اسم هيكل بالناصرية باستثناء ولائه لشخص عبد الناصر...".[53]

غير أن هذا الحديث يبدو أنه مبالغ في حدته. فضياء الدين داوود وزير الشؤون الاجتماعية، وعضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي، وهو اليوم أمين عام "الحزب العربي الديمقراطي الناصري"[54]، يدافع عن "ناصرية هيكل" في قوله: "لا شك أن التزام هيكل بالخط الناصري ودفاعه عنه بمجموعة الكتابات والكتب التي أصدرها، من أكبر العوامل التي دعمت

52 ــ فؤاد زكريا، **كم عمر الغضب، هيكل وأزمة العقل العربي**، مرجع سابق، ص 91 – 92.

53 ــ المرجع السابق، ص 92.

54 ــ ضياء الدين داوود، من مقابلة خاصة عن هيكل، مرجع سابق.

الفكر الناصري. ومهما كان دور هيكل، وقد أضر بي كثيراً، فأنا أنساه لأجل ما قام به فيما بعد لصالح الناصرية. فأنا أتجاوز المسائل الذاتية التي ليس لها أية قيمة".

ويدعم هذا الرأي رد الفريق أول محمد فوزي، القائد العام للقوات المسلحة المصرية من يونيه 1967 حتى مايو 1971 [55]، عن سؤال الباحث عن هيكل، حينما قال: "لقد أساء لي محمد حسنين هيكل كثيراً وشوهني في أكثر من مناسبة، وأضر بي، لكني لاحظت أن كتاباته عن عبد الناصر والناصرية كانت إيجابية، وقام بدعاية كبيرة لهما... لذلك سوف لن أرد عليه، ولن أتحدث في هذا الموضوع... فأرجو إعفائي".

وتشابهت تقريباً كل آراء رجال عبد الناصر الذين اعتقلوا في مايو 1971. ورغم انحياز هيكل لخصمهم السادات، فإنهم اليوم يعتقدون بدور إيجابي قام به هيكل لصالح (الناصرية) في مصر وفي الوطن العربي من خلال ما كتبه.

إن الاتجاه الفكر السياسي عند هيكل تميز بتأكيده على مسألة إدارة الصراع ودور مصر فيه قائدة "للعالم العربي"، وأهمية فلسطين "كجسر بري يربط المشرق بالمغرب". وبدت صورة الولايات المتحدة الأمريكية في فكره خصماً طبيعياً للعالم العربي رغم ضرورة "تحييدها". كما اعتبر الاتحاد السوفيتي " صديقاً إستراتيجياً" للعرب.

وتميزت "صورة هيكل" بتبنيه مقولة "دور للبرجوازية" في العالم العربي، وبضرورة قيادة القطاع العام للعمل التنموي، مستخدما في أماكن كثيرة بعض التحاليل أو التعابير من القاموس الماركسي بدون تعصب مع أو ضد الماركسية. وأعلن هيكل عن عدم وجود "ناصرية" كنظرية، وإنما يوجد "ناصريون"، رافضا مسألة انضمامه أو مشاركته في "حزب يحمل اسم

---

55 ــ الفريق أول محمد فوزي، من مقابلة خاصة تمت في الاسكندرية، أغسطس 1991.

جمال عبد الناصر". ورغم بعض الالتباس في "ناصريته" فإن القيادات الناصرية المصرية تدين له بدفاعه عن الناصرية ودعمه لها بكتاباته.

خاتمة عامة

إن ظاهرة هيكل – النجم ارتبطت بعهد ذهبي، تفوقت فيه كل المجالات. فهيكل كان نجماً في الصحافة، وجمال عبد الناصر زعيماً كاريزمياً مؤثراً في الوطن العربي والعالم، وأم كلثوم نجمة الغناء والطرب، كما أن نجيب محفوظ نجماً في الرواية... وأفرز هذا العصر نجومه ومبدعيه. وقدموا للعالم إبداعات إنسانية خالدة... وربما من هنا جاءت عالمية محمد حسنين هيكل والشهرة الواسعة التي اكتسبها.

خاتمة عامة

حاول هذا البحث أن يقوم بمقاربة بيوغرافية لحياة الصحفي والسياسي محمد حسنين هيكل منطلقاً من أهمية ظاهرة هيكل وتميزها في الساحة العربية وسط "تخلف إعلامي بارز"، ومنطلقاً من انعدام الدراسات الأكاديمية التي بحثت في حياته المزدوجة بالصحافة والسياسة، ومن الغموض والآراء والمواقف المتناقضة الحادة التي تقيم هذا الصحفي الذي كاد أن يكون أسطورة.

كانت هناك مساحات ضبابية حاول هذا الكتاب إزالتها أو إزالة بعضها. فسعى إلى توضيح جوانب من تاريخ الصحافة المصرية ومن ثمة العربية المعاصرة.

هدف هذا الكتاب إلى توثيق تجربة صحفية نموذجية تكاد تكون فريدة من نوعها في الوطن العربي. فعالج حياة محمد حسنين هيكل من زاوية بعض القضايا الملحة في حياته الصحفية والسياسية منبها إلى أن هذا الفصل بين الجانبين: الصحفي من جهة والسياسي من جهة ثانية، لم يكن إلا فصلاً اعتباطياً دعته ضرورة منهجية، وحتى لا يسقط البحث في منهجية زمنية بسيطة **chronologique** تقع بنا في سهولة مبتذلة.

وحدد الكتاب المساحة الزمنية التي يتناولها هذا البحث بثلاثين سنة تقريبا أي من سنة 1952 إلى سنة 1981، وهي الفترة التي عمل فيها هيكل في الصحافة والسياسة معا. واستخدم المنهجية شبه البيوغرافية في مقاربة هذه الشخصية – الظاهرة، مستعيناً ببعض المناهج، مثل منهج المقاربة الوثائقية،

أو تحليل المضمون، أو جمع الشهادات، أو المنهج التاريخي، نظراً لتشعب الموضوع وتنوعه، فلم يقع الاكتفاء بمنهج واحد.

وتم الاختيار على أن يبدأ البحث بالجانب الصحفي في حياة هيكل، حيث أن الصحافة هي التي شكلت بداية نجاحه وتفوقه. وبفضلها تمكن من دخول عالم السياسة والاقتراب الشديد من صانع القرار، فكثيراً ما فضلها عن العمل السياسي، وكثيراً ما اختارها دون منصب الوزير.

أما القسم الثاني فتناول الجانب السياسي في حياة هيكل فاصلاً بين العهد الناصري ودور هيكل فيه والعهد الساداتي وعلاقته بهيكل. ثم تعرض إلى اتجاه الفكر السياسي عند هيكل مركزاً على الأفكار والآراء والمواقف التي أعلنها في مواجهة أهم القضايا التي عاشتها المنطقة.

وعلى مستوى الموضوعية، واجه البحث بعض الصعوبات من بينها الانقسام الحاد تجاه هيكل بين أعداء حد "الحقد" وأصدقاء حد "التمجيد". ولاحظنا أن بعض الذين حاورناهم كانوا يرفضون نشر بعض الآراء والروايات التي يدلون بها طالبين من الباحث إيقاف "التسجيل "...

****

ووصلنا في دراستنا هذه إلى مجموعة نتائج أهمها :

بالنسبة لهيكل الصحفي:

ـ يعود الفضل إلى "دار أخبار اليوم" في تفوق هيكل الصحفي ونجاحه بعد أن وفرت له إمكانية القيام بتحقيقات كبيرة خارج حدود مصر في منطقة الشرق الأوسط وكوريا... وذلك يحدث لأول مرة لصحافي مصري. ونجحت هذه التحقيقات نجاحاً باهراً جعلته ينسج شبكة ضخمة من العلاقات مع ألمع ساسة وصحفيي العالم في تلك الفترة من الزمن، وفي مصر تمكن من ربط علاقة صداقة مع جمال عبد الناصر وهو مازال شاباً قبل أن يصبح رئيساً للجمهورية وزعيماً للمنطقة.

ـ مع صحيفة "الأهرام" وصل إلى قمة نجاحه المهني. فأصبحت الصحيفة تربح بعد أن كانت تخسر، ووصل توزيعها إلى ثلاثة أرباع مليون نسخة في اليوم، ووصلت أرباحها السنوية إلى ما بين ثلاثة وأربعة ملايين جنيه... وأصبحت واحدة من الصحف العشرة الكبرى في العالم طبقا لتقرير نشرته جريدة "التايمز" كما أصبحت دارها الصحفية، بما فيها من تجهيزات حديثة ومعدات، واحدة من الدور الصحفية الثلاثة الأكثر تقدماً في العالم، وذلك بشهادة مؤتمر الصحافة العالمي في لوس أنجلس.

ومن ناحية المضمون الصحفي والتحرير، أدخل هيكل إلى الأهرام ألمع الكتاب والمثقفين المصريين والعرب بمختلف حساسياتهم الفكرية والسياسية، فاكتسب بهم عمقاً في التحليل وتنوعاً في وجهات النظر رغم ما واجهه من مضايقات أجهزة الأمن وجهاز التنظيم السياسي الحاكم.

ـ صارت "الأهرام" جزءاً من حياة هيكل، وأصبحت مفارقته عملية وجدانية صعبة، لكنها تمت بقرار من الرئيس أنور السادات الذي حرم هيكل من الصحافة بتهمة أنه تحول من العمل الصحفي إلى العمل السياسي. وفي 31 يناير 1974 انسحب هيكل من "الأهرام"، الصرح الكبير الذي بناه على مدى سبعة عشر سنة.

ـ اختلف هيكل مع عبد الناصر في مسألة تأميم الصحافة، فعبد الناصر كان يرى بضرورة تأميمها كغيرها من القطاعات التي أممت في إطار التحول الاشتراكي الذي شهدته "الجمهورية العربية المتحدة"، في حين حاول هيكل أن يجنب الصحافة تملك الدولة أو التنظيم السياسي لها. فبحث عن إمكانية حل وسط يبعد الصحافة عن ملكية الأفراد وينقذها في نفس الوقت من شبح السلطة والدولة، ونجح نسبياً في إقناع عبد الناصر. فأتاح له فرصة تشكيل "هيئة الصحافة العربية المتحدة" و"اتحاد الإذاعة والتلفزيون"، وهي مشاريع حاول تطبيقها بعد أن تأثر بصيغة "الملكية التعاونية" لصحيفة "لوموند" الفرنسية وتجربة إذاعة "BBC" في استقلالية الإذاعة عن الحكومة... لكن بعد عزله عن الصحافة تفككت التجربتان.

ـ ساهمت عملية تدفق المعلومات من محمد حسنين هيكل إلى قائد الثورة الشاب ثم رئيس الجمهورية جمال عبد الناصر في تبوأ هيكل لمكانة خاصة عند الرئيس جعلته يصبح الأقرب إليه، ومكنته من الوصول إلى أسرار ووثائق الدولة والطبقة السياسية وتخزينها وتوثيقها، ثم استخدمها في مرحله لاحقة في الدفاع عن عبد الناصر وتجربته ضد خصومه. كما ساعدته في رد الحملة التي ووجه بها من قبل أنصار الرئيس السادات.

ـ على عكس ما يعتقده العامة في الوسط الصحفي والسياسي في مصر والوطن العربي من أن هيكل مؤرخ "العهد الناصري" فإننا رصدنا أن كتابات هيكل لا ترتقي إلى عمل المؤرخ، لنقص شروط المنهج التاريخي فيها وهو ما اعترف به هيكل وأكد عليه في أكثر من مكان، حيث نفى عن نفسه هذه الصفة وبين أنه يعتبر ما كتبه "قراءة صحفية للتاريخ".

بالنسبة لهيكل السياسي

ـ عندما ارتبط هيكل بـــ"العهد الناصري" مبكرا، قبل الثورة، حرص على أن يكون هذا الارتباط معتمداً على علاقة شخصية بينه وبين الرئيس جمال عبد الناصر، فحاول بكل قوته أن يحصر علاقته بقيادة الثورة في شخص عبد الناصر، وأن لا يدخل في لعبه الصراع على السلطة والمواقع والنفوذ مكتفياً بموقعه كرئيس تحرير "الأهرام".

ـ لكن رفض هيكل الدائم للمواقع التنفيذية كالوزارة لم يعن مطلقاً رفضه للقيام بأدوار سياسية محددة يطلبها منه الرئيس عبد الناصر. فكثيراً ما تولى أدواراً حساسة، وبخاصة في عملية التفاوض أو جس النبض مع إدارة الولايات المتحدة الأمريكية، ولم يكن هيكل يرفض المناصب إلا لأنه كان يراها تحد من مجال حريته، وتضعه في موقع المساءلة أثناء الفشل، أما القيام بالأدوار "الخاصة" فهي لا تزيده إلا مكانة عند الرئيس ولا يتحمل تبعات فشلها لأنه لا ينفذها في إطار رسمي.

ـ كذلك، تكاثر "أعداء" هيكل داخل جهاز الدولة، فاصطدم في مناسبات كثيرة مع أجهزة الأمن، وبخاصة مع جهاز المخابرات العامة. كما اصطدم مع جهاز الاتحاد الاشتراكي، التنظيم السياسي الحاكم، في عديد الأفكار والآراء والمقالات التي ينشرها لنفسه أو لزملائه من محرري "الأهرام" .

ـ رغم محاولة هيكل الدائمة الابتعاد عن صراعات السلطة، فقد وجد نفسه في خريطة معقدة من التكتلات السياسية المتنافسة في أواخر عهد عبد الناصر، وكاد يمثل بذاته كتلة قوية داخل هذه الخريطة.

ـ بعد رحيل عبد الناصر عن الدنيا، تولى السادات رئاسة الجمهورية، وبعد فترة وجيزة من الزمن، انفجر الصراع، وانحاز هيكل إلى الرئيس الجديد ضد مجموعة مايو 1971. وتمثل دوره في ربطه علاقة بين السادات ورئيس أركان القوات المسلحة الفريق محمد أحمد صادق، وكذلك في "تخدير" شعراوي جمعه، ثم إعطاء صفة لهذه الأحداث وهي الدفاع عن الديمقراطية. ثم نظم حملة صحفية مشيداً فيها بدور السادات، ومنتـقداً بشدة لمجموعة مايو 1971.

إن أمنه الخاص دفعه إلى الانحياز إلى السادات، إضافة إلى تعوده على العمل الدائم بالقرب من رئيس الجمهورية.

ـ لم تتواصل علاقته الجيدة مع الرئيس أنور السادات طويلاً، فسرعان ما بدا هذا الأخير في مضايقات متتالية أنهاها بعزله من صحيفة "الأهرام"، عارضاً عليه مناصب سياسية رفضها هيكل. ورغم محاولات الصلح فإن علاقتهما انتهت إلى القطيعة وإلى سجن محمد حسنين هيكل في سبتمبر 1981. وكانت حركة منتظرة من الرئيس السادات الذي قضى على كل من ساعده في أحداث مايو 1971.

وفيما يتعلق بفكره السياسي فهو:

ـ يعتقد أن فلسطين هي سبب الصراع في الشرق الأوسط وأن مصر هي قائدة العالم العربي، وأن "الحرب المحدودة" هي التي يجب أن يخوضها

العرب، متأثراً في فكره الاستراتيجي بالعسكري الألماني "كارل فون كلاوزفيتز".

كما تميزت صورة الولايات المتحدة الأمريكية في فكره بتقييمها في ثلاثة مواقف مختلفة: معادياً لها في الأول، مقترباً منها وداعياً إلى ضرورة "تحييدها" في الثاني، ومعادياً لها مرة أخرى في الثالث.

كما تميزت صورة الاتحاد السوفيتي في فكره بتقييمات ثلاثة: في الأول نوه به، وفي الثاني انتقده، وفي الثالث عاد وأشاد بصداقته مع العرب.

ـ وعند مقاربة صورة هيكل نفسه، تبين أنه لم ينجذب في فكره السياسي إلى اليمين الليبرالي ولا لليسار الاشتراكي رغم أخذه منهما بعض الأفكار. ورفض العمل الحزبي مع الناصريين، نافيا وجود "ناصرية" مؤكدا على تواجد "ناصريين"، ورغم ذلك فقد أشادت أغلب القيادات الناصرية بإسهامات هيكل في الدفاع عن عبد الناصر والعهد الناصري.

****

إن التفوق الذي تميز به هيكل والنجاح المهني الذي وصل إليه في مجال تخصصه، يعود أساساً إلى فهمه لطبيعة العلاقة بين السياسة والإعلام في بلده وبلدان العالم الثالث. لقد انتبه مبكراً إلى طبيعة هذه العلاقة عندما قال "إننا ننسى أحياناً أن الصحافة في أي بلد جزء لا يتجزأ من الحياة السياسية فيه. كما أن الحياة السياسية في أي بلد هي بدورها تعبير عن واقع اقتصادي واجتماعي هو الأساس في كل شيء".[1] وأضاف في مكان آخر "إن العلاقة بين السياسة والإعلام معقدة في كل الدنيا، وهي في دنيانا ـ دنيا العالم الثالث ـ أكثر تعقيدا".[2]

---

1 ـ "هيكل في نقابة الصحافيين"، مجلة "**الشراع**" اللبنانية، السنة الخامسة، العدد 242، 3 نوفمبر 1986 .

2 ـ محمد حسنين هيكل، **بين الصحافة والسياسة**، مصدر سابق، ص 7 – 8 .

ويشرح هذا التعقيد في قوله "هناك أولاً أن الصحافة في أي بلد هي جزء لا يتجزأ من الحياة السياسية في هذه البلاد.

وهناك أيضاً أن الصحف لا تصدر عن الآراء والرغبات الذاتية لمحرريها وإنما هي تصدر وتنشر عندما تعبر عن آراء ومصالح أوسع وأكبر لقوى وتيارات اجتماعية.

وهناك ثالثاً أن حرية الصحافة لا تتأكد بمجرد الإعلان عنها، وإنما تتأكد حين تكون الآراء والمصالح التي تعبر عنها، أي صحيفة قادرة على حماية حقها في التعبير عن نفسها.

ويترتب على ذلك ـــ رابعاً ـــ أن تعدد القوى في المجتمع ـــ ودرجة هذا التعدد وفق مرحلة التطور الاقتصادي والاجتماعي والتوازنات الناشئة عنها ـــ هو الذي يخلق إمكانية تنوع الآراء تعبيراً عن تعدد القوى.

ويتصل بذلك ـــ خامساً ـــ أنه إذا سادت في مجتمع معين ـــ بسبب طبيعة مرحلة التطور التي يمر بها ـــ سلطة واحدة فإن الحياة السياسية في أي بلد تنحصر في حدود هذه السلطة الواحدة، وما عداها يكون خروجا عليها بالتمرد أو الثورة".(3)

كذلك، إن النجاح الذي وصل إليه هيكل، والمكانة التي احتلها في عالم الصحافة والسياسة يعود إلى تواجده القريب من صانع القرار. فهو يعترف: "أن الظروف وضعتني لفترات طويلة بالقرب من صانع القرار المصري، وكانت هناك صداقة ربطتني بالرئيس جمال عبد الناصر وبالرئيس أنور السادات بعده، وكنت ألخص مهنتي كصديق بالقرب من صانع القرار في عنصرين اثنين لا ثالث لهما، واعتقد أنهما العنصران اللازمان لكل من تضعه الظروف التاريخية بقرب صانع القرار في أي بلد من البلدان.

العنصر الأول: أن لا يفاجئ صانع القرار بأي تطور أو بأي تيار فكري.

---

3 ـــ المصدر السابق، ص 235 .

العنصر الثاني: أنه عندما يقع أي تطور أو يبرز أي تيار، فإنه لابد أن تكون هناك بدائل متعددة للحركة، بحيث لا يجد صانع القرار أنه أمام خيار واحد لا مناص له من قبوله...".[4]

لقد وظف هيكل السياسة في سبيل نجاحه الصحفي كما وظف الصحافة في سبيل نجاحه السياسي على حد تعبير ضياء الدين داوود.[5]

لقد لعب بمهارة فائقة لعبة الصحافة والسياسة معا. يوظف هذه لتلك وتلك لهذه في أسلوب دقيق وذكي. وهو من أحد العوامل التي أوصلته إلى قمة الضوء.

أيضا، يعود الصيت القوي الذي أخذه هيكل إلى ارتباطه بجمال عبد الناصر، وهو الزعيم التاريخي الذي كتبت حوله كتب تجاوز عدد عناوينها الآلاف.[6] ونوقشت في "الناصرية" أطروحات كثيرة. وما زالت الصحف والمجلات العربية والعالمية تستخدمها كمادة مفضلة لقرائها، إضافة إلى تأسيس أحزاب كثيرة في الوطن العربي تحمل لقب وصفة "الناصري" في مصر ولبنان واليمن وموريتانيا... وهي حركات جماهيرية تهتم وتقرأ وتكتب في كل ما هو ناصري، مما أتاح لهيكل جمهوراً عريضاً جاهزاً ومتحمساً له ولكتاباته، وخاصة بدفاع هيكل عن عبد الناصر الذي لخص رأيه فيه بقوله "ربما استطعت أن ألخص دور جمال عبد الناصر فيما يلي: رجل أعطى أمته يقيناً متجدداً بأنها موجودة، وأعطى لهذا اليقين المتجدد بالوجود حركته التاريخية، وأنجز بهذه الحركة مهاما كبيرة على أرضها وفي العالم".[7]

---

4 ــ محمد حسنين هيكل، **وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي**، مصدر سابق، ص 194 - .

5 ــ ضياء الدين داوود، مقابلة خاصة أجراها معه الباحث، مرجع سابق.

6 ــ رياض الصيداوي، **حوارات ناصرية**، نقوش عربية، تونس، 1992، ص 3.

7 ــ محمد حسنين هيكل، **السلام المستحيل والديمقراطية الغائبة، حوار مع صديق هناك**، مصدر سابق، ص 32 .

كما يرجع نجاح هيكل إلى اهتمامه بما يقدمه للقارئ العربي، "وتمرده" الدائم على الرقابة الرسمية أو حتى الرقابة الذاتية التي كثيراً ما تعوق الصحافي أو الكاتب عن نقل الحقيقة، وعن الجرأة، ومن ثمة الإبداع.

إن هذه الشجاعة في نقل الآراء ونشر ما تسميه أجهزة الدولة الملتزمة بالأسرار، وجعل هيكل يكتسب حب القارئ وإعجابه وثقته. ويقول هيكل في هذا الموضوع: "إنني اعتقد أن مسؤولية الصحفي أمام قارئه أولاً وأخيراً. على شرط أن يلتزم فيما يكتب بالقانون العام، وبأخلاقيات النشر، وبفهمه هو للمصلحة العامة وحدود السلامة الوطنية.

ولقد وجدت من هذا كله أن واجبي كصحفي يحتم علي أن يكون القارئ على علم بكل التطورات المطروحة حول الصراع الذي هو طرف رئيسي فيه، خصوصاً إذا كانت هذه التصورات تدرس وتناقش في كل مكان في العالم المتحضر".[8]

وأضاف أسلوب هيكل ومنهجه في الكتابة نقطة أخرى تثير إعجاب القارئ، وتجعله يتعلق بقلمه، فهو يؤكد: "... إن المنهج الذي التزمه في كتاباتي هو أن أضع أمام القارئ أكبر مجموعة ممكنة من الحقائق والتصورات والأفكار ولا أفرض عليه نتيجة حتمية لها، وإنما أشركه في أنواع من الحوار معي ليصل بنفسه إلى ما يريد استخلاصه من النتائج، ومن هذا الأسلوب فإن مقالاتي تختلف عن مقالات غيري... غيري يكتب مقالاته بداية ونهاية، وأما أسلوبي فإنني أحاول أن أترك فيه القارئ مع المشكلة يفكر فيها بعد أن يفرغ من قراءة المقال... إنني لا أريد أن أقدم للقارئ "لغة جاهزة" وإنما أريد أن أقدم له مادة للتفكير..."[9]

****

---

8 ــ محمد حسنين هيكل، **وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي**، مصدر سابق، ص 169 .

9 ــ المصدر السابق، ص 143.

ويلاحظ كل من يقرأ مقالات هيكل أو كتبه جمال اللغة العربية التي يستخدمها وغزارة المعلومات وتنوعها التي يوظفها في تحاليله. وتلك العبارات الجميلة التي تفوق بها، ودخلت القاموس السياسي العربي...

كما تميز ببراعته في استخدام تقنيات السرد والوصف والحوار والاستدراك، كأنه قصاص أو روائي مبدع، بل ربما كثيرون يتساءلون عن: أين يبدأ الصحافي وأين ينتهي الروائي في كتابات هيكل؟ أفلا تعد بعض الكتب التي كتبها من نوع الرواية السياسية؟

ويتساءل البعض: ترى لماذا لم يكتب هيكل الرواية؟ أتراها تنجح كبقية كتبه أم يصيبها الفشل لو فعل وكتب؟ خاصة وأن كل ما كتبه يوحي بأنه لن يعجز أمام هذا العمل الجديد. ويجب أن نلاحظ هنا أن أغلب الصحافيين الكبار في مصر وفي الوطن العربي كتبوا روايات كثيرة، حتى مصطفى أمين خصم هيكل كتب أكثر من رواية...

إن ظاهرة هيكل ـ النجم ارتبطت بعهد ذهبي، تفوقت فيه كل المجالات. فهيكل كان نجماً في الصحافة، وجمال عبد الناصر زعيماً كاريزميا مؤثرا في الوطن العربي والعالم، وأم كلثوم نجمة الغناء والطرب. كما أن نجيب محفوظ نجماً في الرواية، ويوسف إدريس نجماً في القصة القصيرة، وصلاح جاهين في الشعر، ولويس عوض في النقد الأدبي،، ويوسف شاهين في السينما و"رأفت الهجان" في المخابرات...

كان عهداً تميز بالحروب والألم وبالصراع والتحدي وبالانتصار والهزيمة وبالأمل والإصرار على التقدم، وأفرز هذا العصر نجومه ومبدعيه، وقدموا للعالم إبداعات إنسانية خالدة... وربما من هنا جاءت عالمية محمد حسنين هيكل والشهرة الواسعة التي اكتسبها.

رياض الصيداوي

بوحجلة في 15 يوليو 1992

جنيف في 15 أكتوبر 2002

الملاحق

سامي شرف

مدير مكتب عبد الناصر

محمد حسنين هيكل فتح درج مكتبي وأخذ أوراقي عندما اعتقلني السادات في مايو 1971

* لم تعط أجهزة الدولة معلومات خاصة لهيكل
* تصلني يوميا عشرة آلاف رسالة باسم عبد الناصر
* حاول عبد الناصر أن لا ينفرد هيكل بمنصب الصحافي الأول
* قواعد الاتحاد الاشتراكي كانت رافضة لترشيح السادات رئيساً للجمهورية
* قبل 20 أبريل 1971، لم نكن نعرف مع من كان هيكل، معنا أم مع السادات
* إنني اتهم هيكل بتخدير شعراوي جمعة
* كلا، هيكل ليس بمهندس انقلاب مايو 1971
* اعتقد أن هيكل في كتاباته، تجاوز بعض الحقائق، وتجاهل أخرى وغير بعضها
* هيكل ليس بمؤرخ الناصرية.

القاهرة ــ رياض الصيداوي

حينما سألت صديقاً مصرياً، عن إمكانية أن يدلي الأستاذ سامي شرف، مدير مكتب الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ووزير شؤون الرئاسة، بحديث يسجل فيه شهادته حول محمد حسنين هيكل، الموضوع الذي أبحث فيه في كتابي، أجاب بأن ذلك شبه مستحيل لأن الرجل لم يتحدث إلى أحد منذ سنة 1971 تاريخ اعتقاله، لكنه قال: الأستاذ عبد الله إمام صديقه، لو تخاطبه قد يتمكن من إقناعه، وفعلت... وجاءني الرد إيجابا، ودخلت بيتاً متواضعاً في مصر الجديدة، استقبلني فيه الأستاذ سامي شرف بحفاوة وكرم كبيرين، وبعد حديث قصير عن تونس وأخبارها، بدأنا اللقاء، وسجلنا ساعة ونصف عن هيكل، تعرضنا فيها إلى نقاط غامضة، وإلى أسرار لم تذع من قبل، وقبل أن أودعه قال: هل أطلب منك طلب، أجبت طبعاً بكل سرور، قال: أريدك أن تعطيني نسخة من التسجيل، وأنا أفعل ذلك حتى تعود وأحدثك فيما تشاء من معلومات وأسرار لم أتحدث عنها منذ اعتقالي سنة 1971.

وعدت وفتح كاتم أسرار عبد الناصر الباب على مصراعيه لاطلع على تاريخ بلاده وقمنا بأربع جلسات سجلنا فيها تقريباً كل شيء عن عبد الناصر والإخوان المسلمين وعن علاقة الريس (كما كان يلقبه طوال الحديث) بالشيوعيين وبالاتحاد الاشتراكي وعن هزيمة 1967 وصراعه مع صلاح نصر وعبد الحكيم عامر وعن محاولات الحركة العربية الواحدة وعلاقاته بحركات التحرر العربية وعن التعددية السياسية في عهد عبد الناصر ومشروع تعدد الأحزاب الذي لم يتمكن من إنجازه وعن انقلاب السادات في مايو 1971.

وتضمن الحديث أسراراً كثيرة بعضها رفض الأستاذ سامي شرف تسجيلها فكان يطلب مني من حين إلى آخر إيقاف المسجل، خاصة عندما

يمس الحديث شخصاً في سلوكه وحياته الشخصية... وفي آخر جلسة طلب مني عدم النشر إلا بموافقته، وألح في ذلك ووعدته أنا بدوري، لكن هذا الوعد لا يتضمن الحديث عن محمد حسنين هيكل باعتباره جزء من البحث الذي أقوم به وهو سينشر على أية حال...

الأستاذ سامي شرف رجل هادئ، قوي البنية، شديد التواضع، لا يملك بيتاً ولا سيارة فارهة، فقط واحدة من نوع نصر 128. يجيب على كل الأسئلة مهما بلغ إحراجها، ويعتز بأنه كان الأقرب إلى قلب جمال عبد الناصر طوال فترة حكمه حتى وفاته...

وهذه تفاصيل الحوار:

*** كيف تعرفت على محمد حسنين هيكل؟**

** كان ذلك سنة 1954 أو 1955.

*** الزعيم الراحل جمال عبد الناصر كانت له مجموعة من مصادر المعلومات البعض يقول أن هيكل له تأثير كبير على الرئيس باعتباره يوفر له كمية هامة من المعلومات؟**

** هيكل كان أحد مصادر المعلومات باعتبار عمله الصحفي ووجوده في وضع قيادي في مجال تخصصه. لكن بالنسبة لتدفق المعلومات للرئيس جمال عبد الناصر، فقد كان يتميز بالتنوع وعدم الأحادية حتى لا يصبح أسير جهة واحدة أو جهتين، وبالتالي طبيعة تكوين الرئيس كقائد خطط ونفذ ثورة 23 يوليو 1952 تجعله لا يكتفي بمصدر واحد ولنوضح هذا الكلام فنقول:

إن مصادر المعلومات عند عبد الناصر تنقسم إلى قسمين:

- القسم الأول تشكله المصادر العلنية وتشمل الصحافة، الإذاعات العالمية بمختلف اتجاهاتها، الدوريات، النشرات، الدراسات والكتب، فكل ما هو منشور ومسموع ومرئي كان يسعى للاطلاع عليه.

وتشمل المصادر العلنية أيضا رسائل المواطنين وكانت كثيراً جداً حتى أنها تتعدى في بعض الأحيان، وفي اليوم الواحد عشرة آلاف رسالة. وفي بعض الأحداث التاريخية تصل الأرقام إلى مئات الألوف من الرسائل في اليوم موجهة لجمال عبد الناصر. وهي تأتي من مصريين وعرب ومن أمريكا اللاتينية وأستراليا ومن بلدان أخرى.

مجموعة هذه الرسائل كانت تعطي لجمال عبد الناصر صورة حية نابضة عن مشاعر الجماهير وما تريده.

- أما القسم الثاني من المعلومات فهو المعلومات المغطاة، وهذه المعطيات السرية تصله من الأجهزة المختلفة ومن لقاءات واتصالات شخصية، على سبيل المثال بعض رؤساء الدول يبعثون له بموفدين يتحدثون في مواضيع ذات طابع سري كنوع من أنواع جس النبض أو محاولة معرفة وجهة نظر جمال عبد الناصر. ومن هذه اللقاءات كان الرئيس يتحصل على كم من المعلومات تساعده في اتخاذ القرار المناسب.

إضافة إلى كل ذلك هناك تقارير الوزارات والمؤسسات الرسمية وهي الجهات الخبيرة المطلعة.

استنتاجاً لا يمكن القول بأن جمال عبد الناصر يعتمد على مصدر واحد فقط ومحمد حسنين هيكل كان أحد المصادر المنظمة المرتبة.

*** حسنا هذا فيما يخص اتجاه المعلومات من هيكل والمصادر الأخرى إلى جمال عبد الناصر، فماذا عن الاتجاه المعاكس أي اتجاه المعلومات من الرئيس وأجهزة الدولة إلى محمد حسنين هيكل وبخاصة أن الرجل شحن كتبه بكمية كبيرة من الوثائق بالغة السرية؟**

** والله أنا سمعت كثيراً عن هذا الموضوع عندما كنت في مركز السلطة مسئولاً عن مدير مكتب الرئيس ووزير سكرتارية شؤون الرئاسة لم يتجاوز حجم الوثائق التي كانت تعطى للأستاذ هيكل المسائل العلنية المباحة، أما الوثائق السرية فلم تخرج من المكتب أبدا، لذلك، أنا وقد أكون مخطئاً، وربما لأن هذا الأمر حصل وأنا في السجن سمعت من بعض الأشخاص أن أنور السادات سمح بعد انقلاب مايو 1971 لهيكل أن يدخل مكتبي ويأخذ ما يشاء من أوراق.

والذي يؤكد لي هذه المعلومات أن هناك وثائقا نشرت في كتب الأستاذ هيكل لم تعط له قطعاً ويقيناً وخصوصاً تلك الأوراق التي كتبتها بخط يدي وكانت موجودة في مكتبي الشخصي وبالتحديد في درج مكتبي الخاص وحصل عليها وأنا لم أعطه شيئا، لذلك اعتبر الرواية التي قيلت أقرب إلى الصحة.

*** قبل أن يلمع نجم هيكل الصحافي كمقرب لعبد الناصر ألم يحاول صحافيون آخرون أن يقوموا بدور القريب من الرئيس الراحل؟**

** ليس صحافيون آخرون حاولوا لعب الدور، وإنما عبد الناصر نفسه حاول إيجاد دور لهم يعني أن الرئيس كان متضايقا في أعماقه من أن هيكل هو الوحيد القادر على التعبير عن النظام وكثيراً ما حاول طوال 18 سنة أن يعطي الفرصة لآخرين لكنهم لم يستطيعوا أن يثبتوا وجودهم. ومن هنا أقول أن هيكل محترف، ممتاز، ذكي، لماح، وله قدرة فائقة على التعبير.

وهذه مسألة موهبة. وأنا أعتبر أنه يمثل آخر العمالقة في ميدان الصحافة.

*** هل يمكن أن نعرف من هم الذين أعطاهم عبد الناصر الفرصة ولم ينجحوا؟**

** الرئيس حاول أن يعطي الفرصة لأكثر من عشرة صحفيين مثل أحمد بهاء الدين، كمال الحناوي، جلال الحمامصي وربما تندهش لذلك، حلمي سلام... لكنهم لم يستطيعوا النجاح في ما نجح فيه هيكل.

*** هل كان لهيكل دور رئيسي في صياغة خطب عبد الناصر؟**

** صياغة الخطب كانت تتم على النحو التالي: الرئيس يفكر ويضع نقاط للخطاب ثم يستدعى هيكل ويجلسان مع بعض ويتكلمان فيها ثم يصيغها هيكل. وهذا شيء طبيعي لأنه لم يوجد رئيس يكتب خطبه دائماً بنفسه.

*** ومكتب المعلومات الذي ترأستموه ألم يكتب خطباً لجمال عبد الناصر؟**

** حاولنا في مناسبات قليلة، ونحن لسنا حريفين فمال الرئيس إلى محترف. أما واجبنا نحن فهو تجميع المعلومات.

*** الصورة السياسية في الستينات كالآتي: الرئيس جمال عبد الناصر بطل كاريزمي، عبد الحكيم عامر وصلاح نصر كتلة تعمل في الجيش والمخابرات، ومجموعة الاشتراكيين المتشددين متكونة من المرحوم علي صبري والمرحوم شعراوي جمعة والأستاذ سامي شرف. محمد حسنين هيكل أين يتموقع في هذه الصورة وهو يبدو غريباً في هذا المشهد بدون علاقته مع الرئيس الراحل؟**

** أنت سألت وأجبت، فهيكل كان يعتبر علاقته مع عبد الناصر علاقة شخصية أكثر منها علاقة عامة ولا أكتمك حقيقة نفس العلاقة التي كانت بيني وبين الرئيس الراحل، فعلاقتي معه يصعب جدا أن أترجمها بالألفاظ.

*** علمت أنه بعد وفاة الرئيس كنت الوحيد الذي يزور قبره يومياً.**

** نعم، صحيح

*** الفكر السياسي عند هيكل، ألا يبدو أنه الأقرب إلى الفكر الغربي الليبرالي من قربه إلى الفكر الاشتراكي الشعبي؟**

** أنا من معايشتي لهيكل اعتقد أن توجهه ليبرالي، ومن خلال علاقته الخاصة مع الرئيس استطاع أن يتعايش مع التحول الاجتماعي، والدليل على توجه هيكل الليبرالي، مثلا، امتلاكه لعزبة خاصة، وحياته حياة طرية، أصدقاؤه الحميمين جداً من أنواع السيد مرعي. وفي نفس الوقت علاقته بعبد الناصر جعلته لا يتمادى في ذلك.

(وهنا أوقفت جهاز التسجيل بطلب من الأستاذ سامي شرف وتحدث عن بعض الأشياء التي لم يرد نشرها) ثم عاود التسجيل ليقول : أنا أريد أن أدافع لا أن أهاجم وأنظر إلى الأمام، إلى المصلحة العامة وهي تقتضي أن نرتفع عن أشياء تفصيلية تؤذي وضعنا رغم معرفتي أنها حقائق فعلا ويجب أن تذكر لكن ليس كل ما يعرف يقال.

*** مقاطعاً، التاريخ لا يرحم وهذه شهادة له يا أستاذ سامي.**

** صحيح التاريخ لا يرحم وأنا إنسان تتلمذت على يد جمال عبد الناصر وعشت معه طوال التجربة بحلوها ومرها ثم بعد وفاته ذقت عذاباً كبيراً في

سجون السادات رغم ذلك أنا لا امتلك أي شيء. وفي عهد عبد الناصر كنت "على الحجر" أستطيع أن أفعل ما أشاء بلا حسيب ولا رقيب. كنت أقدر مثلا أن امتلك بيتا أؤمن به أولادي بعد وفاتي ولكني إلى اليوم لا أملكه وربما يدخل هذا في التوجه العام وهو توجه عبد الناصر الذي يعتبر أن الملكية يجب أن تكون في حدود عدم الاستغلال.

*** الاتحاد السوفيتي عبر في بعض المناسبات عن عدم ارتياحه لمحمد حسنين هيكل في حين أنه مرتاح للمرحومين على صبري وشعراوي جمعه، كيف تفسر هذا الموقف؟**

** أنا كمواطن مصري عربي لا يهمني موقف موسكو ولا واشنطن وما يعنيني هو مصلحة بلدي وأمتنا العربية. وإذا كان فلان أو علان يرضى عنه المندوب الأمريكي أو السوفيتي فهذا شيء لا يهمني بتاتاً. لكن من أجل قضايا معينة، وبما أنك في دولة والعالم يحكمه قطبان كبيران، وسياسة عبد الناصر كانت متوازنة وفي بعض الحالات كانت العلاقات مقطوعة مع الولايات المتحدة الأمريكية في حين تزودنا بثلاثة أرباع قطع غيار مصانعنا مثلا وألمانيا الغربية كانت تسلح إسرائيل ورغم ذلك قامت بمجمع كيميائي كبير جدا في أسوان... فسياستنا في عهد عبد الناصر كانت متوازنة تراعي مصلحة وطننا وأمتنا العربية.

أما مسألة دولة راضية عن فلان أو غير راضية فهذه المسألة لا تعنينا تماماً وتعتبر نكتة نمزح بها...

واعتباراً لتوجهات هيكل الليبرالية فهي لم تعجب الاتحاد السوفيتي، وفي نفس الوقت كانت مقالاته الوطنية لا تعجب أمريكا.

*** ليلة 28 سبتمبر 1970، عند وفاة الرئيس جمال عبد الناصر حدث اجتماع لأركان الدولة لبحث مستقبل البلاد. ما الذي دار في هذا الاجتماع؟ وأين كان موقع هيكل في المشهد؟**

** بعد الوفاة وإقرارها من قبل الأطباء حصل اجتماع في بيت الرئيس عبد الناصر تحديداً في الصالون التحتي وحضره أنور السادات وحسين شافعي وعلي صبري وشعراوي جمعه والفريق محمد فوزي ومحمد حسنين هيكل وأنا ولا أتذكر إن كان أمين هويدي حاضراً أم لا. وتم نقاش سريع حيث كنا جميعا مرتبكين وما وقع تناوله كان مجرد رأس الموضوع حول "ماذا بعد"، وبدون تردد وبدون أي نقاش أحادي أو مزايدة اتفقنا جميعاً على سيادة الشرعية، ليه؟ حتى يضرب المثل للشعب المصري والأمة العربية وللعالم أن هناك مؤسسات تركها عبد الناصر قادرة في غيابه أن تسير الأمور وفق ما كان يريد.

بعد ذلك اتفق على عقد اجتماع مشترك لمجلس الوزراء واللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي في القصر الجمهوري بالقبة وتم الاجتماع وأبلغ الحاضرون بالوفاة وأقررنا استمرار الشرعية واتفقنا على بيان صاغه هيكل يلقيه أنور السادات ينعى فيه الشعب المصري والأمة العربية في وفاة زعيمها.

*** في هذين الاجتماعين ألم يكن لهيكل دور واضح في ترشيح السادات للرئاسة؟**

** نحن اتفقنا على الشرعية، وهي تعني أن هناك نائباً للرئيس يتولى الرئاسة والنقاط التي أثيرت واختلف فيها أستطيع أن أقول لك أنها لأسباب شخصية. فالمعترض الوحيد كان حسين الشافعي لأسباب شخصية محضة، ونحن قلنا أن نائب الرئيس هو الذي يجب أن يباشر مهام الرئيس وأثيرت

نقطة دستورية وناقشناها وهي هل يتولى أنور السادات قيادة مصر لغاية إزالة آثار العدوان أو حتى نهاية ولاية الرئيس عبد الناصر.

*** هل يمكن أن نعرف من الذي أثار هذه النقطة؟**

** الذي أثارها أنور السادات نفسه حيث قال أريد أن أبقى في هذه الرئاسة حتى إزالة آثار العدوان. وهذا يدل على أن المعركة كانت قريبة جداً فعبد الناصر كان قد عين تاريخاً لعبور قناة السويس ولتحرير الأرض العربية وهذا رد على الذين قالوا أن ليس هناك خطة واجتهدوا اجتهادات مغرضة. أما نحن فقلنا له أكمل المدة الرئاسية، وبدأت سلسلة الإجراءات القانونية حيث تجتمع اللجنة التنفيذية العليا وتسمي المرشح، ثم يزكيه مجلس الأمن وفيما بعد تقع الانتخابات. وأعترف أننا هوجمنا جميعاً من قواعد الاتحاد الاشتراكي وقالوا "كيف يصبح أنور السادات رئيساً؟"، ويثبت ذلك في محاضر الجلسات مكتوبة ومسجلة في نقاشنا مع قواعدنا. وكانت الشرعية دائماً نصب أعيننا.

*** عبد الناصر كان يعرف طبيعة وحقيقة أنور السادات، فكيف عينه نائباً لرئيس الجمهورية، وهو ما اعتبره البعض خطأ عبد الناصر الفادح طوال حياته؟**

** الموضوع ليس موضوع خطأ أو صواب. في الحقيقة إن مسألة تعيين أنور السادات نائباً لرئيس الجمهورية مسألة خاصة. فأنور السادات كان عضو مجلس قيادة الثورة الوحيد الذي لم يعين في هذا المنصب وعبد الناصر تقيد ببيان 30 مارس 1968 الذي أمر بالتغيير الشامل الكامل، والذي كان عبد الناصر مصراً على تنفيذه، ووفاء منه لزمالة تاريخية عين أنور السادات نائباً لرئيس الجمهورية لمدة عام، وذلك لأنه لا يتحصل على الراتب التقاعدي

لأي وظيفة إلا بعد سنة من العمل فيها. وقد كان بالنسبة لعبد الناصر مطيعاً وأميناً.

*** بالنسبة لبيان 20 مارس 1968 ورد فيه أنه سيحصل تغيير شامل في الأسلوب والحكم. فما هي ملامح هذه التغيرات ؟**

** نعم جاء فيه ذلك، وأهم شيء مس العمل السياسي. وكان عبد الناصر يقدر أنه في سنة 1975، سيكون هناك تعددية حزبية وبدأ التفكير، تحديداً في أغسطس 1967، في قيام حزبين: واحد يمثله الاتحاد الاشتراكي العربي وحزب آخر معارض.

*** هذا الحزب المعارض ما هي أهم سماته؟**

** هناك اتفاق على الخط الاستراتيجي العام، ولكن معارض في وسائل التنفيذ وأسلوب التنفيذ.

*** هل كانت هناك تسمية معينة لهذا الحزب؟**

** كلا، لم تكن هناك أية تسمية.

*** الحزب المعارض، سيتشكل من داخل الاتحاد الاشتراكي أم من خارجه؟**

** من خارج الاتحاد الاشتراكي طبعا، إذا كان من داخله فالمسألة تصبح مجرد تمثيل، وهذا لم يكن وارداً، فالرئيس قال: يمكن أن يعمل علي صبري، وعبد المحسن أبو النور حزب معارض، ولكن في هذه الحالة لن يصبحوا حزباً وإنما تياراً لأنهم من الاتحاد الاشتراكي، لكن إذا جاء واحد مثل كمال

الدين حسين أو عبد اللطيف بغدادي ــ وهما لا ينتميان إلى الاتحاد الاشتراكي ولكنهما ينتميان إلى الثورة وملتزمان بها أدبياً ــ فيصبح الأمر معقولاً، وهذه كانت نقطة الانطلاق، لكن فيما بعد أجلت هذه الفكرة نتيجة الانغماس في عملية التحرير.

... ولقد كان عبد الناصر جاداً في مسار التعددية الحزبية وليس فقط حزبان وخطط لذلك لسنة 1975.

*** هل كان الشيوعيون مرشحين لنيل حزب باعتبار قربهم في فترة ما من عبد الناصر؟**

** لا أستطيع أن أتحدث عن التفاصيل، فقط أقول كان المسار يتجه نحو حزبين ثم تعددية حزبية وأي أحد يدعى غير هذا فهو لا يعلم لا يعلم...

*** فيما يتعلق بالحركة العربية الواحدة كيف خطرت في ذهن عبد الناصر بعد 1967؟**

** الحركة العربية الواحدة لم تفارق ذهن عبد الناصر بتاتا فإيمانه بالقومية العربية ترجمه إلى وحدة مع سوريا، إلى وحدة مع اليمن، إلى علاقات وطيدة جداً مع ليبيا والسودان تمهيدا للوحدة. فهذا الموضوع لم يفارقه أبداً والذي كان يعوق تطلعاته، كان إما المراهقات السياسية أو التطلعات الشخصية الانتهازية من بعض القيادات التقليدية لركوب الموجة... وعبد الناصر كان يرفض ذلك، ويبحث عن القواعد السليمة وهي الأسباب التي دفعته إلى التوجه إلى الشباب واهتمامه بتكوين منظمة شباب، وخلق جيل جديد يؤمن بالوحدة العربية.

*** لكن، ألم تلاحظ أن تنظيم فتحي الديب (الطليعة) لم يتمكن من إنشاء الحركة العربية الواحدة جماهيرياً؟**

** العملية التي تولاها فتحي الديب كانت التمهيد وليس الأساس ومع احترامنا له كصديق وزميل، وهو لسوء حظه وضع في مكان حرج رغم تأكيدنا على أنه إنسان شريف نقي، وفي الحقيقة عبد الناصر كان يباشر بنفسه تحقيق حلم الحركة العربية الواحدة بغض النظر عن المحيطين به.

*** لو توضح لنا هذه النقطة أكثر؟**

** طيب، عبد الناصر كان يلتقي بكثير من العاملين في المجال السياسي العربي، ومن خلال هذه اللقاءات كان يشكل مع بعضهم علاقات شخصية مباشرة أو عن طريقي ليكونوا بمثابة النواة للحركة العربية الواحدة وباقي التحركات كانت إما للتغطية أو لاكتشاف عناصر جديدة أو للفرز بينها.

*** هذه المجموعات طبعا ناصرية؟**

** ضحك عفوياً وقال، (أو مال يعني استرالية)!

*** فوضحت السؤال أكثر، أعني ربما تكون من حركة القوميين العرب أو غيرهم؟**

** والله في الحقيقة كانت هناك عناصر كثيرة ملتقطة من تيارات عاملة في الحقل القومي ولما جاءت فكرة عبد الناصر تَشبثوا بها باعتبارها الأصل وهؤلاء كانوا من القوميين العرب ومن بعثيين سوريين وعراقيين، وعناصر تقدمية ماركسية لما فتح لهم عبد الناصر الباب دخلوا جميعاً منه.

*** أغلب الناصريين الذين تعاملتم معهم كانوا من لبنان ؟**

** ليس من لبنان فقط وإنما من جميع أنحاء العالم العربي، وكل حركات التحرر من المغرب العربي تعاملت مع القاهرة، وكل العناصر التقدمية تعلموا أو تدربوا في مصر... وهم من الإمارات واليمن والسعودية...

*** نعود إلى موضوع هيكل، وتحديداً قبل مايو 1971، عندما كتب مقالين أثارا زوبعة كبيرة: مقال (تحية إلى الرجال) و(عبد الناصر ليس أسطورة). كيف واجهت المجموعة الناصرية هذين المقالين؟**

** بالنسبة إلينا يمكن تقييمهما موضوعياً كالآتي :

– هيكل، كان في داخله متخوفاً من الحرب. هذا الخوف قاده إلى أن يترجم هذا الإحساس إلى تعبير قدمه للرأي العام. والرجل صحفي يكتب، وكان دائما يحذر، ونحن كمؤسسة رئاسة ومؤسسة عسكرية قررنا الحرب، لا يهمنا أن نترك مثل هذا الحديث ينشر، ربما يضلل العدو، لكن ما يهمنا هو أن لا تهتز الروح المعنوية للمقاتل. هنا نقول له: قف لا تتجاوز حدودك. وهذا باختصار ما كان عليه تفكيرنا.

– المقال الثاني المتعلق (بعبد الناصر ليس أسطورة)، اعتقد أن هيكل له الحق وليس له أي حق!

له حق في أن عبد الناصر ليس بأسطورة بمعنى أنه لم يكن آلهة ولا شيئاً يعبد. ونسيء إلى عبد الناصر إذا اعتبرناه صنماً معبوداً... فالرجل كان إنساناً يخطئ ويصيب، ولكن بعض الأخوة أخذوا الموضوع من زاوية عاطفية. فاعتبروا أن هيكل يريد أن يغير جلده. وهذا حقيقة لم يكن صحيحاً، وليس دفاعاً عنه، وأنا تحدثت معه حول هذا الموضوع في تلك الأيام، وأيضا حديثاً جداً (سنة 1991)، وأنا اتفق معه بأن عبد الناصر ليس أسطورة.

*** لكن، إلى أي حد يعتقد رجال عبد الناصر بأن هيكل تأثر بتوجيه معين من السادات خاصة في مقال (تحية إلى الرجال) الذي أثار بخاصة الفريق محمد فوزي ؟**

** محمد حسنين هيكل رجل يحسب لكل شيء. وطبعا مثلما قلت، كانت علاقته بعبد الناصر علاقة خاصة. وبعد رحيل القائد، لا يمكن أن تكون له مع أي منا علاقة مثل تلك التي كانت مع الراحلِ لأسباب كثيرة خاصة به وبنا... فعبد الناصر كانت له حساباته. كان قادراً على احتواء الجميع، يقرب هذا، ويبعد ذاك، وكل شيء كان محسوباً.

اعتقد هيكل أنه لن يكون له نفس الموقع والمكانة التي كانت له بعد عبد الناصر، واعتقاده صحيح من الناحية العلمية، ولكن عملياً خطأ، لماذا؟ لأنه أراد أو لم يرد فإنه محسوب علي عبد الناصر. يعني لو انقلب عليه، لن يصدقه أحد، فهو لا يستطيع ذلك مطلقاً.

واعتقد أنه لو حسب الأمر على أساس نبقى على علاقة طيبة فيما بيننا لكانت التطورات في طريق آخر.

كذلك، وهذه المسألة نسبية، وهي أن قدرتنا على موازنة الأمور لدى بعضنا حدية، أي يا أبيض أو أسود. ومثال ذلك، فنحن نأخذ منه موقفاً حدياً، بينما عبد الناصر قد يغض الطرف. وأضيف أن عبد الناصر يستطيع أن يشد هيكل من أذنه بينما يستحيل أن يقبل ذلك منا نحن!!

ولاحظ هيكل خلافات جوهرية على السطح. وتنبأ بأن الصدام سيقع... وهو راهن على الحل السلمي لأنه يؤمن به، وقال يمكن لهؤلاء لو أقدموا على الحل العسكري أن يضروا البلد فهم ليسوا عبد الناصر.

فحساباته قامت على عنصرين: الأول شخصي وهو أين موقعه. وخصوصاً أنه يرفض أن يكون وزيراً، وهذا الرفض كان ضد رغبة عبد الناصر، لأنه حينما اختاره للوزارة، كان واعياً باختياره. فقد قال له: "أنت تفلسف هذه المسائل وأنت صحافي خارج عن الدائرة، امسك الوزارة

وفلسفها من الداخل وأنت وزير"، ومن هنا أمرني عبد الناصر بأن أذيع قرار تعيين محمد حسنين هيكل في الوزارة على الساعة 12 ظهراً بالإذاعة. وفوجئ هيكل بالقرار. وهذا المثال دليل على أن عبد الناصر هو الذي يحرك هيكل وليس العكس.

*** أدقق السؤال أكثر، هذان المقالان، هل اعتقدتم أنتم رجال مايو 1971 أن السادات كان وراء كتابتهما؟**

** لا، هيكل بعد عبد الناصر، أصبح يكتب بفكره الشخصي، فقط يمكن بعد 15 مايو 1971 نسق مع السادات.

*** لكن المرحوم علي صبري هاجم بشدة هذين المقالين ؟**

** ليس فقط علي صبري، وإنما الجميع. وأيضا ضياء الدين داوود، ولبيب شقير، وعبد المحسن أبو النور وغيرهم...

*** لقد ذكر لي الأستاذ محمد فائق أنهم هاجموا هذين المقالين باعتبارهما يمثلان فكر السادات، فكانت شدة انتقادهم موجهة أساسا إلى السادات؟**

** هم اتفقوا من حيث لم يتفقوا، يعني لم يجلسوا على طاولة للاتفاق. فهيكل كان خائفاً، والسادات اكتشفنا فيما بعد أن له اتصالات خاصة مع الأمريكان وغيرهم...

*** متى أحسستم بأن محمد حسنين هيكل تموقع نهائياً مع السادات في مواجهتكم؟، وما هي المؤشرات التي ترجمت هذا الإحساس ؟**

** لغاية آخر لحظة كان من الصعب أن نحدد موقعه لغاية الفترة الممتدة من 20 أبريل إلى 15 مايو(1971).

*** تأكد لكم ذلك؟**

** ليس تأكد لنا، وإنما تأكد لي شخصياً. ففي يوم 19 أو 20 أبريل، كنت والمرحوم شعراوي جمعه (وزير الداخلية) عند هيكل في مكتبه. وطرح هيكل موضوعاً قال فيه (أنت رئيس الوزراء القادم يا شعراوي). فوجئت أنا بهذا الموضوع، شعراوي سعد بالخبر، وأما أنا فتضايقت وسكت عن الحديث. وبعدما خرجنا ــ أنا وشعراوي ــ قلت له: (إيه الكلام ده يا شعراوي، هو هيكل حيعينك رئيس وزراء!!) وأضفت (أو هو أنت عايز تبقى رئيس وزراء) سكت. وثاني يوم، وكان شعراوي يمر علي كل يوم يشرب معي القهوة في مكتبي ثم يذهب إلى مكتبه، قابلته وقلت له: (لقد فكرت طوال البارحة وأعتقد أن هناك عملية تخدير. لماذا؟ لأن هيكل رشح د.محمود فوزي لرئاسة الوزراء وأصر على تعيينه بعد وفاة الرئيس، علماً أن المرحوم الدكتور فوزي فاضي، وهيكل هو الذي صنع منه شيئاً من خلال كتاباته، وكان دائما كلما سأله الرئيس عن شيء، يقول له: أمرك يا ريس، إلى تشوفو، إلهامك يا ريس...

*** هل كان هيكل يؤثر في صنع القرار في عهد السادات قبل 15 مايو 1971؟**

** طبعا، لأن السادات كان يعتقد أن هيكل كان مؤثراً في عهد عبد الناصر. فالسادات لم يكن يعلم شيئاً، علماً بأن عبد الناصر كان يستخدم محمد حسنين هيكل، وكان يعرف كيف يستخدمه، وهذا الحديث لا ينال من هيكل ولا يحط من شأنه.

*** لنقل، أن محمد حسنين هيكل كان يخاف من الرجال الأقوياء القريبين من عبد الناصر مثل علي صبري وشعراوي جمعه وسامي شرف، فحاول أن يبرز آخرين شخصياتهم باهتة من نوع محمود فوزي حتى يتمكن من التأثير في الجميع وبالتالي الإمساك بالقرار السياسي. فما رأيك في هذا التحليل ؟**

** أوافقك هذا تجريد سليم.

*** نأتي إلى بداية تسارع أحداث مايو 1971. قلنا أن النصف، الثاني من أبريل كشف أن مجموعة عبد الناصر تموقعت في جهة، وهيكل في الجهة المقابلة. فكيف بدأ هذا الأخير يعمل للإطاحة بكم؟**

** هو اتبع سياسة تخدير تجاه شعراوي جمعه عندما أوهمه بمسألة رئاسة الوزارة. والحقيقة أنني لغاية هذه اللحظة، ومع تقديري لشعراوي كإنسان شريف، ونقي تتلمذ على يد عبد الناصر، لم أستطع أن أفسر لماذا انجرف وراء هيكل وتخديره. فأنا مثلا لم أخدع، ولم أكن أعادي محمد حسنين هيكل. فكنا نتزاور، يزورني أولاده وكذلك أولادي، لكن العمل عمل والسياسة سياسة... لأنه لو حصل حوار بين شعراوي وبيني حول هذا الموضوع لكان من الممكن أن نعالج المشكلة سياسياً فكنا نتنبه إلى ما يحدث، لكن نتيجة لهذا التخدير وقع المحظور.

*** إذن، تعتقد أن أهم دور لعبه هيكل في 15 مايو هو تخدير شعراوي جمعه ؟**

** حقيقة لم يكن على المسرح سوى شعراوي جمعه. فعلاقته بعلي صبري سيئة وحسين شافعي والفريق فوزي كان أمرهما محسوماً كخصوم لهيكل والسادات وهو يعلم أن شعراوي وسامي قريبين من بعض وإلى حد وفاته رفض شعراوي الحديث في هذه النقطة الغامضة و لم أكن أقدر أن أجبره على الكلام.

*** نحوصل، فنقول أن أهم دور لهيكل كان في تخدير شعراوي جمعه؟**

** وأضيف خلق علاقة مع محمد أحمد صادق ليس من خلال الفريق فوزي طبعاً.

*** مقاطعاً، لو تسمح لي، هل يمكن أن أعرف لماذا هذا العداء الشديد بين هيكل والفريق أول محمد فوزي؟**

** لست أدري. أنا لم أطرح هذا الموضوع إلى اليوم مع هيكل ولكن في ذهني أن أحكي معه في هذه المسألة. لا أستطيع أن أعطيك إجابة على هذا السؤال.

أعود إلى موضوع العلاقة مع محمد أحمد صادق، لقد استخدم أحد الصحفيين في جريدة (الأهرام) واسمه عبدو مباشر وكان مراسلاً حربياً ومندوب الأهرام في الدوائر العسكرية وكانت علاقته بمحمد صادق قوية حيث يقوم له بدعاية. ولما انتقل الفريق صادق إلى رئاسة الأركان انتقل معه عبدو مباشر ومن خلال هذه العلاقة ربطت الخيوط بين هيكل وصادق و لم نكن نتابعها وبعدما دخلنا السجن عرفنا أن رابطا قويا كان بينهما لكن ما هو حجمه، وإلى أي مدى، هذا ما لم نكن نعرفه.

*** محمد حسنين هيكل قال أنه مهندس أحداث مايو 1971، فهل تعتقدون بأنه المهندس الحقيقي لهذه الأحداث؟**

** لا، وأعلم أن أحداث مايو 1971، لا اعتبرها صراعاً على السلطة وإنما هو صراع بين اتجاهين: اتجاه تقدمي واتجاه رجعي. ولو كنا سياسيين محترفين وتخلصنا من أخلاقنا لانقلبت الصورة تماما بنسبة 180 درجة، وأن السادات لما قضى علينا بسهولة، فقضاؤه لم يأت بنتيجة ضعف وإنما نحن تنازلنا عن السلطة بمحض إرادتنا. لقد كنا تيارين متناقضين واحد منهما أخلاقي والآخر متآمر.

*** اليوم، ألا تحسون بالندم في تفريطكم في مستقبل مصر؟**

** أعترف أن أخلاقياتنا كانت أكثر من اللزوم. وأنا تعلمت منذ عشرين سنة أن السياسة لا يجب أن تكون أخلاقيات مائة بالمائة. وأنا أقول هذا الحديث على لساني دون أن يقتنع به عقلي وقلبي. وأنا أحس بمرارة ليس لفقداني الحكم، فاليوم لو تعطيني الحكم وتثقله ذهباً سأرفض، لأن حكم مصر أمر صعب جداً وقاس وليس سهلاً.

*** أنتم مسكتم تسجيلات خطيرة جدا مصيرية ضد السادات تبين ارتباطه الوثيق مع الأمريكان وبداية انحرافه، فكيف كان رد فعلكم؟**

** لم نعمل انقلاباً لأننا لسنا انقلابيين. فنحن حتى ترددنا في المحكمة في إثارة الموضوع وكان ممكن أن نفعل ذلك ونحن مسجونين، على الأقل نبدو أبطالاً في المحكمة. ولكن أخلاقياتنا مرة أخرى تحكمت فينا، لم نكن نريد أن نبرز رئيس جمهوريتنا خائناً لوطنه أمام القوات المسلحة التي ستحارب العدو ودار بيننا حوار ونحن في السجن واتفقنا على عدم إثارة هذه النقطة

وكان من حقنا أن ندافع عن أنفسنا. تقول لي أنتم هبل، فيه عبط، فيه تخلف، الآن أقول لك نعم... الأخلاق تحكمت فينا.

*** هل تعتقدون أن تلك الفترة وطد فيها هيكل حكم السادات؟**

** من الممكن إلى حد ما ولكن ربما بناء هيكل لنفسه كان أكثر من بنائه للسادات.

*** لنجرد المسألة، فنقول أن محمد حسنين هيكل ساهم في ضرب رجال عبد الناصر الأقوياء من أجل أن ينفرد بالرجل الضعيف وهو السادات فحاول أن يبقى مع الضعيف وهو القوي حتى تزداد قوته ويزداد تأثيره عليه، لكن يبدو أن السادات كان أقوى من ذلك.**

** في الواقع السادات رجل متآمر. فهو لا يريد أن يتعايش مع من عرفه في موقع الضعف، بالدليل أنه ضرب من اعتبرهم أبطالاً قوميين مثل عزيز صدقي الذي طرده، ومحمد صادق الذي قال عنه بطلاً قومياً أصبح في نظره خائناً وعميلاً، كذلك محمد عبد السلام الزيات الذي قال عنه أنه عميل شيوعي، فالسادات متآمر وممثل يجيد التمثيل من صغره كان يريد الدخول إلى عالم التمثيل المسرحي منذ الثلاثينات.

*** هذا سؤال حرج، هل كان لمحمد حسنين هيكل ملف عند جهاز المخابرات؟**

** طبعا كان له ملف عند المخابرات العامة وليس عند مكتب الرئيس للمعلومات. وهذا عمل المخابرات وهي ليست بالضرورة ملفات إدانة،

وإنما تواكب نشاطه ومقابلاته واتصالاته فليس كل من له ملف عند أجهزة الأمن يكون مداناً.

*** أكيد أنك قرأت ما كتبه هيكل في كتبه المثيرة، وقد ورد اسمك فيها عشرات المرات، فهل تعتقد بعد اطلاعك عليها أن هيكل غض الطرف عن بعض الحقائق أو تجاوز بعض الحقائق أو غير بعض الحقائق؟**

** كل ما ذكرته ورد فعلاً، حيث هناك أشياء غض عنها الطرف، وأخرى تجاوزها، وأخرى غير حقيقتها، طبعا هناك أشياء صحيحة.

وأنا أعطي مثالاً، إذا طلبت مني أن أكتب عن عبد الناصر فسأكتب منحازاً له، وليس مدافعاً عنه، وهناك فرق كبير بين الدفاع والانحياز. وهيكل عندما يكتب، فهو يكتب منحازاً لنفسه، وهذا من حقه لا ألومه عليه، ولكن لو أنا مثلاً، أكتب فسأذكر الحقائق كما هي، وفي حواراتي مؤخرا مع هيكل تحدثت معه بصراحة كبيرة حول بعض المسائل واتضح لي أن بعض الأحداث لا يعرف خلفياها، فيجتهد من عنده دون معرفتها.

*** هل ترى أن هيكل مؤرخ للحقبة الناصرية ولعبد الناصر ؟**

** هو بنفسه قال أنا لست مؤرخاً، حتى أنه في كتابه "سنوات الغليان" يقول له مؤرخ إنجليزي أنت أرخت لمصر، إلا أن هيكل ينفي ذلك. إضافة إلى ذلك، إن التاريخ لا يكتب في حياة الأشخاص وإنما يكتب مثلا بعد 50 سنة من نهاية الأحداث. فالتاريخ يكتبه آخرون محايدون وإنما الذين يكتبون الآن هم جامعو شهادات وحقائق وليسوا بمؤرخين.

*** أثناء فترة حكم عبد الناصر، هل وجد في جهاز الدولة المصرية من حاول عرقلة محمد حسنين هيكل ؟**

** هناك فترة من سنة 1952 إلى سنة 1967، وأخرى من 1967 إلى 1970 والثالثة ما بعد 1970.

*** في الفترة الأولى مثلا؟**

** من سنة 1952 إلى سنة 1967 برز وجود المؤسسة العسكرية لأسباب كثيرة أهمها تأمين الثورة، ولذلك عين عبد الحكيم عامر قائداً عاماً للقوات المسلحة، والسبب الآخر أن تجربة 23 يوليو 1952 واجهت مؤامرات لا نهاية لها من قبل قوى قوية وعنيفة طوال الوقت. فكانت المؤسسة العسكرية هي التي تحمي البلد حيث يعتبر عمودك الفقري هو القوات المسلحة. واعتبر أن القوة الرجعية كانت غبية في هجومها على الثورة، لأن النتيجة تكون في تقوية المؤسسة العسكرية وأجهزة الأمن بحيث أنهم يقولون اليوم الحكم كان بوليسياً و لم يكن كذلك. فقط من حقي كنظام أن أقاوم التدخل في شؤوني الداخلية، وهو حق مشروع... وبالتالي أي أعمال يومية لا تخلو من بعض التجاوزات، سواء من المؤسسة العسكرية أو من أجهزة الأمن... وهي تجاوزات مرفوضة وغير مبررة، وهيكل بتفكيره الليبرالي وخوفه من العسكر، لم يقبل ويهضم أسلوب العسكر. وطبيعي أن المثقف المدني يخشى عن جهل وليس عن اطلاع طبيعة المجتمع العسكري. فالمجتمع العسكري متكون من أهلي وأهلك، والضابط يخرج بعد الظهر ويعيش حياة عادية بلباسه المدني...

*** من الذين اصطدم بهم هيكل في أجهزة الدولة ؟**

** هيكل لم يصطدم بأحد نظراً لعلاقته الخاصة بعبد الناصر، ولما كتب مقال (زوار الفجر) كان قد استشار عبد الناصر ووافقه.

*** يقول البعض أن أغلب أفكار هيكل التي يكتبها في ركن بصراحة في الأهرام مستوحى من نقاشاته ولقاءاته بعبد الناصر ؟**

** هذا غير صحيح، فعبد الناصر كان يقرأ المقال، مثله مثل أي قارئ.

*** ألم يأخذ بعض المعلومات من عبد الناصر ؟**

** طبعا، هناك اتصال يومي معه.

*** لكن باعتبار هيكل قريباً من عبد الناصر، ألم يحاول الرئيس توجيهه في مقالاته ؟**

** هيكل يعرف جيداً توجه الأحداث وكيف تسير الأمور. ولم يكن محتاجاً، وربما لا تتجاوز المقالات التي استشار فيها عبد الناصر أصابع اليد ومن ضمنها (زوار الفجر). وعبد الناصر يريد إنساناً يكتب ويخطئ حتى...

أجري هذا الحديث في أغسطس 1991 في بيت الأستاذ سامي شرف بمصر الجديدة بالقاهرة.

ضياء الدين داوود

مجموعة مايو وهيكل وقعا في خطأ مشترك

* محمد حسنين هيكل مؤرخ العهد الناصري

* هيكل وظف الصحافة للسياسة والعكس صحيح

ضياء الدين داوود: وزير الشؤون الاجتماعية من 1967 حتى انقلاب مايو 1971، عضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي، وكيل الحزب العربي الديمقراطي الناصري اليوم. أجرى اللقاء في القاهرة في مكتب الأستاذ عبد الله إمام بمجلة روز اليوسف المصرية في أغسطس 1991.

*** متى عرفت محمد حسنين هيكل؟ وكيف؟**

** معرفتي به الشخصية جاءت مع دخولي إلى السلطة ولكن معرفتي به كقارئ كانت منذ زمن. وأنا معجب بكتاباته و لم تكن بيني وبينه خلافات ذات قيمة في تلك الفترة، ولكن كانت له خلافات مع بعض رجال السلطة، وهذا أمر طبيعي، فهو كان يبدي آراء لا تعجب بعض رجال

السلطة. وهو يعتقد أنه يفجر قضايا، ولا يضع حلولاً... وذلك ليثور حولها نقاش، وبعض عناصر الشباب كان صدرها يضيق بهذا الكلام بحكم قرب هيكل الشديد من جمال عبد الناصر ويخشى في الرأي العام بين أن يكون هذا هو رأي عبد الناصر أو تعبير شخصي. لكن هيكل في نهاية الأمر كان يرى أنه يفجر قضايا للحوار وكان في بعض الأحيان يفعل ذلك لإحداث صدمات للنفس مثل أن الناس كانت متحمسة جداً للمعركة، فهو يجعلها في صورة أكثر عقلانية حتى تعرف مدى مخاطر المعركة.

هذه الخلافات تركت مواقف، لأن المجموعة القريبة من عبد الناصر والتي كانت تتولى تسيير الاتحاد الاشتراكي ومنظمة الشباب والمنظمات السياسية، كانت تسبب لها مقالات هيكل بعض المشاكل فكانوا يختلفون معه.

وكانت اجتماعات الاتحاد الاشتراكي تهاجم مقالات هيكل ومناقشاته... في نهاية الأمر خلق هذا الجو ما يمكن تسميته بالصراع بين هيكل وهذه المجموعة وبخاصة المجموعة العسكرية.

ولما حصلت عملية 15 مايو، بدأت هذه الخلافات الشخصية تطفح على السطح. فإذا انتصرت مجموعة مايو وسيطرت على السادات، فذلك كان سيشكل خطراً بالنسبة لهيكل ومن ثمة لما وقعت أحداث 15 مايو كان الأقرب إلى السادات وكان البعض يقول أو هو يقول أنه مهندس هذه الأحداث تقديراً منه أن هذا قد يفتح له باباً أوسع للتأثير على السادات.

وفي رأيي، إننا وقعنا في خطأ مشترك. وهو تصور المدى الذي قد يصل إليه السادات. وطبعا هيكل ذكي، وبالضرورة يكون لديه ملامح شخصية السادات، لكن لا أعتقد أنه ــ هو أو نحن ــ تصور أن سيصل أنور السادات إلى حد الانقلاب على عبد الناصر ومنجزات الثورة... هذا التصور أعتقد أنه لم يرد في خاطرنا ولا خاطره، إلى جانب العامل

الشخصي... بدليل أن هيكل رغم تأييده للسادات ضدنا وإصراره حتى الآن على هذا الموقف، لكن التزامه بالخط الناصري ودفاعه عنه بمجموعة الكتابات والكتب التي أصدرها لاشك أنها من أكبر العوامل التي دعمت الفكر الناصري.

وعن السادات كنا نعتقد أنه سيكون وفيا للطبقة الفقيرة الكادحة، لكن الحقيقة نسينا أن أبناء الطبقات الفقيرة إذا انفصلوا عن طبقاتهم يصبحون أشد ضراوة عليها من الطبقات الرأسمالية. فقد أساء الجميع تقديره، ولكن هو تعامل مع هذه المجموعات على أساس أنها أدوات يتعامل معها كل في كل مرحلة ثم ينتهي دورها، مثل محمد صادق، عادل صدقي، محمد حسنين هيكل... إضافة إلى الميل الشخصي الذي طغى على التفكير العام.

ولكن مهما كان دور هيكل، وقد أضر بي كثيراً، فأنا أنسى هذا نظراً للدور الذي قام به فيما بعد لصالح الناصرية فأنا أتجاوز المسائل الذاتية التي ليس لها أية قيمة.

*** هل تعتبر محمد حسنين هيكل مؤرخاً للناصرية؟**

** طبعا، لا أحد يمكنه الاختلاف على ذلك. فكفاءة هيكل الصحافية كفاءة نادرة. فهو قارئ جيد ومستوعب جيد وباحث عميق يعمل بعلمية كبيرة جداً في تحضير مقالاته وكتابة آرائه مثل الذي يحضر دكتوراه أو ماجيستر. كذلك له موهبة حفظ الوثائق وبدأ يجهز لذلك مبكراً، وأهم من هذا هو أن شغله الشاغل الصحافة، فحياته هي الصحافة والكتابة، وبالتالي، فهذا التركيز يعطيه كفاءة يتفوق بها على الآخرين من الناحية التوثيقية واللغة والتحرير والحجة والتزامه فيها بتوجهاته الفكرية.

*** ألم تكن له طموحات سياسية ؟**

** لا أستطيع أن أجرد إنسان من طبيعة البشر، ولا يعيب أحد أن تكون له طموحات سياسية، إنما الذي يعيب هو أن الطموحات السياسية على حساب قيم ومبادئ.

*** هل تعتقد أنه وظف الصحافة من أجل السياسة ؟**

** والله في رأيي أنه وظف الاثنين لبعض. فهو خدم السياسة بالصحافة، وخدم الصحافة بالسياسة.

*** آخر سؤال، لقد قرأت لهيكل كما قرأنا له. هل تعتقد أنه بالغ في عرض علاقته بعبد الناصر؟**

** أنا كنت قريباً من جمال عبد الناصر بحكم وضعي في السلطة ولا أعتقد أن هناك مبالغات، فالبعض اليوم يكتب ويقول كذا وكذا، فجمال عبد الناصر كانت له طريقة في تسجيل أفكاره، وكان يرى أن هيكل هو أكفأ من ارتبط به في دقة التعبير عن أفكاره. وقد كان يرى أنه التزم التزاماً كبيراً وأميناً بفكرته.

وكان عبد الناصر يسجل أفكاره كتابة ويناقشه فيها ثم بعد ذلك يأخذها هيكل ويكتبها ويعيدها له مكتوبة، فيصححها عبد الناصر بخطه وتأخذ صورتها النهائية.

وطبعا، كانت له علاقة جيدة بعبد الناصر بحكم أن هيكل قارئ جيد ومتابع جيد لسياسة الدولة وله اتصالاته بقيادات إعلامية في العالم. وهذه قنوات كان يستمد منها جمال عبد الناصر معلومات ويزكي بها أيضاً معلومات وأفكار.

محمد فائق

إني متأكد من أن هيكل لم يكن يعلم بانحراف السادات في مايو 1971

* هيكل هو أحسن من يفهم عبد الناصر
* الحديث عن عمالة هيكل لأمريكا حديث سخيف
* لم يخدم أحد الصحافة في مصر مثل هيكل
* لم يكن سعيداً بتعيينه وزيراً للإعلام.

محمد فائق، وزير الإعلام، ووزير الخارجية في عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وفي بداية عهد السادات. عمل وزيراً للإعلام حتى أحداث مايو 1971 عندما سجن مع مجموعة الوزراء الناصريين الآخرين بتهمة محاولة قلب الحكم والتآمر على أمن الدولة... أجري هذا الحديث عن (محمد حسنين هيكل) في مكتبة بدار (المستقبل العربي) بمصر الجديدة بالقاهرة في أغسطس 1991.

*** رصدنا قبل أحداث مايو 1971 انقسام الحكم إلى ثلاثة خطوط: خط أنور السادات ومعه بعض المقربين منه مثل الفريق محمد أحمد صادق وقائد الحرس الجمهوري الليثي ناصف، وخط ثاني يمثله رجال عبد الناصر مثل سامي شرف، شعراوي جمعه، علي صبري، محمد فائق، ضياء الدين داوود، والخط الثالث يمثله محمد حسنين هيكل الذي لم يكن مرتبطا بمجموعة مايو ولا ارتبط نهائياً بالسادات... وكان يعتقد أن السادات هو الأضعف وبالتالي يسهل التأثير عليه... إلى أي حد يصح هذا التحليل ؟**

** إن القول بأن أحداث مايو 1971 هي انقسام بين مجموعات، قول خاطئ، لأن هذه المجموعة لم تكن مجموعة واحدة في حين كان السادات يخطط للابتعاد عن الثورة والانقلاب عليها، وكان يدرك أن هذه المجموعة ستواجهه... وعندما اصطدمت عناصرها به وكانت فرادي، فالبعض معترض على الوحدة مع ليبيا وكانوا ضد توقيتها... فانقلاب 15 مايو كان انقلاب قصر. فالسادات جمع كل معارضيه، وادعى محاولة انقلاب وذلك غير صحيح، فقط كانت هناك معارضة حقيقية لتوجهه، أولا في الاعتقاد بأن أمريكا في يدها الحل. وثانيا في تأجيل المعركة، فالسادات كان يرى بإمكانية تحرير الأرض عن طريق المفاوضات، وكنا نعلم أن هذا الأمر مستحيل. وثالثاً كان يريد حل الاتحاد الاشتراكي ووضع عناصر موالية له فيه.

هذه مجموعة الخلافات، وألاحظ أن مجموعة مايو لم تكن تعمل في انسجام. والسادات رجل مناور، وقبل أن يقوم بانقلابه حاول كسب بعض الحلفاء مثل محمد حسنين هيكل، الذي أوهمه أن المجموعة تريد به شراً وأوهم الجميع أفراداً بأنهم يتآمرون على بعضهم البعض. والمتأكد منه أن هيكل لم يكن يعلم أن السادات سينحرف كل هذا الانحراف.

*** يقول محمد حسنين هيكل أنه (مهندس) أحداث مايو 1971؟**

** والله يمكن على مستوى إخراج الأحداث. لكن أعتقد أنها كانت نية مبيتة من السادات. ولا أعتقد أن هيكل كان يتصور إمكانية حدوث ثورة ضد عبد الناصر والناصرية.

*** هل يمكن أن نعرف مدى تأثير هيكل على القرار السياسي في عهد عبد الناصر، وبخاصة في الفترة التي مسكتم فيها وزارة الإعلام ؟**

** في رأيي أن هيكل هو أحسن من يفهم عبد الناصر وما يريده وكيف يصيغ أفكاره. أما القرار السياسي عند عبد الناصر فكان يعتمد على المؤسسات وعلى أجهزة متعددة. وحقيقة كانت توجد علاقة صداقة شخصية بينه وبين الرئيس. كذلك يعتبر هيكل مصدرا هاما لعبد الناصر لقوة مركزه في مؤسسة (الأهرام) الضخمة.

لكن يبقى قراره يعتمد على المؤسسات مثل اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي ووزارة الخارجية...

*** أثناء فترة الرئيس عبد الناصر، يلاحظ البعض أن النظام كان يتواجد فيه اشتراكي يساري يمثله سامي شرف وشعراوي جمعه وعلي صبري وشق ليبرالي يمثله خاصة محمد حسنين هيكل...**

** المسألة لم تكن بهذا الشكل، وأنا أعتقد أن أكثر الناس التزاماً بالاشتراكية في النظام هو جمال عبد الناصر فهو أكثر الأطراف جميعا يسارية، لكن هذا لا يمنع وجود أفكار أخرى سمح بها عبد الناصر. وأود أن ألاحظ أن الجميع بمختلف آرائهم كانوا وطنيين ومخلصين لبلدهم، فلا مجال للقول أن زكريا محي الدين مثلا رجل أمريكا، أو علي صبري رجل السوفيات، أو أن هيكل رجل أمريكا... جميعهم كانوا وطنيين، فقط أن عبد الناصر كان يعطي

بعض الأدوار لبعض الأفراد مثل ربطهم علاقات مع الخارج. وكان القرار يتخذ بعد الاطلاع على كل الآراء والدراسات العلمية، مثلا أثناء تحولنا الاشتراكي كان القيسوني على رأس المجموعة الاقتصادية.

*** ما رأيك في اتهام (خروشوف) محمد حسنين هيكل بالعمالة لأمريكا؟**

** في الحقيقة الحديث عن عمالة هيكل لأمريكا حديث سخيف. وثبت من التاريخ، ومن مواقف هيكل، أنه لم يكن إلا مصرياً مرتبطاً بعبد الناصر والناصرية... هذا حديث أوهام...

*** بعد خلاف السادات مع هيكل، شنت الصحافة المصرية على الأخير حملة اتهمته فيها بالهيمنة على الصحافة والانفراد بها وبخاصة ممارسة الدكتاتورية، باعتبارك كنت وزيرا للإعلام، إلى أي حد تقبل أو ترفض مثل هذا الحديث؟**

** انطلاقا من موقعي كوزير إعلام، يمكن أن أقول أنه لم يخدم أحد الصحافة والصحافيين في مصر كما خدم وفعل محمد حسنين هيكل.

ففكرة أنه (الصحفي الأوحد) فكرة غير صحية، لكنه كان أميز الصحافيين، وبعمله وباجتهاده وصل إلى المركز الأول.

ويمكن أن الفرص التي أخذها أيضا آخرون لم يثبتوا كفاءهم أو لم يصلوا إلى درجة هيكل.

وبالعكس اعتقد أنه كان دائم الدفاع عن الصحافيين وفي حالات كثيرة دافع عنهم وساعدهم على الاستمرار في الكتابة والبروز.

أما تميزه هو، فيعود إلى اجتهاده وكفاءته العالية جدا، وكسبه لثقة عبد الناصر، فأصبح قريباً من موقع القرار.

وأضيف، إن هيكل اليوم بعيد عن السلطة، بل على العكس كان خصماً لها في عهد السادات، ورغم ذلك حافظ على موقعه كأبرز صحافي في مصر حتى اليوم.

*** ألم تكن له طموحات سياسية ؟**

** الذي أعرفه أن هيكل كان قاطعاً في هذا الموضوع فهو لا يريد الموقع التنفيذي، ويعتقد أن تأثيره كصحفي أكبر من تأثيره كسياسي في موقع. وأنا أول من أبلغه بتعيينه وزيراً للإعلام، بل بالعكس لم يكن سعيداً... ومنذ البداية لم يرغب في المواقع السياسية.

وصحيح أنه عمل أيام عبد الناصر من أجل أن يكون قريباً منه ولكن لا أعتقد أن ذلك كان من أجل السلطة.

*** هل تعتبره مؤرخاً للناصرية ؟**

** بكل تأكيد هو أحسن من يكتب عن فكر عبد الناصر، لأنه كان قريباً من هذا الفكر، ومخلصاً له، ومن ثمة فهو أحسن من يمكن أن يؤرخ للفترة الناصرية.

مجدي حسنين

عبد الناصر كان يحبه ويأخذ منه المعلومات ويعطيها له

* لم يحاول هيكل أن يقترب من محمد نجيب
* لقد كان ذكياً وركز على عبد الناصر
* هيكل لم يكن يتدخل في الأجهزة والإدارة

مجدي حسنين: أمين صندوق الضباط الأحرار ومدير مكتب محمد نجيب ثم مدير مكتب عبد الناصر.

أجري الحوار بمكتبه في القاهرة بمنطقة الدقي في أغسطس 1991.

* لو نحدد مدى علاقة محمد حسنين هيكل بالضباط الأحرار ودوره في الثورة؟

** كان مراهناً على عبد الناصر كقائد ثورة ذكي. وعبد الناصر كان يحبه ويأخذ منه المعلومات ويعطيها أيضاً له.

*** عندما كنت مديراً لمكتب الرئيس محمد نجيب، ألم يحاول هيكل أن يقترب من محمد نجيب؟**

** كلا لم يحدث ذلك.

*** ألم تكن له علاقة مع بقية الضباط الأحرار؟**

** كلا لقد كان ذكياً جداً وركز على عبد الناصر.

*** ما رأيك في كتاباته ؟**

** هي كتب ممتازة علمية، وأحسن من كتب عن عبد الناصر. لقد تفرغ لكتابتها فخرجت كتباً محترمة عالمياً ومصرياً.

*** يعتبر هيكل أن عبد الناصر كان صديقه الشخصي، فهل تعتقد أن هيكل بالغ في حجم علاقته مع عبد الناصر في بداية الثورة ؟**

** عبد الناصر رجل ذكي وداهية، لقد وجد هيكل شاباً صغيراً وضمه إلى الثورة.

*** هل قام بدور سياسي في بداية الثورة بخلاف العمل الصحفي ؟**

** لقد كانت علاقته لصالح الثورة.

*** هل كان يحاول أن يأخذ معلومات من الضباط الأحرار؟**

** كلا فقط مع عبد الناصر.

*** هيكل، ألم يصطدم مع بعض الضباط الأحرار وبخاصة أنه اقترب كثيراً من عبد الناصر وربما على حسابهم؟**

** كلا، لقد كان ذكياً فاقتصر في علاقته على عبد الناصر، ولم يرد أن يحشر نفسه في صراعات.

*** هل كانت له علاقة مع أركان النظام الملكي القديم؟**

** ...

*** هل تعتقد أن هيكل مؤرخ للناصرية؟**

** نعم هو مؤرخ للناصرية، وبذل مجهوداً كبيراً من أجل ذلك.

*** عندما مسكت موقع مدير مكتب عبد الناصر، ألم تلاحظ أي طموحات سياسية له؟**

** لم يكن يتدخل في الأجهزة وفي الإدارة، فقط كانت علاقته مع عبد الناصر.

الفريق أول محمد فوزي

أرفض الحديث عن هيكل

الفريق أول محمد فوزي القائد العام للقوات المسلحة المصرية من يونيو 1967 حتى أحداث مايو 1971 عندما طلبنا منه الحديث عن محمد حسنين هيكل قال:

(لقد أساء لي محمد حسنين هيكل كثيراً، وشوهني في أكثر من مناسبة وأضر بي، لكني لاحظت أن كتاباته عن عبد الناصر والناصرية كانت إيجابية، وقام بدعاية كبيرة لهما... لذلك سوف لن أرد عليه، ولن أتحدث في الموضوع... فأرجو إعفائي).

أحد الضباط الأحرار

أوقف التسجيل

أحد الضباط الأحرار الذي لا يمكن ذكر اسمه لما طلبنا منه الحديث عن هيكل قال بانفعال:

(أوقف التسجيل ده هيكل هو اللي خرب مصر وعبد الناصر والناصرية معاهم...)

ببيلوغرافيا : المصادر والمراجع

1 ـــ كتب: حسب الحروف الأبجدية

1ـــ إمام، عبد الله، **انقلاب 15 مايو: القصة الكاملة**، دار الموقف العربي، القاهرة، 1983.

2 ـــ باقر، طه ود.حميد، عبد العزيز، **طرق البحث العلمي والتأريخ والآثار**، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، مطابع مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بغداد، 1980.

3 ـــ بوند، ف. فريزر، ترجمة راجي صهيون، مراجعة إبراهيم داغر، **مدخل إلى الصحافة**، مؤسسة أ.بدران وشركاه، بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، بيروت، 1964.

4 ـــ بغدادي، عبد اللطيف، **مذكرات**، المكتب المصري الحديث، القاهرة، 1977.

5 ـــ دوفرجيه، موريس (Maurice Duverger)، ترجمة الدكتور سامي الدروبي والدكتور جمال الأتاسي، **مدخل إلى علم السياسة**، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بدون تاريخ طبع.

6 ـــ هيكل، محمد حسنين :

* **بين الصحافة والسياسة**، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 1984.

7 ــ **وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي**، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 1982.

8 ــ **السلام المستحيل والديمقراطية الغائبة: رسائل إلى صديق هناك**، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 1982.

9 ــ **خريف الغضب قصة بداية ونهاية عصر السادات**، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، الطبعة السادسة، 1983.

10 ــ **لمصر لا لعبد الناصر**، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى في مصر، 1987.

11 ــ **قصة السويس: آخر المعارك في عصر العمالقة**، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، 1982.

12 ــ **سنوات الغليان: حرب الثلاثين سنة، الجزء الأول**، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1988.

13 ــ **الزلزال السوفييتي**، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو، 1990.

14 ــ **آفاق الثمانينات**، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، 1982.

15 ــ د. زكريا، فؤاد، **كم عمر الغضب؟، هيكل وأزمة العقل العربي**، دار القاهرة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1984.

16 ــ حمروش، أحمد، **قصة ثورة 23 يوليو، شهود ثورة يوليو، الجزء الرابع**، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1984.

17 ــ كروم، حسنين، **عبد الناصر بين هيكل ومصطفى أمين**، دار المأمون للطباعة، القاهرة، الطبعة الأولى، أكتوبر 1975.

18 ــ عبد الناصر، جمال، **الميثاق**، دار المسيرة، بيروت، بدون تاريخ طبع.

19 ــ صبحي، سمير، **صحيفة تحت الطبع**، دار المعارف، الطبعة الثانية، القاهرة، 1980.

20 ــ الصيداوي، رياض، **حوارات ناصرية**، نقوش عربية، تونس، الطبعة الأولى، 1992.

21 ــ رسل، برتراند، ترجمة فؤاد زكريا، **حكمة الغرب، الجزء الثاني**، سلسلة عالم المعرفة، عدد 72، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر 1983.

22 ــ ذويب، عبد المجيد وآخرون، **تحرير الشعوب المستعمرة، الجزء الأول**، كتاب التاريخ المدرسي، المركز القومي البيداغوجي، تونس، بدون تاريخ الطبع.

2 ــ دوريات

23 ــ الهوش، د. أبو بكر محمد، "المعلومات مفهومها ومصادرها"، **مجلة (الوحدة)**، السنة الخامسة، عدد 54، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، مارس 1989 .

24 ــ نفس المؤلف، "نحو مجتمع المعلومات في الوطن العربي"، **مجلة (الوحدة)**، السنة السابعة، عدد 76، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، يناير 1991 .

25 ــ هيكل، محمد حسنين ، "مقابلة تمت معه"، **المستقبل العربي**، السنة الرابعة، عدد 29، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، يوليو 1981.

26 ــ نفس المؤلف، من مشاركته في ندوة حول "سنوات الغليان"، **المستقبل العربي**، السنة الثانية عشر، عدد 128، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، أكتوبر 1989.

27 ــ صايغ، يزيد، "كلمات شهيرة قرأتها القلة"، **مجلة الفكر الاستراتيجي العربي**، السنة الأولى، العدد الثالث، معهد الإنماء العربي، بيروت، يناير 1982.

3 ــ صحف ومجلات

28 ــ الجمال، أحمد، "الناصرية محاولة للفهم"، مجلة **الشراع** اللبنانية، عدد 1987/1/19.

29ــ هيكل، محمد حسنين "إلى متى الضباب ؟"، **الأهرام**، عدد 1/16/ 1970.

30 ــ نفس المؤلف، "السياسة الأمريكية والإرادة الإسرائيلية"، **الأهرام**، عدد 1970/2/20.

31 ــ ن. م.، "المسدس وفي يد من هو" **الأهرام**، 1970/3/6.

32 ــ ن. م.، "أزمة الشرق الأوسط"، **الأهرام**، 1970/3/20.

33 ــ ن. م.، "ما هو الخلاف والاختلاف"، **الأهرام**، 1970/8/14

34 ــ ن. م.، "عن الاقتناع بإمكانية تحقيق الهدف"، **الأهرام**، 2/26/ 1971.

35 ــ ن. م.، "عبد الناصر ليس أسطورة"، **الأهرام**، 1970/11/6.

36 ــ"التضاريس في الطبيعة والسياسة"، **الأهرام**، 1971/3/5.

37 ــ ن. م.، "ماذا أقول؟" **الأهرام**، 1971/5/21.

38ــ ن. م.،" السؤال الأول والأكبر"، **الأهرام**، 1971/5/28.

39 ــ ن. م.، "مرة أخرى... العلاقات العربية-السوفيتية"، **الأهرام**، 8/27/ 1971

40 ــ ن. م.،"الخطوة الضرورية"، **الأهرام**، 1971/11/26.

41 ــ ن. م.،"وقفة موضوعية مع صديق"، **الأهرام**، 1972/8/18.

42 ــ ن. م.،"علامات على الطريق"، **الأهرام**، 1972/12/11.

43 ــ مقال "هيكل في نقابة الصحفيين"، مجلة الشراع اللبنانية، السنة الخامسة، عدد 242، 3 نوفمبر 1986.

44 ــ مقابلة مع هيكل، أجراها صلاح منتصر، مجلة **"أكتوبر"** المصرية، السنة الثانية عشر، عدد 608، 19 يونيو 1988.

45 ــ حمروش، أحمد، "زيارة جديدة لهيكل"، **روز اليوسف**، المصرية، عدد 1986/11/24.

46 ــ ن. م.، "زيارة جديدة لهيكل "، **روز اليوسف**، عدد 1 ديسمبر 1986.

47 ــ ن. م.، "زيارة جديدة لهيكل "، **روز اليوسف**، المصرية، عدد 12/8/ 1986.

48 ــ ن. م.، "زيارة جديدة لهيكل"، **روز اليوسف**، المصرية، عدد 12/15 1986/.

49ــ ن. م.، "زيارة جديدة لهيكل"، روز اليوسف، المصرية، عدد 12/22/ 1986.

50 ــ مقابلة مع هيكل، أجراها صلاح منتصر، مجلة **"أكتوبر"** المصرية، السنة الثانية عشر، عدد 606، 5 يونيو 1988.

51 ــ منتصر، صلاح، "الأستاذ هيكل شاهد أم شريك، **الأهرام**، عدد 1/ 1983/5.

52 ــ شري، محمد باقر ، "عبد الناصر مات أو أميت"، مجلة، **الشراع**، اللبنانية، السنة الخامسة، عدد 5 يناير 1987.

53 ــ شري محمد باقر ، "عبد الناصر مات أو أميت"، مجلة، **الشراع**، اللبنانية، السنة الخامسة، عدد 12 يناير 1987.

54 ــ الخولي، لطفي، "مدرسة السادات السياسية..واليسار المصري"، مجلة **"الوطن العربي"**، السنة الخامسة، عدد 244 ، من 16 إلى 22 أكتوبر 1981.

55 ــ الخولي، لطفي، "مدرسة السادات السياسية..واليسار المصري"، مجلة "الوطن العربي"، السنة الخامسة،عدد 245 من 22 إلى 29 أكتوبر 1981.

56- مقابلة مع أحمد حمروش، مجلة، صباح الخير، المصرية، أجرى الحوار إرشاد كامل، تعذر علينا الحصول على التاريخ .

4 ـ مقابلات خاصة

57 ـ أحد الضباط الأحرار، رفض ذكر اسمه بشدة، وهاجم هيكل دون أن يسمح بالنشر، تمت المقابلة في أغسطس 1991 في القاهرة.

58 ـ داوود، ضياء الدين، وزير الشؤون الاجتماعية ووزير الدولة لمجلس الأمة وعضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي، وهو اليوم أمين الحزب العربي الديمقراطي الناصري، تمت المقابلة في أغسطس 1991 في القاهرة.

59 ـ هيكل، محمد حسنين، تمت المقابلة في أغسطس 1991 في القاهرة.

60 ـ حسنين، مجدي، أمين صندوق الضباط الأحرار ومدير مكتب محمد نجيب ثم مدير مكتب جمال عبد الناصر، تمت المقابلة في أغسطس 1991 في القاهرة.

61 ـ فائق، محمد، وزير الخارجية ووزير الإعلام في عهد عبد الناصر وبداية عهد أنور السادات، تمت المقابلة في أغسطس 1991 في القاهرة.

62 ـ فوزي، الفريق الأول محمد، القائد العام للقوات المسلحة المصرية من يونيو 1968 إلى مايو 1971 تمت القابلة في أغسطس 1991 في الإسكندرية.

63 ـ شرف، سامي، مدير مكتب عبد الناصر للمعلومات ووزير شؤون الرئاسة في عهد عبد الناصر وبداية عهد السادات، تمت المقابلة في أغسطس 1991 في القاهرة.

الفهرس

ما قبل المقدمة...الحياد وهم! 11
مقدمة عامة 43

القسم الأول: هيكل صحفيا 61
* الفصل الأول :تجربة ما قبل الأهرام 63
1 ــ الإجبشيان جازيت 63
2 ــ آخر ساعة 66
3 ــ أخبار اليوم 70
* الفصل الثاني :تجربة الأهرام 78
1 ــ دخول الأهرام 79
2 ــ إنجاز في الأهرام 83
3 ــ مغادرة الأهرام 88
* الفصل الثالث: هيكل وتنظيم الصحافة في عهد عبد الناصر 92
1 ــ وجهة نظر عبد الناصر 92
2 ــ وجهة نظر هيكل 97

*** الفصل الرابع: هيكل المعلوماتي 106**

1 ـ في أهمية المعلومات 107

2 ـ من هيكل إلى عبد الناصر 110

3 ـ من عبد الناصر إلى هيكل 116

4 ـ المعلومات سلاح هيكل 121

*** الفصل الخامس: هيكل المؤرخ 125**

1 ـ المؤرخ 125

2 ـ نفي المؤرخ 129

القسم الثاني : هيكل سياسياً 135

*** الفصل الأول هيكل ـ العهد الناصري : الارتباط 137**

1 ـ هيكل ـ عبد الناصر: بداية العلاقة 137

2ـ هيكل ـ عبدالناصر:العلاقة في أبعادها الشخصية 143

*** الفصل الثاني: هيكل ـ العهد الناصري: الموقع السياسي 153**

1 ـ أدوار سياسية 153

2 ـ العلاقة مع أجهزة الحكم 158

3 ـ الموقع من خريطة "التكتلات" 168

*** الفصل الثالث هيكل ـ العهد الساداتي: التحالف 176**

1 ـ الانحياز إلى السادات 176

2 ـ دوره في أحداث مايو 1971 181

3 ـ تغطية أحداث مايو صحفياً 192

*** الفصل الرابع : هيكل ـ العهد الساداتي: الاختلاف 204**

1 ـ أسباب الاختلاف 204

2 ــ محاولة الصلح 208
*** الفصل الخامس: اتجاه الفكر السياسي عند هيكل 216**
1 ــ رؤيته للصراع 216
2 ــ صورة الولايات المتحدة في كتابات هيكل 220
3 ــ صورة الاتحاد السوفيتي في كتابات هيكل 226
4 ــ صورة هيكل 233
خاتمة عامة 241
ملاحق 253
1 ــ حوار مع سامي شرف 255
2 ــ حوار مع ضياء الدين داوود 279
3 ــ حوار مع محمد فائق 283
4 ــ حوار مع مجدي حسنين 288
5 ــ حوار مع محمد فوزي 291
6 ــ حوار مع أحد الضباط الأحرار 292
بيبلوغرافيا : مصادر ومراجع 293
1 ــ كتب 293
2 ــ دوريات 295
3 ــ مجلات وصحف 296
4 ــ مقابلات خاصة 298
الفهرس 299
إصدارات المركز 303

صدر مؤخراً عن

مركز الوطن العربي للأبحاث والنشر :

جان زجلر يتحدث إلى العرب

جـــان زجلـــر، المفكـــر السويسري العالمي، وصاحب المواقف الجريئة لصالح القضايا العربية، يروي في هذا الكتاب فصولاً من علاقاته المتمـــيزة مـــع العرب. فهو الذي فاوض صدام حسين من أجل إطلاق ســـراح الـــرهائن السويسريين سنة 1990 قبل اندلاع الحرب. وهو الأســـتاذ الذي سجل عنده الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة رسالة دكـــتوراه عن المغرب العربي. وهو الذي ساند القضية الفلسطينية بدون حســـاب رغـــم بعض انتقاداته لأبي عمار. تربطه علاقات متميزة بمعمر القذافي ووليد جنبلاط وأحمد بن بلا وخالد محي الدين... ويكن احتراماً عمـــيقاً للرئـــيس الراحل جمال عبد الناصر... يتحدث في هذا الكتاب لأصدقائه العرب عن تهديد أمريكا بضرب العراق، وعن رفضه للعنجهية الصـــهيونية، وعـــن انتقاده لمواقف الحزب الاشتراكي الفرنسي وتثمينه لمواقف حزب الله، وعن موقفه من صامويل هنتنغتون، وعن رؤيته لعلاقة الإسلام بالغرب، وعن طبيعة الحركات الإسلامية في الوطن العربي، وعن سبب انهيار الشيوعية وعن مستقبلها...

يصدر قريبا عن

مركز الوطن العربي للأبحاث والنشر :

رياض الصيداوي

الملف السري لقناة الجزيرة



مركز الوطن العربي

للأبحاث والنشر

قـناة الجزيـرة ليسـت ملاكاً طاهراً نزل من السماء ولا هي شيطاناً رجيماً خرج من باطن الأرض، بل هي ببساطة مشروع دولة قطر في الوطن العـربي. ولفهم أهدافها وجب فهم عقل مموليها. فمن هو الشيخ حمد وماذا يـريد ؟ كيف وصل إلى السلطة و ما هي غاياته؟..وأي تأثير يقوم به وزير خارجيته الشيخ حمد بن جاسم ..أو زوجته الشيخة موزة؟!

قـناة الجزيرة قال عنها الأمير نايف بن عبد العزيز "قناة تضع السم في العسـل".. وقال عنها اللواء الجزائري المتقاعد خالد نزار "قناة قزمة..أنشأتها دولـة (!!!)"..وقـالوا عـنها "قـناة الموسـاد وقناة المخابرات المركزية الأمريكية"..وهي أيضاً "قناة الأصولية الإسلامية"..فمن هي يا ترى؟!

مـــا هـــي طبيعة علاقة قناة الجزيرة بالأنظمة العربية وكيف تدار هذه العلاقة؟ وما سر العداء السعودي المصري الأردني معها؟؟

هـــل تحمل قناة الجزيرة مشروع الديموقراطية في الوطن العربي؟ لكن، هـــل يمكـــن للـــنظام السياســـي القطـــري أن يعطي دروساً في "هامش الديموقراطـــية" لدول مثل مصر والأردن والكويت والمغرب...وهو الذي لم يصل بعد إلى مرحلة تزوير الانتخابات ؟ أوَ ليست مرحلة تزوير الانتخابات مرحلة متقدمة في التاريخ العربي بالمقارنة مع مرحلة اللاشيء والحكم المطلق الـــذي لا يحتاج حتى إلى ديكور...؟ وهل "يناضل" فيصل القاسم حقا من أجـــل الديموقراطية وحقوق الإنسان أم هو مجرد موظف ينفذ الأوامر الآتية مـــن فوق (!) ؟ أوَلم تصبح قناة الجزيرة الذراع الطويلة للمخابرات القطرية ووزارة الخارجية التي تؤدب الأنظمة التي تريد في إطار الحرب العربية الباردة تارة وفي إطار المزاج الشخصي تارة أخرى..

لكـــن في المقـــابل، ألم تقطع قناة الجزيرة مع التاريخ الأسود للإعلام العـــربي، حيث تسود لغة خشبية سريالية... ؟ أوَلم تؤثر نفس القناة في كل الـــتلفزيونات العربـــية التي أصبحت تحاول أن تقلدها ببرامج حوارية رتيبة ففشـــلت كـــل الفشل... ألم تتفوق على الجميع ؟ ألم تهزم بضربة قاضية وواحـــدة كل من : الإمبراطورية الإعلامية السعودية، ثم ما يسمى "بالريادة الإعلامـــية المصـــرية" التي أصبحت هباءً منثوراً بعد الجزيرة...؟ والأهم من ذلـــك، ألم يأفل نجم الإذاعات الغربية الناطقة بالعربية بعد نشأة الجزيرة ...؟ فمـــن مـــنا مـــا زال يهتم بما تقوله البي بي سي مثلاً..؟ ألم تصبح موضوع الصـــحف والقـــنوات الأوروبية العريقة التي جعلتها مرجعاً أساسياً لها أثناء حـــرب ابن لادن و أفغانستان؟ أو لا يوجد في قناة الجزيرة كفاءات إعلامية عربية متميزة ونزيهة، تفوقت في بعض الأحيان على مثيلاتها الغربية، فبينت أن الحـــرية تســـاوي الخلق والإبداع...؟ وأخيرا هل آن الأوان لفتح هذا الملف، ملف قناة الجزيرة؟

في بداية شبابه، لم يكن ياسر عرفات يؤمن بسبيل آخر لتحرير فلسطين غير الكفاح المسلح. وقد شارك في القتال مبكراً رغم صغر سنه. أعرض الآن مشهد أول معركة مسلحة يخوضها أبو عمار.

كلف القائد المصري الذي يقود كتيبة طلبة متطوعين للقتال في فلسطين سنة 1948 طالباً فلسطينياً اسمه محمد ياسر القدوة بمهمة إطلاق قذيفة مورتر على أول مصفحة تتصدر الرتل الإسرائيلي قريبا من مدينة غزة. كان الكمين محكماً وكانت مهمة الطالب الفلسطيني ستكون الأكثر حسماً في نتيجة المعركة. تقدمت المصفحات وأطلق محمد ياسر القذيفة وأصابت الهدف وتوقف الرتل وتعالى الدخان كثيفاً.. فسهلت مهمة المقاتلين في المعركة. كانت أول حرب مسلحة يخوضها من سيصبح اسمه فيما بعد ياسر عرفات أو أبو عمار. كان الشاب يؤمن إيماناً عميقاً بأن طرد اليهود لن يتم إلا عبر القوة المسلحة.

الاسم الرسمي المسجل لأبي عمار في دفتر الحالة المدنية هو محمد ياسر القدوة حيث ولد في مدينة القاهرة يوم السبت 29 أغسطس 1929. وهي السنة التي اشتد فيها القتال بين المقاومين العرب الفلسطينيين من جهة وقوات الاحتلال البريطاني وحلفائهم من اليهود من جهة أخرى. ولكن ما الذي دفع بعبد الرؤوف القدوة والد ياسر عرفات إلى الانتقال إلى مدينة القاهرة بدل العيش في فلسطين ؟ هناك إجابتان شائعتان : الأولى تقول أن رحيله كان بسبب طرد البريطانيين له ونفيه لما أبداه من أنشطة نضالية في مقاومتهم. أما الثانية، وهي الأكثر خبثاً، فتقول أن السبب الحقيقي هو بيع والد عرفات لأراضيه لليهود نظراً للأسعار المغرية التي عرضوها عليه. كان الرجل ميسوراً فهو تاجر معروف ولكنه اختار تأسيس مشروع آخر في القاهرة يتمثل في مصنع للأجبان. عوائد هذا المصنع وأرباحه كانت تذهب إلى فلسطين لدعم المقاومة والعائلات الفقيرة. من المؤكد أن عبد الرؤوف القدوة كان

شديد الكرم ولم يكن تاجراً جشعاً لا همه إلا مصلحته الخاصة. وكان ترتيب عرفات السادس في عائلة تتكون من سبعة أبناء. أمه تسمى زهوة (الاسم الذي أطلقه عرفات على ابنته لاحقا)، وهي امرأة منحدرة من عائلة أبو سعود القاطنة بالقدس. وتتميز بخصال حميدة منها قوة الشخصية وحرارة التواصل مع الآخرين. أما أبيه فينتمي إلى فرع الحسيني بغزة على عكس الشيخ أمين الحسيني الذي ينتمي إلى الفرع الأقوى المتمركز في مدينة القدس.

أبو عمار إذن قاهري المولد، نسبة إلى مدينة القاهرة، نشأ في أحيائها وأزقتها وهو ما أكسبه حب مصر مبكراً والالتجاء إليها كلما عاش موقفاً صعباً يبحث فيه عن من ينجده. كما عاش طفولة غير عادية حيث استهواه النضال مبكراً وسرق منه كل سنوات عمره : الطفولة والمراهقة والشباب والكهولة ولم يتفطن لضرورة الزواج إلا وهو شيخ تجاوز الستين.

قصة ياسر عرفات هي قصة حركة فتح. هي نفسها قصة كفاح الشعب الفلسطيني. وهذه بعض محطات الكتاب:

* أسس حركة "فتح" خمسة رجال، استقال واحد منهم في اليوم التالي لعدم تحمله ضغوط المسؤولية، ثم استقال اثنان بعد سنوات قليلة ولم يبق إلا ياسر عرفات وخليل الوزير

* أنشأت حركة "فتح" أول مكتب لها في الجزائر تحت اسم مكتب فلسطين وكلف أبو جهاد بإدارته وكان اسمه الحركي علال بن عامر.

* خليل الوزير أوهمَ هاني الحسن بامتلاك "فتح" لطائرات هيلوكبتر.

* الصينيون قالوا لعرفات "لا تنجح ثورة بدون تبنيها من قبل الجماهير...ابدأوا القتال بقدراتكم الذاتية أولا، ثم سنعطيكم السلاح لاحقا"

* كيف نجا أبو عمار من عشرات محاولات الاغتيال وكان الله دائما معه.

* ثروته تعد بمليارات الدولارات.. لكنها موظفة كلها في سبيل الثورة، فالرجل يأكل مع مقاتليه ولا يعيش حياة بذخ أو ترف وإنما يعيش حياة تقشف..وزهد .

* لماذا يريد شارون رأس عرفات ولماذا لا يحبه الأمريكان ولماذا تكرهه أغلب الأنظمة العربية..

يصدر قريبا عن

مركز الوطن العربي للأبحاث والنشر :

رياض الصيداوي

منتصرون ومنهزمون
سوسيولوجيا العنف والجهاد في
الجزائر



مركز الوطن العربي

للأبحاث والنشر

ستهتم دراستنا بالجبهة الإسلامية للإنقاذ وتنظيماتها العسكرية المتفرعة. لأنها كانت الطرف الأكثر حضوراً سياسياً والفاعل الاجتماعي الأكبر طيلة عقد التسعينات في الجزائر. وسيتركز بحثنا على جانبين من هذا التنظيم، جانب الحركة وجانب الخطاب. رغم أن الخطاب نفسه

يمكـــن اعتـــباره في أحد أشكاله نوعا من الفعل (Action) . سيتناول تحليلنا العنف السياسي السائد في هذا البلد ومحاولة تحديد طبيعته، هل هو حـــرباً أهلـــية؟، أم ثـــورة تحت الإنجاز؟ أم هو مجرد إرهاب معزول؟.. وسنســـتخدم نموذجـــاً نظرياً محدداً، هو نموذج عالم التاريخ والاجتماع الأمـــريكي تشـــارلز تيلي Charles Tilly، ذلك النموذج الذي يحلل الـــثورات عـــبر التاريخ ويبين المرحلتين الحاسمتين التي تعيشها أية ثورة. يقســـم تيلي الثورات إلى قسمين. يمثل القسم الأول "الوضعية الثورية" Revolutionary Situation في حـــين تمـــثل "النتـــيجة الثورية" Revolutionary Result المـــرحلة الثانية، أي انتصار الثورة وانتقال السلطة من فريق قديم إلى فريق جديد.

إن مـــا يميز الإسلام السياسي الحالي في الجزائر هو الاستخدام المكـــثف للعـــنف المســـلح على مستوى الحركة وكذلك على مستوى الخطـــاب التحريضي المبجل لفكرة القتال أو "الجهاد" بتعبير ديني. فهو عنف مبرَر دينياً باعتباره جهاداً يهدف إلى تقويض "مجتمع جاهلي" بغاية بناء "دولة إسلامية" جديدة مثلى. ويعيش هذا الخطاب خلطاً بين مفاهيم متناقضة أو على الأقل ذات منابع متباعدة زمنياً وحضارياً. فهو يستخدم تـــارة مفاهيم الحداثة كالديموقراطية والشرعية السياسية واختيار الشعب ويستخدم تارة أخرى مفاهيم دينية تقليدية كمفهوم "تطبيق الشريعة" أو مفهوم "الجهاد"..

ترتكـــز إشـــكالية بحثنا على السؤال التالي: كيف يمكننا تفسير تواصل هذا العنف الدامي في الجزائر باسم الإسلام منذ سنة 1992 إلى الـــيوم؟ هذه الإشكالية تقودنا إلى طرح سؤالين فرعيين مرتبطين الواحد بالآخر. وهما: أولاً: لماذا عجز الإسلاميون الجزائريون عن الاستيلاء على

السلطة؟ ثم ثانياً: لماذا عجز النظام الجزائري نفسه عن استئصال العنف المسلح المضاد للدولة؟

إن نوعية هذه الأسئلة تقودنا إلى تحليل عملية التفاعل (Interaction) بين المتنازعين في البلاد: النظام الجزائري المتميز بهيمنة العسكر عليه من جهة والجبهة الإسلامية للإنقاذ وتنظيماتها المسلحة المتفرعة من جهة ثانية. إننا لا نقدم هذين الفاعلين بشكل استعراضي، وصفي ، ولكننا سنسعى إلى ضبط آلية التفاعل بينهما، وتحديد مدى النجاعة لدى كل طرف. كما سنحدد الصراعات الداخلية لكل من المتصارعين. أي النزاعات الداخلية التي تشق النظام العسكري وتهدد وحدته من ناحية وكذلك صراعات الإسلاميين الداخلية من ناحية ثانية. ومن ثمة سنحاول عبر تفكيك الأزمة وإعادة تركيبها أن نعرض بعض السيناريوهات التي يمكنها أن تمثل نهاية محتملة للحرب الجزائرية. وحتى نخوض في كل هذه النقاط مجتمعة ، سنستعين بعلم اجتماع العنف، ببعض نظرياته، وببعض نماذجه النظرية وببعض مفاهيمه.

The third theme deals with intelligence gathering: in the beginning it was Heikal who was giving to Nasser the important and secret information. Latter on, it became the opposite, because Nasser had full confidence in Heikal. After Nasser's death, Heikal protected himself and Nasser's idea by using the information he obtained through Nasser.

The last theme of this part looks at Heikal as a historian. It appears that Heikal was viewed as a professional historian only by the man of the street. In fact Heikal never used a scientific approach to history. Moreover, he admits that his "work is only a reading history".

In the second part of this book, three themes are considered. The first has to do with Heikal during Nasser's presidency. We see how their relationship is born and the evolution of it in its human dimension. Here too, we treat his political role and his relations with the various state apparatus. Finally we analyze his political view in regard of the Egyptian political scene.

The second theme: Heikal and Sadat. At first they were good allies. Their alliance was at its top when Sadat had to deal with the pro-nasserians, on May 15, 1971. After the 1973 war their relationship went down the drain and Heikal was jailed.

The third and the last theme deals with Heikal political orientation. The first point deals with Heikal's viewpoint on the two Super Powers. In the last point we try to define Heikal's political through: was he a liberal, a Marxist or a nasserian?

Conclusion: Heikal utilized his newspaper man skills to play a strong political role and, later, his political experience to play an important role as a newsman and become the most important newsman in the Arab world.

SUMMARY

The main topic of this book is Mr. Mohamed Hassaneine Heikal's political and journalistic life, a man who has greatly influenced through his writing the political scene in his country and in the Arab World as well. This Heikal's biography was not looked at from a chronological view point, but rather through the study of several themes.

The life and the work of this important Arab thinker was willfully divided in two. The first part deals with his journalistic activities. The second part deals with his role and influence on the political life.

In the first part of this book, we looked at Mr. Heikal's life and work before joining the famous newspaper El Ahram. He worked successively in three different newspapers : The Egyptian Gazette, Akbhar Saa, and Akhbar El Yaoum. It is Akhbar because of his writings in this newspaper that he was noticed and his talent was recognized.

In 1957 he became the chief editor at El Ahram. Before his transfer to this newspaper, El Ahram was loosing money. But because his writing were widely appreciated and also because he was a good manager, Al Ahram soon started making money again. After the 1973 war, because of his disagreement with President Sadat, he was forced to leave El Ahram.

The second theme of this same part has to do with Heikal and the organization of the Press in Egypt. Unlike Nasser, Heikal wants a totally free press vis a vis of the State.

renseignements importants: par la suite Nasser, lui accordant sa confiance, se mit à mettre à la disposition de Heikal des renseignements sur divers secrets. Après la disparition de Nasser, Heikal s'est protégé contre les ennemis de Nasser ainsi qui de ses propres ennemis en utilisant les secrets fournis par Nasser.

Le dernier thème de cette partie traîte de Heikal "l'Historien". L'analyse qui nous avons faite nous même a conclure qui Heikal n'est en fait un vrai historien que pour l'homme de la rue. En fait, Heikal n'utilise pas de méthode scientifique pour aborder l'histoire. D'ailleurs Heikal admet lui-même "qu'il ne fait qu'une lecture de l'Histoire".

Dans la seconde partie de ce livre, nous traîtons 3 thèmes. Le premier se rapporte à Heikal pendant la période de Nasser: comment leur relation a débuté, puis l'évolution de cette relation dans sa dimension humaine. Nous traîtons ici aussi du rôle politique de Heikal et ses relations avec les différents appareils d'Etats. Enfin sa position politique vis à vis des découpages politiques.

Le deuxième thème: Heikal et Sadate. Au début du règne de Sadate, ils furent de bons alliés. Leur alliance atteint son plus haut niveau lors de ses démêlés avec les pro-Nasseriens le 15 mai. A la suite de la guerre d'octobre 1973 leur relation se dégrade au point où Sadate va jusqu'à mettre Heikal en prison.

Le troisième et dernier thème: tendance de la pensée politique de Heikal. Le premier point traîte de la pensée politique de Heikal concerne son point de vue des deux super Puissances. Le dernier point essaye de définir la pensée politique de Heikal dans le but de savoir qui est Heikal en réalité: libéral, marxiste ou nassérien ?

Conclusion: Heikal a utilisé le Journalisme pour jouer un rôle politique effectif comme il a su utiliser la politique pour devenir le plus grand journaliste dans le monde arabe.

RESUME

Le thème principal de ce livre est la vie journalistique et politique de Monsieur Mohamed Hassaneine Heïkal, personnage qui a grandement influencé par ses écrits la vie politique dans le monde Arabe et plus particulièrement en Egypte. La biographie de Monsieur Heikal n'a pas été traitée chronologiquement mais par thèmes.

La vie et l'oeuvre de cet important personnage arabe a été volontairement divisée en deux : la première partie traîte du rôle et de l'influence des activités journalistiques alors que la deuxième partie analyse le rôle et l'influence politique.

Dans la première partie de ce livre nous nous sommes penchés sur l'expérience de Heikal avant l'époque du Journal ElAhram. On remarquera qu'il a contribué par divers articles à trois différents journaux successivement: "Egyptian Gazette", "Akhbar Saa", "Akhbar El Yaoum". C'est en écrivant dans ce dernier Journal qu'il est devenu un journaliste reconnu. En 1957, il est devenu rédacteur en chef "d'El Ahram". Avant sa venu, El Ahram était un journal déficitaire; mais ses écrits étant financièrement sain surtout que Monsieur Heikal est aussi un bon manager et un fin tacticien.

Aprés la guerre d'octobre 1973, ses différents avec le Président Sadate lui coûtèrent la Direction d'El Ahram.

Le second thème de cette même partie traîte de Heikal et l'organisation de la Presse en Egypte. Contraire-ment a Nasser, Heikal voulait une Presse totalement libre vis à vis de l'Etat.

Le troisième thème aborde le sujet des renseigne- ments : au début c'est Heikal qui fournissait au Président Nasser des

Première édition, Tunis, 1993
Deuxième édition, Le Caire, 2000
Troisième édition, Beyrouth, 2003

Riadh Sidaoui

Heikal
Ou le Dossier Secret de la Mémoire Arabe

Centre Arabe
de Recherches et d'Analyses



رياض الصيداوي

صحافي وكاتب تونسي. من مواليد 1967. متحصل على: الأستاذية في الصحافة (تونس1991)، DEA في العلوم السياسية (تونس 1995)، DES في علوم التنمية (جنيف1997)، DES في العلوم السياسية (جنيف1998). يناقش قريبا رسالة دكتوراه. صدر له:
- حوارات ناصرية، تونس، الطبعة الأولى، 1992، بيروت، الطبعة الثانية، 2003.
- هيكل او الملف السري للذاكرة العربية، تونس، الطبعة الأولى، 1993، القاهرة، الطبعة الثانية، 2000، بيروت، الطبعة الثالثة، 2002.
- صراعات النخب السياسية والعسكرية في الجزائر: الحزب، الجيش، الدولة، بيروت، الطبعة الأولى، 2000.
- جان زجلر يتحدث إلى العرب، بيروت، الطبعة الأولى، 2002.

لما سألت أحد الضباط الأحرار عن رأيه في هيكل، صرخ: " أوقف التسجيل. إن هيكل هو الذي خرب مصر وعبد الناصر والناصرية معهم !!"...
وفي حوار طويل أجريته مع سامي شرف مدير مكتب عبد الناصر للمعلومات ووزير شؤون الرئاسة اتهم هيكل باستيلائه على وثائق أجهزة الدولة من درج مكتبه الخاص لما ألقى به السادات في السجن، كما اتهمه بتغيير بعض الحقائق... أما الفريق فوزي قائد القوات المسلحة فقال: " لقد شوهني هيكل كثيرا وأضرّ بي ... لكنني لاحظت ان كتاباته عن عبد الناصر والناصرية كانت إيجابية، وقام بدعاية كبيرة لهما لذلك سوف لن أرد عليه، ولن أتحدث في هذا الموضوع فأرجو إعفائي ". وفي حديثي مع محمد فائق قال: " لم يخدم أحد الصحافة والصحافيين في مصر كم[...] والحديث عن عمالة هيكل لأمريكا حديث سخيف".
أما مجدي حسنين فقال: " لقد كان عبد الناصر يحبه، يأخ[...] ويعطيها له".
محمد حسنين هيكل: أين الأسطورة أين الحقيقة ؟ ....



مركز الوطن العربي للأبحاث والنشر

I.S.B.N. 9973-17-315-5